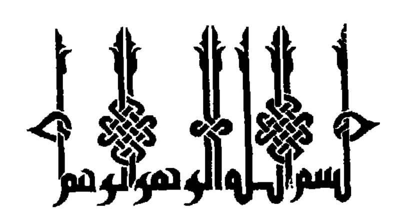
معروف زريق



دار المعرفة



الطبعة الأولى
١٤٠٨هـ - ١٩٨٩م

دار المعرفة
نشر توزيع طباعة ترجمة
دمشق - خلف البريد - شارع الجمهورية
سجل تجاري ٥٤٠٩٢ - صندوق بريد ٣٠٢٦٨
هاتف ٢١٠٢٦٩ - تيلكس ٤١٢٥٣٥ طه

مطبعة الصباح

عدد النسخ (٢٠٠٠)



المقدمة

بسم الله نبدأ ، وعليه نتوكل ، وبه نستعين .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، أشرف الخلق وسيد المرسلين .

وعلى آله وصحبه والتابعين.

(الحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعالَمين* الرحْمَن الرَّحيم * مالكِ يَوْمِ الدِّين * إياكَ نَعْبُدُ وإيّاكَ نَسْتَعينَ * اهْدِنا الصِّراطَ الْمُسْتَقيمَ *صِراطَ الذينَ أنْعَمْتَ عَلَيهِمْ غَيْرِ الْمَغْضوبِ عَلَيهِمْ ولاَ الضّالّين) {الفاتحة ٢-٧}) آمين ..وبعد :

١- لماذا ألفنا هذا الكتاب ؟

إن صلاح الناس و فسادهم يتجلى وينطلق من ملاحظة النفس الإنسانية ، وسبر أغوارها ومعرفة اتجاهاتها ، وتحليل نوازعها ورغباتها ، وتوجيه غرائزها ، وضبط دوافعها وميولها ، وتوجيه انفعالاتها وعواطفها ، والسمو بالشخصية الإنسانية لتحقيق التوفيق في الدنيا والسعادة في الآخرة .

وكل من شاء أن يضع علاجاً شافياً لهذا المجتمع ، فلا بد له أن يعرف الاتجاهات التي تتحكّم في السلوك الإنساني ، ويدرس الأسس النفسية التي يقوم عليها بنيان الشخصية، حتى إذا اتضّحت هذه القوانين ، وتبلورت تلك الأسس أمكن تعديل السلوك الإنساني وضبط النوازع النفسية طبقاً لأصول علمية مدروسة .

أما طريقة الوعظ والإرشادات والنصائح الكلامية فلا خير فيها ولا ثمرة لها بغير علم بهذه القوانين والأسس . لقد كان هدفنا من تأليف هذا الكتاب أن يكون وسيلة تعرّف الإنسان المسلم بنفسيته ، وتبيّن له الدوافع العميقة لسلوكه ، وتوضّح له الأطر التي تتحدد فيها معالم شخصيته ، ليبني علاقاته مع الله تعالي ومع الناس على أساس راسخ من القيم الفاضلة والمثل العليا ، فيكون فيها صلاح دنياه وآخرته ، وسعادة الدارين .

٢- كيف سمّينا الكتاب (علم النفس الإسلامي)؟

قد يبدو عنوان هذا الكتاب غريباً وغير منطقي ، لأن العلم لا وطن له ، ولا يخضع للدين ، ولا يرتبط بأمة من الامم . ولكن الذي برّر لنا هذه التسمية هي الأمور التالية :

أ- حاولنا أن نتساءل : كيف بحث الإسلام في النفس الإنسانية ؟ كيف حلّل عناصرها وكشف خفاياها ؟ كيف درس دوافعها وميولها ورغباتها ؟ كيف وجّه غرائزها وعواطفها ؟ كيف فهم

خيالها وتفكيرها ؟ كيف عالج عقدها وأمراضها ؟ كيف وجّه نفسية الإنسان المسلم فجعل منها خير أمة أُخرجت للناس ، احتلّت قمة السيادة في العالم ، وكانت مركز إشعاع حضاري خالد .

ب- أردنا أن نبيّن مفهوم النفس الإنسانية عند فلاسفة الإسلام ، وفقهائه ومتصوفيه وعلماء الكلام فيه . لقد حاول أجدادنا أن يربطوا بين الفلسفة اليونانية والإسلام ، فخرجوا علينا بالفلسفة الإسلامية ، فإذا هي قطاع يتلاقى فيه العلم والفلسفة ، وملتقى يتجمع فيه الدين والحكمة ، ومحور يتبلور عنده الوحي الإلهي والعقل الإنساني .

ج- أردنا أن نثبت علمياً أن كثيراً من الدراسات النفسية المعاصرة التي بهرنا الغرب بحقائقها وذَهَشتنا مدارس علم النفس الحديث بنظرياتها ليست جديدة علينا ، فقد جاءنا بها الإسلام قبل خمسة عشر قرناً من الزمن ، يوم لم يكن علم النفس قد نشأ بعد .

د- وضع الإسلام نظرية في دراسة النفس الإنسانية ، تنبني عليها كل توجيهاته وتشريعاته وطرقه في معالجة الامراض النفسية ، وأساليب تربية النفس وتقويمها وتوجيهها .

وهذه النظرية :(قديمة وسديدة وأصيلة وواضحة وشاملة ومتكاملة وناجحة وفريدة) وتختلف اختلافاً جوهرياً وأساسياً عن كافة النظريات العلمية التي جاءتنا بها المدارس النفسية المعاصرة في العصر الحديث .

٣-هذا الكتاب جديد في موضوعه

لم أجد فيما كُتب باللغة العربية أو غيرها (في حدود خبرتي واطلاعي) كتاباً يحمل اسم (علم النفس الإسلامي) .

وكُل ما وجدته هو بعض الإرشادات أو أطراف البحوث أو بعض المقالات التي تناولت النواحي النفسية كما قررها الإسلام .

لقد كانت هذه الدراسات قصيرة أو عَرَضية أو ثانوية أو غير مباشرة.. رغم أني استفدت منها جميعاً .

ولهذا فإنه ليشرفني أن أكون من الأوائل الذين يبحثون في علم النفس الإسلامي بحثاً شاملاً متكاملاً ، وأرسي قواعده بشكل علمي ، وأقيم صرحه بشكل موضوعي .

٤- عملنا في البحث

أ- إن جوهر البحث في علم النفس الإسلامي هو البحث في الإسلام من كافة نواحيه ، أو التعرف على المنطقة التي تتلاقى فيها دراسة النفس مع تعاليم الإسلام :

النفس بطبيعتها وخصائصها ومقوماتها ، والإسلام بأسسه وتعاليمه وقدسيته ، لأن الإسلام يحرص حرصاً أكيداً وجوهرياً على توجيه النفس وتقويمها في جملة ما يحرص .

والبحث في شمولية الإسلام والإحاطة بمنطلقاته العامة ، لا يتيسّر في حيّز من كتاب ، ولهذا فإن ما أثبتناه في هذا الكتاب هو المعالم الرئيسية في علم النفس الإسلامي ، تعرض أسس المعلومات ومبادئها دون التطرق لكافة جزئياتها ، مما يمكن أن تقوم به مؤلفات أخرى في هذا الموضوع .

ب- قد يتصور القارىء أننا سنعرض بنود الدراسة النفسية كما وضعها علماء النفس المعاصرون، ثم نلبسها بعد ذلك لباساً إسلامياً ... فذلك لا يتوافق مع طبيعة البحث العلمي وهو مخالف لطبيعة الإسلام ، ولا يتوافق مع جوهره وقدسيته.

جـ- استفدنا في هذا الكتاب من الدراسات والمناقشات التي دارت حول النفس الإنسانية ، سواء ما كان منها يونانياً أو عربياً ، مسيحياً أو إسلامياً ، قديماً أو حديثاً .

ووضعنا في مقدمة مصادرنا القرآن الكريم والحديث الشريف ، واستعنّا بدراسات الصوفيين رغم تطرّفها ، وآراء المتكلمين رغم فقهيتها ، ونظريات الفلاسفة المسلمين رغم جفافها .

د- لم تكن الإحاطة بخفايا النفس في هذه الدراسة مجرد وسيلة لمعرفة نظرية بحتة ، ولكنها بالإضافة إلى ذلك كانت وسيلة لتعديل السلوك والسمو بالأخلاق ، والوصول بالكيان النفسي إلى الشخصية المتجددة المتكاملة المطمئنة .

هـ- وقد قسمت هذا البحث إلى ثلاثة فصول : (١- النفس الإنسانية في الإسلام ٢- النظرية النفسية في الإسلام ٣- إعداد النفس الإسلامية) .

و- وقد حاولت أن أعرض المعلومات عرضاً فيه موضوعية العلم وروحانية الدين ، وأن أراعي الاتجاه الكمي في التأليف ، فلم ألجأ إلى الإطناب الممل أو الإيجاز المخل ، وكنت أتوخى دائماً الوضوح والدقة في عرض الافكار والحقائق .

وبعد....

فهذه محاولة في إقامة (علم النفس الإسلامي) وبنائه على أسس علمية وقواعد إسلامية، حاولنا أن نعرضه بموضوعية العلم وسمو الإسلام وروحانية الدين .

والحمد لله رب العالمين .. والسلام .

معروف زريق

النفس الإنسانية في الإسلام

الفصل الأول

تمهيد

سنبحث في هذا الفصل النفس الإنسانية في الإسلام فنتبيّن المفاهيم الرئيسية:كالروح والعقل والنفس والقلب ؟ وندرس كيف فهم القرآن الكريم خفايا النفس وحلّلها إلى عناصرها ؟ كيف تناول دوافعها وميولها ورغباتها ؟ كيف فهم غرائزها وعواطفها ؟ كيف حلل خيالها وفسّر تفكيرها ؟ كيف فسّر أحلامها وعلّل إلهامها ؟ كيف عالج عقدها وأمراضها ؟

وسنجد خلال هذه الدراسة :

١- أن القرآن الكريم لم يكن كتاباً في علم النفس ، وليس مجموعة نظريات نفسية مبّوبة ، لأنه كان أولاً وأخيراً كتاب عبادة وتوجيه .

ومع ذلك فقد تضمّن القرآن الكريم أسس هذه النظريات ومبادئها ، وسنحاول من خلال آياته أن نستكشف موقفه النفسي ، ونستنبط منهجيته السيكلوجية.

٢-.أنه لم يأت لقوم دون قوم ، ولا لأمة دون أمة ، ولا لزمن دون زمن ، وإنما جاء لكل إنسان في كل زمان وفي أي مكان . إنه يخاطب الإنسان الذي يثوي في أعماقنا ، يخاطب الفكر الذي ميّزنا به رب العالمين ، يحرك العقل الذي كرّمنا به رب العزة .

٣- أن كثيراً من الدراسات النفسية المعاصرة التي بهرنا الغرب بحقائقها ، ودهشتنا مدارس علم النفس الحديث بنظرياتها ليست جديدة علينا ، فقد جاءنا بها الإسلام قبل خمسة عشر قرناً من الزمن ، يوم لم يكن علم النفس قد نشأ في تلك الأيام .

٤- لن نقوم بإجراء دراسات مقارنة بين علم النفس الإسلامي والمدارس النفسية في العصر الحديث ، لأنه لا مجال للمقارنة بين منهج وضعه رب العالمين للنفس الإنسانية التي خلقها وهو عالم بها حق العلم ، وبين منهج وضعه إنسان لنفس لا يعلم منها إلا جزءاً يسيراً ، علاوة عن أن الإنسان يخطىء ويصيب .

فإن المقارنة والموازنة بين الله تعالى وعلماء النفس المعاصرين غير صحيحة وغير علمية وغير منهجية وغير موضوعية ، ورحم الله الشاعر الذي يقول :

ألم ترَ أن السيف ينحطّ قدره   إذا قيل إن السيف أمضى من العصا

٥- لا يبحث القرآن الكريم في ماهية النفس وطبيعتها ، بقدر ما يبحث في عملها ووظيفتها، لا يدرس ما يُقصَد بالإنسان بقدر ما يدرس ما يُطلَب من الإنسان ، لا يبحث جوهر النفس بقدر ما يبحث في سلوكها وتصرفاتها .

٦- وسنجد أنه علم سهل ممتنع ، يسهل على كل إنسان أن يفهمه مهما هبطت درجة تحصيله وثقافته ، ويمتنع على كل إنسان أن يصنع مثله ولو كان في مصاف أعظم العلماء والأدباء .

موضوع علم النفس
ممّ خُلق الإنسان ؟

أجاب رب العالمين بأن الإنسان ذو طبيعة مزدوجة ، فهو كيان مادي وقوة معنوية ، هو قبضة من طين ونفخة من روح الله ، والإنسان بهذه التركيبة الثنائية الفريدة انفرد عن بقية المخلوقات وسما على كافة الكائنات حتى الملائكة ، هنا طلب الله تعالى من الملائكة أن يسجدوا للإنسان تعظيماً واحتراماً وتقديراً (إِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنّي خالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ * فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فيهِ مِنْ روحي فَقَعوا لَهُ ساجِدينَ) {ص * ٧١- ٧٢ } .

إن قبضة الطين تتمثل في طبيعة الجسد ومطالبه وفعاليته وألوان نشاطه كالحركة والأكل والشرب ، أما النفخة من روح الله فتتمثل في الجانب النفسي للإنسان ، وتبدو في الوعي والإدراك والقيم والإيمان .

وهنا تبرز أمامنا ثلاث نقاط هامة :

١- وجود هذين اللونين من النشاط في كيان الإنسان كمظهر من مظاهر الازدواج في طبيعته ، لهذا نجده يتصرف في بعض الأحيان تصرفات جسدية غريزية مادية ، ويسلك في أحيان أخرى سلوكاً معنوياً نفسياً .

٢- وهذا الكيان مع ازدواجه ليس مكوناً من عنصرين ينفصل أحدهما عن الآخر ، أو يعمل كل منهما وحده في اتجاه خاص به ،فهو كيان جسمي مادي وقوة معنوية في الوقت نفسه،والناحيتان المادية والمعنوية تتكاملان لتشكلا فعالية الإنسان ونشاطه .

٣- مادام الإنسان ذا طبيعة مزدوجة ، فلا يجوز له أن يهتم بناحية دون أخرى :

فلا يجوز له أن يهتم بالجسد ويهمل النفس, كما يفعل بعض الماديين والإباحيين والبوهيميين، فقد قال عليه السلام : «إن لنفسك عليك حقاً» رواه الشيخان.

كما لا يجوز له أن يهتم بالنفس ويهمل الجسد ، كما يفعل بعض الرهبان وغلاة المتصوفين ، قال تعالى:(وَرَهْبانِيَّةً ابْتَدَعوها ما كَتَبْناها عَلَيْهِمْ) { الحديد * ٢٧ } .

إن الجسد والنفس يشكلان ذاتية الإنسان وشخصيته ، والاهتمام بهما معاً هو الاهتمام بنمو الشخصية الإنسانية وتكاملها .

النفخة من روح الله
(الروح - العقل - القلب - النفس)

نفخ الله تعالى في الطين وأصبح الطين إنساناً .

فهل كانت هذه النفخة روحاً أو عقلاً أو نفساً أو قلباً ؟ اختلفت الإجابة عن هذا التساؤل بين الدراسات اليونانية القديمة والفلسفة الإسلامية .

الدراسات القديمة

١- من أقدم الدراسات النفسية التي قام بها الإنسان منذ عهود سحيقة في القدم ، ما قام به أفلاطون [١] وأرسطو[٢] حول الروح :

وكانوا يتساءلون : ما الروح ؟ ما طبيعتها وما ماهيتها وما جوهرها ؟ هل هي شيء مادي أو كيان روحي ؟ هل كانت موجودة منذ قديم الأزل أم أنها خَلقت بعد ذلك ؟ هل هي خالدة أم يصيبها الفناء ؟ هل تحيا بعد موت الجسد أم تفنى بفنائه ؟ هل يمكن استحضارها ومخاطبتها؟ ... إلخ .. من التساؤلات التي لم تكن تجد إجابة موضوعية، اللهم إلا بعض الفرضّيات والتخيّلات .

٢- وبعد فترة من الزمن انتقلوا إلى دراسة العقل ، لأن للعقل مركزاً معّيناً في الجسم وهو الدماغ ، فدرسوا العقل الهيولاني ، والعقل المكتسب ، والعقل الفعال ، والعقل بالملكة، والعقل بالفعل ، والعقل المستفاد.إلخ....، ولكن المشكلة التي اصطدموا بها هي أنه : إذا كان الجهاز العَصبي في الدماغ شيئاً مادياً فكيف يمكن أن ينتج شيئاً معنوياً هو التفكير ؟.

٣- وهنا انتقل العلماء إلى دراسة النفس (psychologie)وهي تتألف من كلمتين إغريقيتين : الاولى (psyché) ومعناها النفس ، والثانية (Logos) ومعناها علم ، وقد اعتمدوا في هذه التسمية على صلة النفس بالتنفس ، لأن الموت هو توقف التنفس عن الحركة .

هنا تساءلوا : هل كانت النفس موجودة أولاً ثم خُلق لها بعد ذلك جسدها ؟ أم أن الاجساد كانت مخلوقة أولاً ثم خَلق الله تعالى لها النفوس ؟ هل النفس كيان واحد أم أنها مجموعة أجزاء ؟ أليس بين النفس والجسد علاقة ؟ ألا يتأثر أحدهمابالآخر ؟

٤- وكانوا بين فترة وأخرى يستعملون كلمة القلب بمعنى مركزالعواطف ومبعث المشاعر .

---

(١)- أفلاطون platon(٤٣٠-٣٤٧ق.م)من مشاهير فلاسفة اليونان،تلميذ سقراط ومعلم أرسطو ، قال : (إن الحقيقة عند العالم ليست في الظواهر المنفردة والزائلة ، ولكنها في الفكر السابق لوجود الكائن الحي) كما قال : (إن غاية الفكر هي الحيِّز) . من مؤلفاته (الجمهورية ، المحاورات ، الوليمة) .

(٢)- أرسطو Aristote(٣٨٤-٣٢٢ ق.م) فيلسوف يوناني ، مؤدب الإسكندر ومن كبار المفكرين ، تأثرت بوادر التفكير العربي بمؤلفاته ، أسّس (فلسفة المشائين) وألّف في المنطق والطبيعيّات والإلهيّات ، من مؤلفاته (المقولات ، الخطابة ، السماء والعالم ، ما بعد الطبيعة) .

الفلسفة الإسلامية

قامت الفلسفة الإسلامية على أكتاف أعلام كبار ، درسوا الإسلام وتعمقوا في أصول الدين ، وتغلغلوا في أعماق الشريعة ، ثم درسوا الفلسفة اليونانية ، فاطلعوا على ما كتبه سقراط [٣] وأفلاطون وأرسطو .

هنا وجدوا أنفسهم في موقف فكري حرج ، ومواقف متباينة ، فماذا يفعلون ؟

لقد حاولوا أن يربطوا بين الفلسفة اليونانية والإسلام ، بين ما جاء به الوحي الإلهي والعقل الإنساني ، بين ما طلعت به الفلسفة وما جاء به الدين الإسلامي ، وكان قصدهم التوفيق بين العقل والدين ، فخرجوا علينا بالفلسفة الإسلامية ، فإذا هي قطاع يتلاقى فيه المنطق مع الروح، والعلم مع الفلسفة ، ومحور يلتقي عنده العقل الإنساني ، وملتقى يتبلور فيه الدين والحكمة.

وتبدو في هذه الدراسة نزعة التقليد والاقتباس ، ومحاولات التوفيق والتأليف بين مختلف آراء فلاسفة اليونان وفقهاء الإسلام .

لقد شعر فلاسفة الإسلام أنهم يدورون في حلقة مفرغة ، فالروح والقلب والعقل والنفس أمورمعنوية مجردة، لا يمكن دراستها بشكل مباشر .. هل هي جميعاً شيء واحد؟ أم أنها تختلف عن بعضها،وإذاكانت تختلف عن بعضها فبماذا تختلف ؟ ... هنا عجز العلماء والفلاسفة. فماذا كان موقف الإسلام ؟

لقد استعمل القرآن الكريم مفاهيم : الروح والعقل والقلب والنفس ، في مواضع مختلفة، يجعل كلاً منها يختلف في مدلوله عن الآخر ، فما قال في ذلك ؟

الروح

كان ورود الروح في القرآن الكريم قليلاً ، إلا أن استعماله كان متنوعاً وذا دلالات مختلفة ، كما جاء بأشكال مختلفة ، منها :

١- ما أفاضه الله تعالى على الإنسان : فروح الإنسان هي نفخة من روح الله تعالى ، وهي موضع تقدير الإنسان وتكريمه .

وصف الله تعالى هذه الإفاضة ، فقال(ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فيه مِن روحِه) { السجدة * ٩ } ، ثم أعطى تفصيلاً لعملية الإفاضة فقال : (فإذا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فيهِ مِنْ روحي فَقَعوا لَهُ ساجِدينَ) {الحجر * ٢٩ } .

٢- خَلْقُ سيدنا عيسى عليه السلام : فالسيدة مريم رضي الله عنها حملت من روح الله ، وكان هذا الحمل معجزة إلَهية شذت عن القوانين الطبيعية التي أقرها الله تعالى والتي يحدث فيها الحمل نتيجة اتصال طبيعي بين ذكر وأنثى .

(٣)- سقراط Socrate(٤٦٨- ٣٣٩ق.م) فيلسوف يوناني ، ولد في أثينا ، قاوم الفلسفةالسفطائية ، حكم عليه القضاة بالإعدام ، تميز بنبل أخلاقه وشهامته .

كيف حدث هذا الحمل ؟ كيف وفق الله تعالى بين قوانين الحمل الطبيعي والقوانين الخارقة للحمل ؟.

أجاب الله تعالى بأنه أرسل لسيدتنا مريم عليها السلام روحاً من أمر الله فتمثل لها بشراً سوياً (فَأَرْسَلْنا إِلَيْها روحَنا فتَمَثَّلَ لَها بَشراً سَوِيّاً) { مريم * ١٧ } .

لقد كانت سيدتنا مريم رضي الله عنها على مستوى خلقي رفيع أهلّها لهذه المعجزة ، وهذه الصفات الخلقية العالية كانت من خصائص أصحاب المعجزات (والَّتي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فنَفَخْنا فيها مِنْ روحِنا) { الانبياء* ٩١ } .

٣- إشارة إلى القرآن الكريم : فالقرآن الكريم هو روح من أمر الله تعالى ، أنزله رب العالمين على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بشكل خاص فقال في ذلك : (وكَذَلِكَ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ روحاً مِنْ أَمْرِنا) { الشورى * ٥٢ } .

٤- دلالة على الوحي الإلهي : فقد سمى الله تعالى ما أوحى به للناس روحاً ، فقال : (يُلْقي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلاقِ){غافر * ١٥}

وقال في موضع آخر : (قُلْ نَزَّلَهُ روحُ القُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ) { النحل * ١٠٢ } .

وقال أيضاً:(نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمينُ *عَلى قَلْبِكَ) { الشعراء * ١٩٣- ١٩٤ } .

٥- طبيعة الروح : لم يتعرض القرآن الكريم لبيان جوهرالروح ، أو توضيح طبيعتها أو كنهها أو ماديّتها ، فعندما سأل الناس الرسول صلى الله عليه وسلم عن الروح كانت الإجابة فوق المستوى العقلي للبشر فلا يستطيع أي إنسان فهمها أو استيعابها ، لذلك كان لا بد من إغلاق الباب ، فماذا قال تعالى ؟ قال :(ويسألونَكَ عنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبّي وَما أوتيتُم مِن العِلْمِ إلا قَليلاً) { الإسراء * ٨٥ } .

العقل

يقول العلامة عباس محمود العقاد (٤) : « لقد اعتبر فلاسفة اليونان العقل أعظم من الروح والنفس ، لأن العقل المطلق هو الله ، والعقل الإلهي هو عقل فعاّل منزّه عن المادة والهيولى ، وعنه يصدر العقل الإنساني أو العقل المنفعل (٥) » .

أما في القرآن الكريم فلم يرد لفظ العقل بوصفة اسماً،بل وردت أفعال يمكن وصفها بأنها عقلّية وهي تدل على عنصر التفكير في الإنسان ، وقد جاء ذلك بأساليب مختلفة ، نذكر منها :

١- المعرفة والاستيعاب : ففعل (عقَلَ) يعني رَبَطَ ، فالعقل يربط الأسباب بمسبّباتها ، ويربط الظاهر بالباطن . وهناك بعض الناس انحرف تفكيرهم عن جادة الصواب فماذا يفعلون ؟ قال

(٤)- عباس محمود العقاد (١٨٩٩-١٩٦٤ م) مصري من دمياط ، أتقن الإنكليزية والألمانية والفرنسية ، ألف ٨٣ كتاباً ، منها (عبقرية محمد صلى الله عليه وسلم ، رجعة أبي العلاء ، ابن الرومي،ديوان العقاد)

(٥)- الله في القرآن الكريم ، عباس محمود العقاد ، ٢٩

عنهم الله تعالى:(يَسْمعَونَ كَلامَ اللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفونَهُ مِنْ بَعْدِ ما عَقَلوهُ) { البقرة * ٧٥ }
٢- استخدام العقل في الواقع : فقد سُمي العقل عقلاً لأنه يَعْقِلُ صاحبه عن التورّط في المهالك ، وفي هذا الموضع يعاتبنا رب العالمين معاتبة فيها الكثير من التأنيب ، استمع إليه وهو يخاطبنا فيقول : (أتَأمُرونَ النّاسَ بِالْبِرّ وَتَنْسَونَ أنْفسَكُمْ وَأنْتُمْ تَتْلونَ الْكِتابَ أفَلا تَعْقِلونَ) { البقرة * ٤٤ } .
٣- تمييز الخير من الشر : فالعقل هو الذي أوصلنا لمستوى الإنسانية الصحيح ، ولولا العقل لكان الإنسان ليس إلا دابة من الدواب، بل هو أحط من الدواب (إن شَرّ الدّوابِ عندَ الله الصُّمُّ البُـكمُ الذينَ لا يَعقِلونَ) { الأنفال * ٢٢ } .
٤- الإدراك : فبالعقل نبتعد عن المهالك التي توصلنا إلى سوء العاقبة ، إن الإنسان يدرك هذا الموقف في الآخرة ، هذا الموقف الرهيب الذي لا ينفع معه ندم أو حسرة (وَقالوا لَوْ كُنّا نَسْمَعُ أوْ نَعْقِلُ ما كُنّا في أصْحابِ السّعيرِ) { الملك * ١٠ } .
٥- فهم المقصود : فالله سبحانه وتعالى يضرب الامثال لعباده لتوجيههم وهدايتهم ، وليس المقصود بذلك حرفيّة المثل بقدر ما ينطبق عليه ويؤدي إليه : (وَتِلْكَ الأمْثالَ نَضرِبُها لِلنّاسِ وما يَعْقِلُها إلاّ العالِمونَ) { العنكبوت * ٤٣ } .

النفس

ورد لفظ (النفس) في القرآن الكريم في ٣٦٧ موضعاً ، ويدل كل منها على الإنسان ككائن حي ذي أصل واحد ، يتكاثر ويكسب ويشتهي ويغضب ، ثم يجازى على عمله .
وقد استعملت بدلالات مختلفة ، نذكر منها :
١- الدلالة على الإنسان : (واتّقوا يَوْماً لا تَجْزي نَفْسٌ عن نَفْسٍ شَيْئاً) { البقرة * ٤٨ } ، (لا تَكَلّفُ نَفْسٌ إلاّ وسعَها) { البقرة * ٢٣٣ } ،(أنّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بغَيْرِ نَفْسٍ أو فَسادٍ في الأرْضِ فَكَأنّما قَتَلَ النّاسَ جَميعاً){ المائدة * ٣٢ } ، (قوا أنْفُسَكُمْ وَ أهْليكُمْ ناراً) { التحريم * ٦ }،(وَ فيها ما تشْتهيهُ الانْفسُ وَتَلَذُّ الأعْيُنَ) { الزخرف * ٧١ } .
٢- إشارة إلى أشخاص معينين : نذكر من هؤلاء الأشخاص الذين عناهم القرآن الكريم :
أ- محمد عليه الصلاة والسلام : (فَلَعَلّكَ باخِعٌ نَفْسَكَ عَلى آثارِهِمْ) { الكهف * ٦ }
ب- إسرائيل : وهو اسم لُقّب به يعقوب ، وبنو إسرائيل هم العبرانيون:(كُلُّ الطّعامِ كانَ حِلاًّ لِبَني إسْرائيلَ إلاّ ما حَرّمَ إسْرائيلُ عَلى نَفْسِه) { آل عمران * ٩٣ } .
جـ- يوسف عليه السلام : (هي راوَدَتْني عَن نَفْسي) { يوسف * ٢٦ } ، (وَلَقَدْ راوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فاسْتَعْصَمَ) { يوسف * ٣٢ } .
٣ -دلالة على الذات الإلهية:صور الله تعال اصطناع الخالق الخلق لنفسه فقال:(وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسي) { طه * ٤١ } . وفي مناسبة أخرى أعطانا صورة دقيقة عن نفسه ، فيها القوة والرأفة

(وَيُحَذِّرُكُم اللهُ نَفْسَهُ واللهُ رؤوفٌ بالعِبادِ) { آل عمران * ٣٠ }.وعندما قارن بين معرفته بنفوسنا ومعرفتنا بنفسه أعطانا الصورة العميقة الواضحة فقال : (تَعْلَمُ ما في نَفْسي وَلا أَعْلَمُ ما في نَفْسِكَ) { المائدة * ١١٦ } ، وختم الله تعالى هذه المعالم بأن كتب على نفسه الرحمة (قُلْ لِلهِ كَتَبَ على نَفسهِ الرَّحمَةَ) { الأنعام * ١٢ } .

٤- الإشارة إلى ضمير الإنسان : أكد الله تعالى أنه خالق الإنسان ، وهو الوحيد الذي يعلم خفقات ضميره ووساوس نفسه (وَلَقَدْ خَلَقْنا الإنْسانَ ونَعلمُ ما تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ) { ق * ١٦ } .
ومادام الله خالقنا فهو أعلم بطبيعة نفوسنا ودواخل أعمالنا وجوهر ذاتنا (رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِما في نفوسِكُمْ إنْ تَكونوا صالِحينَ) { الإسراء * ٢٥ } .
وإذا أردنا أن نغير أحوالنا ونبدل أوضاعنا إلى ما هو أفضل ، فلا بد لنا أن نغيّر جوهرنا من الداخل (إِنَّ اللهَ لايُغَيِّرُما بِقَومٍ حتى يُغَيِّروا ما بِأَنْفُسِهِمْ){ الرعد * ١١ }
٥- الإشارة إلى أصل البشر : فالنفس الواحدة هي أصل البشرية جمعاء ، ومن النفس الواحدة خلق الله كافة النفوس الإنسانية(هُوَ الذي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدةٍ) { الأعراف * ١٨٩ } .
وإذا كان الأمر كذلك فعلينا أن ننتقي رب العزة الذي خلقنا من نفس واحدة (ياأَيُّها النّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الذي خَلَقكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحدةٍ) { النساء * ١ } .

القلب

ورد لفظ (القلب) في القرآن الكريم أقل من ورود النفس ، وكان يقتصر على الجزء الواعي في الإنسان،وقد جاء بمدلولات مختلفة نذكر منها :
١- الفطرة السليمة : وقد أبرزها الله تعالى في القلب السليم الخالي من الشوائب (إلاَّ مَنْ أَتى اللهَ بِقَلْبٍ سَليم) { الشعراء * ٨٩ } .
٢- الفهم والهداية : ورد ذلك في مواضع مختلفة ، نذكر منها :
أ- القلب الذي يملك الفهم والهداية (إِنَّ في ذَلِكَ لَذِكْرى لِمَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقى السَّمْعَ وَهُوَ شَهيدٌ) { ق * ٣٧ } .
ب- أهمية الإيمان بما انحصر عليه الشعور (لا يَحْزُنْكَ الذين يُسارعون في الكُفرِ مِنَ الذينَ قالوا آمَنَّا بِأَفْواهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلوبُهُمْ) { المائدة * ٤١ } .
جـ- الإيمان بالله تعالى يؤدي إلى هداية القلب(وَمَنْ يُؤْمِنْ باللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ){ التغابن * ١١ } .
د- اختلاف الظاهرعن الباطن(إلاّمَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌ بالإيمانِ){ النحل * ١٠٦ }.
هـ- ان الإيمان زينة الله تعالى في قلوبنا وحبّه إلى نفوسنا (وَلَكِنَّ اللهَ حبَّبَ إِلَيْكُمُ الإيمانَ وَزَيَّنَهُ في قُلوبِكُمْ) { الحجرات * ٧ } .
٣- المعصية : ليست جميع قلوب الناس على نمط واحد وطبيعة واحدة :
فمنهم من يكتمون الشهادة فتصاب قلوبهم بالإثم (وَلا تَكْتُموا الشَّهادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْها فَإِنَّهُ آثِمٌ

قَلْبُهُ) { البقرة * ٢٨٣ } .
هناك قلوب تحجرت على الإجرام (كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ المُجْرِمِينَ){ الحجر* ١٢ }

٤- المشاعر والعواطف : تضمن القلب مجموعة من المشاعر والعواطف والانفعالات والإحساسات والوجدانات ، نذكر منها :

أ- شَمَل القلب الرحمة والرأفة ، فالرحمة هي الرقة للشيء والشفقة عليه والتعطف عليه والمغفرة له ، أما الرأفة فهي أشد مشاعر الرحمة (وَجَعَلْنا في قُلوبِ الذينَ اتَّبَعوهُ رَأفةً وَرَحْمَةً) {الحديد * ٢٧ } .

ب- وجعل في قلوب بعض الناس حسرة وهي ضعف وتعب يترافقان بالألم والحزن (لِيَجْعَلَ اللهُ ذَلِكَ حَسْرَةً في قُلوبِهِمْ) { آل عمران * ١٥٦ } .

جـ- وهناك من غرست في قلوبهم مشاعر الرعب... وهي الخوف والفزع والجبن (سَنُلقي في قُلوبِ الذينَ كَفَروا الرُّعْبَ) { آل عمران * ١٥١ } .

د- وهناك فئة أخيرة من الناس لا يُرجى منها أي خير ، لأن قلوبها تحجّرت وتصلّبت مشاعرها وخرجت عن كيانها الآدمي :(ثُمَّ قَسَتْ قُلوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كالحِجارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوةً) {البقرة* ٧٤ } .

موقفنا من القلب

١- إن القلب أعظم أجزاء الجسم أهمية ، وأشقها إصلاحاً ، فهو لب الإنسان وجوهره ، فعلينا بحفظه وإصلاحه فإنه موضوع نظر علاّم الغيوب .

٢- ومعرفة الله تعالى بنا لا تقتصر على أمورنا الظاهرية ونواحينا الشكلية،بل تتغلغل إلى أعماق قلوبنا (وَاللهُ يَعْلَمُ ما في قُلوبِكُمْ وَكانَ اللهُ عليماً حَليماً) { الاحزاب * ٥١ } .

٣- ووضّح ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « إن الله لا ينظر إلى صوركم وأبشاركم، و إنما ينظر إلى قلوبكم» الحديث:أخرجه مسلم(٦) ابن ماجه (٧)عن أبي هريرة (٨)رضي الله عنه.

٤- والأعضاء كلها تابعة للقلب فصلاحها بصلاحه ، قال صلى الله عليه وسلم : « إن في الجسد لمضغة ، إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله،ألاوهي القلب) الحديث : أخرجه البخاري من حديث مطلعه : «الحلال بيّن والحرام بيّن » .

(٦)-مسلم بن الحجاج القشيري(٢٠٤- ٢٦٠هـ/ ٨٢٠- ٨٧٥ م)ولد بنيسابوربخراسان،تجول لطلب الحديث. من مؤلفاته:الصحيح .

(٧)- ابن ماجه ، محمد بن يزيد القزويني (٢٠٨- ٢٧٣ هـ/ ٨٢٤ - ٨٨٧ م) ، أحد الأئمة في الحديث ، من أهل قزوين ، رحل في طلب الحديث ، ألف (سنن ابن ماجه).

(٨)- أبو هريرة ، عبد الرحمن بن صخر الدوسي (٢٠ق هـ -٥٨هـ / ٦٠٢- ٦٧٩ م) ، كان أكثر الصحابة حفظاً للحديث ، وقد روى عن الرسول ٥٣٧٤ حديثاً ، كُني بأبي هريرة لعطفه على القطط ، ولي أمر المدينة.

٥- والقلب خزانة كل جوهر نفيس للعبد،وحُقّ لمثل هذه الخزانة أن تُحفظ وتصان عن الأدناس والآفات ، وتُحرس من السارقين والقطّاع ، وتُكرم لئلا يلحقها دنس ، ولايخفى ما ورد من انكباب الشيطان واستيلائه عليه ووسوسته إليه فتحرس منه وتصان عن الأخلاق الذميمة: كالحرص والغضب ، والبخل والكبر ، والعجب والحسد ، والرياء وحب الجاه ، وحب الدنيا وحب السيطرة ، والمكر والخديعة ، والكسل والغلظة ، وإفشاء السر والجهل ، والجبن والظلم ،والبلادة والخيانة ، والغيظ والقسوة ، والوقاحة وقصور الهمة ، وذل النفس ، والغيبة والنميمة .

* * *

النفس الإنسانية

عرّف ابن سينا [٩] النفس الإنسانية ، فقال : « إنها الكمال الأول ، لجسم طبيعي آلي ، من جهة ما يفعل الأفاعيل ، بالاختيار العقلي والاستنباط ، ومن جهة ما يدرك الأمور الكلية [١٠] » .

وقد أقسم الله سبحانه وتعالى بهذه النفس الإنسانية لأنها أعظم ما خلق وخير ما أبدع ، وجعل قسمه بها سابع قسم شمل خلق السموات والأرض . قال تعالى :

١- (والشَّمْسِ وَضُحاها) ٢- (وَالقَمَرِ إذا تلاها) ٣- (والنَّهارِ إذا جَلّاها) ٤- (وَاللَّيلِ إذا يَغْشَاها) ٥- (وَالسَّماءِ وما بَناها) ٦- (والأرْضِ وَما طَحاها) ٧- (وَنَفْسٍ وَما سوّاها) {الشمس * ١-٧ } .

ثم بيّن الله تعالى أنه ألهم نفوسنا دوافع الخير ونوازع الشر (فَألْهَمَها فُجورَها وَتَقْواها) {الشمس * ٨ }،ولكن هذا الخير والشر ليس قدراً مسيطراً على شخصية الإنسان لا مندوحة عنه ، بل بإمكان الإنسان أن يزكو بنفسه ويرقى بها ، وبإمكانه أن ينحطّ بها ويتدهور بشأنها (قَدْ أفْلَحَ مَنْ زَكّاها * وَقَدْ خابَ مَنْ دَسّاها) { الشمس * ٩- ١٠ } .

النفس الشهويّة والغضبيّة والعاقلة

يتّضح من إشارات الغزالي [١١] المختلفة في كتابه (إحياء علوم الدين) : أن أول ما يخلق عند الطفل هو النفس الشهوية التي يشترك فيها النبات مع الحيوان ، ثم تَخلق له النفس الغضبية التي يشترك فيها الحيوان فقط ، وأخيراً تُخلق له النفس العاقلة التي ينفرد بها الإنسان لوحده . ويكون التطابق على أساس مقابلة الشهوانية مع النبات ، والغضبية مع الحيوان ، والعاقلة مع الإنسان . أما أنواع النفوس التي عرضها القرآن الكريم فهي :

١- النفس الأمارة:

وهي النفس الأمارة بالسوء ، تسيطر عليها الدوافع الغريزية ، وتتمثل فيها الصفات الحيوانية ، وتبرز فيها الدوافع الشريرة ، فهي توجّه صاحبها بما تهواه من شهوات ، لهذا كانت مأوى كل سوء (إنَّ النَّفْسَ لأمّارَةٌ بالسُّوءِ إلاّ مارحمَ رَبّي) { يوسف * ٥٣ } .

---

(٩)- ابن سينا (٣٦٩- ٤٢٧ هـ / ٩٨٠- ١٠٣٧م) ولد في بخاري وتوفي في همدان ، حساّب وطبيب ومن كبار الفلاسفة العرب ، تعمق في فلسفة أرسطو وتأثر بالأفلاطونية الحديدة ، كان له تأثير في الصوفية ، من مؤلفاته (القانون) في الطب ،و(الشفاء) في الفلسفة ، و(الإشارات والتنبيهات) في المنطق .

(١٠)- النجاة : ابن سينا ٢٥٨

(١١)- أبو حامد محمد الغزالي (٤٥٠- ٥٠٥ هـ/ ١٠٥٨- ١١١١م) ، ولد في طوس بخراسان ، مفكر عميق ، ومن كبار فلاسفة الإسلام ، تعلم في نيسابور ، وأقام في بلاط الملك السلجوقي ، علّم في المدرسة النظامية ببغداد ، انتابته أزمة روحية فسافر إلى الشام ومصر والحجاز ثم أقام في دمشق ، انصرف للحياة الصوفية ، من مؤلفاته (المنقذ من الضلال . تهافت الفلاسفة . إحياء علوم الدين) .

٢- النفس اللوامة :

وهي النفس التي تبرز فيها قوة الضمير ، فيحاسب الإنسان نفسه كما يحاسب غيره، قال مجاهد بن جبر [١٢] : (النفس اللوامة هي التي تلوم على مافات وتندم ، وتلوم صاحبها على الشر لم تفعله،وعلى الخير لم تستكثر منه » .

وروى شداد بن أوس [١٣] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الكيّس من دان نفسه -حاسبها- وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله » .

وقال عمر بن الخطاب [١٤] رضي الله عنه (كاتباً لبعض عماله):

« حاسب نفسك في الرخاء قبل حساب الشدة ، فإن من حاسب نفسه في الرخاء قبل الشدة عاد أمره إلى الرضاء والغبطة ، ومن ألهته حياته وشغلته أهواؤه عاد أمره إلى الندامة والحسرة » .

وقال الحسن بن علي [١٥] رضي الله عنهما : « إن العبد لا يزال بخير ما كان له واعظ من نفسه ، وكانت المحاسبة من همته» .

ولهذا أقسم الله تعالى بالنفس اللوامة فقال : (ولا أُقسِمُ بالنَّفْسِ اللَّوامةِ) { القيامة * ٢ } .

٣- النفس المطمئنة:

وهي النفس المؤمنة التي استوعبت قدرة الله ، وتبلور فيها الإيمان العميق والثقة بالغيب لا يستفزها خوف ولا حزن ، لأنها سكنت إلى الله واطمأنت بذكر الله وأنست بقرب الله فهي آمنة مطمئنة ، تحس بالاستقرار النفسي والصحة النفسية ، والشعور الإيجابي بالسعادة ، فحق لها أن يخاطبها رب العالمين بقوله : (يا أيّتُها النَّفسُ المُطْمَئنةُ * ارْجعي إلى رَبّكِ راضيةً مَرْضِيَةً * فَادْخُلي في عِبادي وَادْخُلي جَنَّتي) { الفجر * ٢٧- ٣٠ } .

الظاهرة النفسية

يبحث علم النفس في الظاهرة النفسية وهي : (كل تغيّر يطرأ على النفس ، ويمكن ملاحظة آثاره على الجسم) من أمثلة ذلك :

١- يغضب الإنسان مثلاً فيشعر بغليان في أعماقه ، ويلاحظ الآخرون تقطيب جبينه واتساع حدقتيه واحتقان وجهه .

---

(١٢)- مجاهد بن جبر (٢٠- ١٠٣هـ / ٦٤٢- ٧١٢ م) : تابعي مفسّر من مكة . شيخ القراء والمفسرين ، استقر في الكوفة ، ألف (التفسير) ، توفي وهو ساجد .

(١٣)- شداد بن أوس الخزرجي الأنصاري (توفي ٥٦ هـ / ٦٧٧م)،صحابي من الأمراء ، ولاه عمر على حمص ، فصيح متكلم ، توفي في القدس ، له في كتب الحديث ٥٠ حديثاً .

(١٤)- عمر بن الخطاب (٣٩ق هـ - ٢٢هـ / ٥٨٤- ٦٤٤م) ، ثاني الخلفاء الراشدين ، حضر وقائع الإسلام الأولى ، شجاع حازم ، صاحب الفتوحات ، عرف بسداد الرأي والحكمة ، اتخذ لقب (أمير المؤمنين)

(١٥)- الحسن بن علي (٢- ٤٨ هـ / ٦٢٤- ٦٦٩ م) ، وهو بكْرُ أبناء علي بن أبي طالب من فاطمة . ربع بالخلافة في العراق بعد مقتل أبيه ، لكنه تنازل عنها وصالح معاوية حقناً للدماء وحباً في السلام .

٢- يشعر الخائف بعجزه عن التكيف مع المشكلة التي تصادفه ،ورغبته في الهرب لينجو بنفسه ، ويلاحظ الآخرون اصفرار وجهه وارتجاف يديه وعدم اتزان حركاته .

أنواع الظاهرات النفسية

الظاهرات النفسية كثيرة متعددة متشابكة ، متعقّدة ، يمكن إجمالها تحت العناوين التالية البارزة :

١- الحالات الوجدانية : كالغضب للإهانة ، والفرح للنجاح،والحزن لموت إنسان عزيز،و والخوف من حيوان مفترس.إلخ.....

٢- الحالات العقلية : كتذكر حادثة سابقة ، والتفكير في مشكلة معقّدة ، وتخيّل صورة جديدة ، والانتباه لموضوع طريف.إلخ ......

٣- الاستعدادات الطبيعيّة والمكتسبة : كالذكاء والمواهب والقدرات والغرائز إلخ...

وهكذا تتبلور في الظاهرة النفسية النفس الإنسانية بكاملها ، عندما تنتقل من الفرح إلى الحزن، ومن الرضا إلى الاشمئزاز ، ومن الانتباه إلى الشرود ، ومن الحب إلى الكراهية ، ومن اللامبالاة إلى التصميم .

نجد فيها الإنسان في صراعه اللامتناهي في خضم الحياة ، ليقرر وجوده وليسعد في الدنيا والآخرة .

صفات الظاهرات النفسية

إذا تأمل الإنسان ظاهراته النفسية وجد أنها (داخلية لا خارجية . وزمانية لا مكانية . وكيفية لا كمية) :

١- فالظاهرة النفسية داخلية لا خارجية : لأنها تجري في دخيلة المرء ، لا يطلّع عليها إلا صاحبها ، أي أنها تقع في نطاق مغلق هو نطاق الفرد ، ولا يمكن لغير صاحبها إدراكها إدراكاً مباشراً .

٢- والظاهرة النفسية زمانية لا مكانية : إذ لا يمكن تحديدها تحديداً مكانياً ، فلا يمكنني في حالة الخوف أن أحدد مكانه من جسمي ، وما يقال من أن الحب في القلب ، والحسرة في الكبد والضيق في الصدر ، فهو من تعابير الأدب لا من حقائق العلم،وكل ما يمكنني أن أحدّده هو زمان حدوث الظاهرة النفسية ، فأنا أفكر الآن ،وكنت غاضباً بالأمس ، وكنت فرحاً منذ يومين . إلخ .... ، والزمن الذي تجري فيه الحوادث النفسية ليس زمناً رياضياً تتساوى وقائعه ، بل هو زمن نفسي يطول في حالات الألم والضيق ، ويقصر في حالات الفرح والسرور ، وفي هذا المعنى يقول الشاعر أبو العلاء المعري (٩٧٩- ١٠٥٨ م) :

إن حزناً في ساعة الموت يساوي أضعاف سرور في ساعة الميلاد

٣- والظاهرة النفسية كيفية لا كمية : لأن القياس الكمي يكون ممكناً عندما يشغل الشيء

حيّزاً من الفراغ ، والظاهرة النفسية مجردة من الصفة المكانية ، ولذا فلا يمكن تحديد كمية الخجل ، وإن كان من الممكن نسبته إلى حالات سابقة فأقول :
كنت أكثر خجلاً أو أقل ألماً ، ولكن لا يمكنني أن أقول : إن حزني اليوم يساوي ربع حزني بالأمس ، أو إن فرحي اليوم يساوي ثلاثة أرباع فرحي بالأمس إلخ.....

تكامل الظاهرات النفسية

إن الظاهرة النفسية لا تعيش في النفس منعزلة عن بقية الظاهرات النفسية ، وإنما نجد بينها ارتباطاً وثيقاً ، ففي ظاهرة الغضب مثلاً نجد أن الشخص الغضبان (يحسّ) بمصدر الغضب (ويدرك) معنى الكلمات النابية التي وجّهت إليه و (يتذكر) موقفاً شبيهاً بالموقف الذي يتعرض له و (يفكر) في وسيلة لإشفاء غليله و (يتخيل) الوسائل الناجحة ، و (ينفعل) انفعال الضيق ، و (يشعر) بغليان في داخله . . إلخ ....

إن هذه الظاهرات النفسية التي يتعرض لها الغضبان ، تمر في نفسه ، بشكل شريط سريع وهي تتكامل مع بعضها ، بحيث يخيّل للإنسان أنه يمر بظاهرة نفسية واحدة هي ظاهرة الغضب ، مع أنه في الواقع يتعرّض لعدد من الظاهرات النفسية ، تتبلور حول شعور الغضب .

إن الظاهرة النفسية الخالصة أمر لا وجود له في النفس الإنسانية ، ونحن حين نحاول عزل الظاهرة النفسية عن غيرها من الظاهرات النفسية ، فليس ذلك إلا لتسهيل الدراسة العلمية فقط .

الشخصية والظاهرات النفسية

تدلنا الظاهرات النفسية التي يتعرض لها الإنسان على نوعية شخصيته :

١- فمن الناس من تغلب عليهم ظاهرات التشاؤم أو التفاؤل أو الاكتئاب . إلخ.....، فتطبع شخصياتهم بطابع معين .

٢- تختلف شخصيات الناس عن بعضها فيما تقوم به من سلوك ، وما تصدر عنه من تصرفات رغم تعرّضها لظاهرة نفسية واحدة ، فمن الناس من إذا غضب شتم ، ومنهم من إذا غضب ضرب، ومنهم من إذا غضب ارتكب جريمة إلخ ....

٣- تختلف الظاهرات النفسية عند الناس قوة وضعفا ، اتساعا وضيقا ، حسب صلتها بشخصية صاحبها :

فحزن الأم على ابنها المتوفى يختلف عن حزن ابنتها على أخيها ، كما يختلف عن حزن جارتها على ابن جيرانها .

٤- على الرغم من أن الظاهرة النفسية تضعف قوتها بمرور الزمن ، وقد يؤدّي بها ذلك إلى النسيان فإنها تترك رواسب عميقة في نفس الإنسان تغير شخصيته وتقلب نظرته للحياة .. كخيانة صديق كنا نعتقد فيه الوفاء والإخلاص ، أو موت والد كان دعامة البيت ومورد رزقه الوحيد .

والواقع أن كلا منا يحمل معه ماضيه كله ، طفولته بأيامها السعيدة أو الشقية ، وأثر عائلته وبيئته ورفاقه ، كما يحمل معه صور النجاح أو الفشل ، وذكريات الأعياد والأفراح ، وأشباح الآلام والأحزان ..كل ذلك يترك رواسب في أعماق النفس بشكل فعّال ليوجه سلوكنا وتصرفاتنا، ويسور ظاهراتنا النفسية ، ويطبع شخصية كل منا بطابع خاص مميز .

* * *

مناهج علم النفس

يختص كل علم بمنهج خاص يبحث في حقائقه : فمنهج العلوم الرياضية هو الاستنتاج (أي الانتقال من الكل إلى الجزء) . ومنهج العلوم الطبيعية هو الاستقراء (أي الانتقال من الجزء إلى الكل) . ومنهج علم الاجتماع هو الإحصاء إلخ..... ، فما منهج علم النفس ؟

إن الظاهرة النفسية التي أريد دراستها : إما أن تكون موجودة عندي أو عند غيري . ومن هنا ظهر منهجان في علم النفس :

المنهج الأول : يدرس فيه المرء ظاهرة نفسية يشعر بها ذاته ، ويسمى ذلك (المنهج الذاتي) .

والمنهج الثاني : يدرس فيه المرء ظاهرة نفسية عند غيره ، ويسمى ذلك (المنهج الموضوعي) .

المنهج الذاتي

إن الظاهرات النفسية التي تدور بخلد صاحبها ، لا يستطيع أن يعلمها على وجه التحقيق إلا صاحبها فقط ، فهو الذي يشعر بفرحه ، ويحس بألمه ، ويدرك سبب غضبه . إلخ..... ، وفي هذا يقول الشاعر :

لا يعرف السم إلا من يكابده   ومن رأى السم لا يشقى كمن شربا

إن الإنسان أكثر معرفة بنفسه من غيره ، وفي هذا قال الله تعالى : (بل الإنسان على نفسه بصيرة) { القيامة * ١٤ }.

ولذا فلا بد لنا من أن نلجأ للشخص نفسه ليسجل لنا ما يدور في نفسه وما يشعر به فيتأمل نفسه بشكل مقصود منظّم ليعرف ما يمر به من ظاهرات نفسية ، محاولاً معرفتها وتفسير أسبابها ومعرفة تطورها .

قال تعالى : (وفي أنفُسِكمْ أفَلا تُبْصِرونَ) {الذاريات * ٢١ } ، وضرب لنا مثلا في ذلك ، فقال (انْظُرْ كَيْفَ كَذَبوا عَلى أَنْفُسِهِمْ وضَلَّ عَنْهُمْ ما كانوا يفْتَرون) { الأنعام * ٢٤ } .

وهذا المنهج ينفرد به علم النفس ويتميز به عن سائر العلوم ، ذلك أننا حين نلاحظ الحوادث الطبيعية يكون الملاحِظ مستقلاً عن الحقائق التي يلاحظها ، ولكننا نرى هنا أن الشخص يلاحظ نفسه بنفسه .. فالدارس هو الشعور ، والمدروس هو الشعور أيضا ، أي أن الشعور يدرس نفسه بنفسه .

وقد قدمّ لنا هذا المنهج فوائد كثيرة فيما يتعلق بالتفكير والتخيل والانفعالات وقد بيَن الغزالي أهمية هذا المنهج بالحديث عن نفسه ، فقال :

« ثم لاحظت بعض الاحوال فإذا أنا منغمس في العلائق ، وقد أحدقت بي من كل الجوانب ولاحظت أعمالي وأحسنها التدريس ، فإذا أنا فيها مقبل على علوم غير هامة ولا نافعة .. ثم

تفكرت في نيتي في التدريس فإذا هي غير خالصة لوجه الله تعالى ، بل باعثها ومحركها طلب الجاه وانتشار الصيت[١٦] » .

وعلى الرغم من هذه الخدمات الجليلة ، فقد وَجّهت للمنهج الذاتي اعتراضات متعددة ، نذكر منها :

١- إن تأمل الأنسان نفسه لا يمكن أن يؤدي لعلم له الصفة الموضوعية ، إذ لا يمكننا أن نصل من مجرد ملاحظات فردية إلى قوانين عامة شاملة تنطبق على جميع الناس .

٢- لا يستطيع الإنسان دراسة حالته النفسية عندما يكون منفعلا ، إذ أن مجرد محاولة التفكير في الانفعال أثناء حدوثه يخفف من حدّته ، فالتفكير في الغضب يضعفه ، والتفكير في الحزن يزيله . إلخ....

٣- لا يمكن للأطفال أو المجانين أو البدائيين أن يلاحظوا ذواتهم ويعبروا عن أنفسهم لقصورهم في الملاحظة وعجزهم عن التعبير ، ولهذا كان منهج التأمل الذاتي عاجزا عن إعطاء معلومات عن نفسية الأطفال أو المجانين أو البدائيين .

٤- إن الظاهرة النفسية دائمة الجريان ، ونحن لا نستطيع أن نثبتها كي نتأملها ، كما لا يمكن فصلها عن مجموع الطاهرات التي مرّت بنا وتجمعت في نفسنا ، فكيف نفصل الحاضر عن الماضي ، وما زال هذا الماضي حيًّا في نفوسنا .

هذه هي أبرز الاعتراضات التي وُجّهت لمنهج التأمل الذاتي ، ومع ذلك فلا يمكن الاستغناء عنه لأن عملية مجاهدة النفس ورياضتها ومعرفة عيوبها ومراقبتها إنما تعتمد في جوهرها على التأمل الذاتي للتعرف على أحوال النفس وشواغلها .

المنهج الموضوعي

لاحظ الناس أن للحالات الشعورية الداخلية ، مظاهر جسمانية خارجية ، وأنه يمكن استنتاج الحالات الشعورية الداخلية عند الفرد من ملاحظة سلوكه الظاهري (من ألفاظ وإيماءات وأوضاع) مثال ذلك :

دخل شخص منزله في الليل ، فإذا بلص يظهر أمامه وفي يده سكين حادة ، فاصفر وجه صاحبنا ونضح عرق بارد على وجهه وجمد في مكانه ، واضطربت أنفاسه ولم يستطع النطق بكلمة واحدة ، فنحن نستدل من هذه المظاهر الجسدية الخارجية على أن هذا الشخص يمر بظاهرة نفسية هي الخوف .

ويتوقف تفسير الباحث لهذه المظاهر التي يدرسها على خبرته الشخصية ودرجة يقظته وشدة انتباهه وقوة ملاحظته ، كأن أرى شخصا يبدو ارتخاء على جانبي فمه ، فأستدل من ذلك أنه

(١٦)- المنقذ من الضلال . أبو حامد الغزالي ١٠٠

حزين ، وقد جاء في المثل العربي : (عين الفتى تخبر عن قلبه) .
وقد تمكن العلماء بهذا المنهج من دراسة معظم مسائل علم النفس كالانفعالات والتعلم والتذكر والنسيان إلخ..... ، كما استطاعوا إنشاء علم نفس الطفل ، وعلم نفس الحيوان ، وعلم النفس المَرَضي .
ومع ذلك فلم يسلم هذا المنهج من بعض الاعتراضات ، وأهمها :
١- إن تفسيراتنا لسلوك الآخرين كثيرا ما تتأثر بميولنا وعواطفنا وأفكارنا السابقة نحوهم فأنا لا أرى فيمن أحبه إلا الصفات الحسنة ، كما لا أرى فيمن أكرهه إلا الصفات الرديئة ، لأنه من الصعب على الإنسان حين يدرس تصرفات الآخرين أن يتجرد عن نزعاته السابقة وأهوائه الخاصة ، ويطرح عواطفه وميوله ، وفي هذا المعنى يقول الشاعر :

وعين الرضا عن كل عيب كليلة　　　كما أن عين السخط تبدي المساوئا

٢- قد يفسر الإنسان حالة نفسية يلاحظها تفسيرا خاطئا فيردها إلى غير أصولها ، كأن أحكم على شخص بأنه حزين لأنني رأيته يبكي،بينما يكون الدافع له على البكاء هو فرحه الشديد مثلاً بلقاء أخيه بعد غيبة طويلة ، وفي هذا المعنى يقول الشاعر:

هجم السرور عليّ حتى أنه　　　من فَرْط ما قد سرّني أبكاني
يا عينُ قد صار البكا لك عادةً　　　تبكين في فرح وفي أحزان

أشار القرآن الكريم منذ القديم إلى هذه المشكلة ، وبيّن أن السلوك الظاهر لا يدل دائما وبشكل حتمي على الحالة النفسية الداخلية ، وأن الظاهر قد لا يدل على الباطن ، وعرض لنا في ذلك ثلاث حالات نفسية :
أ- أعداء يتظاهرون بالطيبة : فهناك أناس قد يعجبنا كلامهم ، ويروق لنا سلوكهم ونتصور فيهم المحبة ، ونتوسم فيهم الطيبة والعظمة ، والواقع على خلاف ما ذكرنا ، إنهم أناس سيئون ، تغلغلت العداوة في نفوسهم،وعشّشت البغضاء في أعماقهم ، يتحدث الله تعالى عنهم فيقول : (وَمِنَ النّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ في الحَيَاةِ الدُّنْيا　وَيُشْهِدُ اللّهَ عَلى ما في قَلْبِهِ　وَهُوَ ألَدُّ الخِصام) { البقرة * ٢٠٤ } .
ب- فقراء تظنهم أغنياء : وهناك أناس فقراء ، لكن عزة نفوسهم تجعلهم لا يتسولون ولا يمدّون أيديهم بالسؤال ، ولا يطلبون صدقة من أحد ، فيخيّل إلينا أنهم أغنياء ميسورون (يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف * تعرفهم بسيماهم * لايسألون الناس إلحافا) (البقرة * ٢٧٣) .
جـ- منافقون يتظاهرون بالإيمان : وهناك بعض الناس ممن يقولون بألسنتهم ماليس في

قلوبهم ، ظاهرهم يختلف عن باطنهم ، يبطنون الكفر والشرك ، ويتظاهرون أمام الناس بالتقى والإيمان .

إنهم فئة أتقنت التمثيل ، وبرعت في الغش والتدليس ، وقد ينطلي أمرهم على الكثير من الناس ، إنهم فئة المنافقين . هنا يحلل الله تعالى موقفهم تحليلا دقيقا ، فيقول : (وليعْلَمَ الَّذينَ نافَقوا وقيل لهُمْ تعالَوْا قاتلوا في سبيلِ اللّهِ أو ادْفَعوا قالوا لوْ نعْلَمُ قِتالاً لاتَّبَعْناكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمئذٍ أقْربُ مِنْهُمْ للإيمانِ يقولونَ بأَلْسِنتهِمْ ماليْسَ في قُلوبِهِمْ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِما يكْتُمونَ) (آل عمران * ١٦٧)وأخيرا.. نرى أن الفرق بين المنهج الذاتي والمنهج الموضوعي ، هو أن الإنسان باصطناعه المنهج الأول يستطيع دراسة حالاته النفسية بنفسه فيصلح نفسه بنفسه ، بينما هو إذا اصطنع المنهج الثاني استطاع أن يدرس سلوك الآخرين بغية معرفتهم والتلاؤم معهم .

ولما كانت كلا المعرفتين ضروريتين لايستغني الإنسان عن أي منهما ، بذلك يصبح علم النفس هو (علم الخبرة الشعورية الذاتية ، والسلوك الظاهري التجريبي) .

الله أعلم بنفوسنا

إن معرفة الله بنفوس عبيده أمر طبيعي ونتيجة منطقية ، مادام هو خالقنا وبارئنا، خلقنا وخلق كل شئ ، والخالق أدرى بجزيئات خَلْقِهِ ، وقد أجاب رب العالمين عن ذلك باستفهام تلمح فيه رائحة تقرير الواقع،فقال :(أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللّطيفُ الْخَبيرُ)[الملك * ١٤)

٢-هذه المعرفة الإلهية مطلقة ... فهي عميقة وشاملة وغير محددة ، تمتد في كافة الاتجاهات والأبعاد ، سواء أظهرنا ما في نفوسنا أو حاولنا إخفاءه (واللهُ يعْلَمُ ما تُبْدون وماتكْتُمونَ) [المائدة * ٩٩)وسواء أسكتنا عنه أو أشعناه بين الناس(يعْلَمُ سِرَّكُمْ وجَهْرَكُمْ) (الأنعام * ٣) كيف لا (وعِنْدهُ مفاتِحُ الْغيْبِ لايعْلَمُها إلاّ هُو) (ويعْلَمُ مافي الْبرِّ والْبحْر وماتسْقُطُ منْ وَرقةٍ إلاّيَعْلَمُها ولاحَبَّةٍ في ظُلُماتِ الأرْضِ وَلارَطْبٍ ولايابِس إلاّفي كتابٍ مُبينٍ)[الأنعام * ٥٩) .

٣- ولاتقتصر معرفة الله تعالى على النواحي النفسية العامة والاتجاهات الشاملة العريضة، بل تتناول خفايا النفس ، وتشمل هواجسها ورغباتها ، وأدق خلجاتها ومشاعرها .

إن الله يوضح لنا ذلك ،فيقول مؤكدا أنه هو الذي خلق الإنسان (وَلقدْ خلَقْنا الإنْسان) ولهذا فهو يعلم وساوسه النفسية (ونعْلمُ ماتُوَسْوِسُ بهِ نفْسُهُ)وهي معرفة ناشئة عن قرب (ونحْنُ أقْربُ إليْهِ مِنْ حبْلِ الْوريد) . .استمع للصورة المتكاملة للمعرفة الإلهية بنفوسنا (ولقدْ خلقْنا الإنْسانَ ونعْلمُ ما تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إليهِ مِنْ حَبْلِ الْوَريدِ [ق * ١٦]

٤- ولقد بلغت معرفة الله تعالى القمة في المعرفة النفسية حين بيّن لنا أنه يعرف في نفوسنا

أمورا لانعرفها نحن بالذات ، ويدرك مشاعر تعيش في أعماقنا ، ولانشعر بها نحن ، إنها (اللاشعور) .

إنه يعرف ما أخفيناه عن غيرنا ، وتعمدّنا فيه هذا الإخفاء ، واعتبرناه سراً من أسرارنا التي لايجوز لغيرنا أن يطلع عليها (فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ) .

وهو في الوقت نفسه يعرف ما هو أعمق من السر ، شيئا لم نتعمد إخفاءه وكتمه ، لأنه كتم نفسه بنفسه ، شيئا يعيش في أعماقنا ، لايموت ولاينسى ، إنه ينتظر الفرصة للخروج ، ويعبر عن ذاته بأساليب شتى ، هنا يقول الله تعالى : (فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى) (طه * ٧) .

ماذا ينبني على معرفة الله بنفوسنا ؟

وإذا عرفنا حق المعرفة أن الله تعالى أعلم منا بنفوسنا فإن ذلك يوصلنا إلى الإعتقاد بأن الله خالق كل شيء، هو قبل كل شيء، وبعد كل شيء، قادر على كل شيء، وبيده كل شيء.

وهذا يؤدي بالإنسان إلى بروز مجموعة من مشاعرالخوف تجاهالله تعالى : (واعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ما في أَنْفُسِكُمْ فاحْذَروهُ) (البقرة * ٢٣٥) .

إننا نخاف الله تعالى لأن الله جبار قادر ، لايخفى عليه شيء في السماء أو الأرض .

نخاف الله لأن حياتنا من تكوينه ، وبيده شقاؤنا وسعادتنا .

وإذا تبلور خوفه في قلوبنا فإننا سنحاسب أنفسنا ونراقبها قبل أن يحاسبها خالقها ، وهذا هو أعلى درجات التربية في الإسلام :

لاتنتهي الأنفس عن غيّها مالم يكن منها لها زاجر

* * *

الحياة النزوعية

الحياة والدوافع

الحياة الإنسانية متشابكة معقدة ، تدفع الناس إلى السعي في مسالك شتى ، فيدفعنا الغضب إلى المقاتلة ، والخوف إلى الهرب ، والجوع إلى الأكل .

وهكذا تمضي بنا الحياة ، فإذا هي تفاعل مستمر ، يصل حاضر المرء بماضيه ، ويعدّل الإنسان دوافعه حسب الظروف التي يعيش فيها ، ثم يتطلع إلى المستقبل ، فيشقى في حاضره ليسعد في مستقبله .

تعريف الدافع

إن الدوافع هي : (الطاقات الكامنة في الكائن الحي . تدفعه ليسلك سلوكاً معيناً في العالم الخارجي . محددة له الهدف الذي يرمي إليه) .

وهكذا يتضمن الدافع معنى الدفع والتحريك فهو قوة داخلية موجهة .

قوة الدوافع

أشار ابن سينا وابن مسكويه [١] إلى أن قوة الدوافع ترتبط بتطور ظهورها ، فالميول التي تظهر في بداية حياة الإنسان تكون أقوى من غيرها [٢] .

وفي هذا يقول الغزالي : « أما القوة الشهوية - يقصد بها ميول الطعام - ففيها مضرة ومنفعة ، وهي أصعب إصلاحا من سائر القوى لأنها أقدم القوى وجودا في الإنسان،وأشدها تشبثاً ، وأكثرها منه تمكنا ، فإنها تولد معه وتوجد فيه [٣] » .

ثم تظهر شهوة الفرج (الجنس) : فهي الألصق ببقاء الحياة ، وكل ما سواها فهو تَبَع لها [٤] .

تصنيف الدوافع

صنف الغزالي دوافع الإنسان حسب جملة من الاعتبارات :

فالتصنيف الاول حسب (طبيعة الإنسان الخلقية) :

١- الميول البهيمية كالشره والكَلَب والرغبة بقضاء الشهوة [٥] .

وينتج عن هذه الميول استعدادات نفسية وصفات أخلاقية ، كالوقاحة والخبث ، والتبذير

---

(١)-ابن مسكويه (توفي ٤٢٠ هـ / ١١٣٠م ، تفوّق في الفلسفة والطب والكيمياء ، كان نفوذه عظيما في الري ، ألف (تجارب الأمم) في التاريخ ، و(تهذيب الأخلاق وتطهير الأعلاق) .

(٢)- تهذيب الأخلاق ، ابن مسكوية ، ٤٧

(٣)- معارج القدس ، أبو حامد الغزالي - ٨٤

(٤)- إحياء علوم الدين ، أبو حامد الغزالي ، ٣/ ٢٤٣

(٥)- إحياء علوم الدين ، أبو حامد الغزالي ، ٤/ ١٦

والتقتير ، والمجون والحرص والجشع [٦] .

٢- الميول السبعية أو الغضبية كالعداوة والبغضاء [٧] وتتولد عنها استعدادات وصفات أخلاقية كالغضب والتهجم على الناس [٨] .

٣- الميول الشيطانية : وتنشأ من اجتماع الغضب مع الشهوة [٩]، ويتصل بهذه الميول بعض الصفات الأخلاقية كالحيلة والمكر والخداع [١٠] .

٤- الميول الربوبية : وهي تعني نزوع الإنسان إلى الاتصاف بصفات الألوهية وينتج عنها الكبر والفخر ، وحب المدح ودوام البقاء ، وطلب الاستعلاء [١١] ، كما ينتج من ناحية أخرى العلم والحكمة واليقين والإحاطة بحقائق الأشياء [١٢] .

والتصنيف الثاني حسب (حب البقاء عند الإنسان) :

١- الميول الفردية التي يقوم عليها بقاء الإنسان وهي : الميل إلى الطعام والجنس . وتتفرع عنها ميول التملك وحب الدنيا والجاه .

٢- الميول الاجتماعية التي تتصل بالعائلة أو العشيرة والمجتمعات الإنسانية الواسعة .

٣- الميول العالية،أي حب الخير ، والحقيقة والميول الدينية الجمالية .

والتصنيف الثالث (على أساس الهدف والمقصد) :

هناك نوعان من السلوك :

١- سلوك يسير في خطوط متقاربة من سلوك الحيوان .

٢- سلوك يسير مقتربا من سلوك الملائكة .

ويمكن تصنيف الدوافع على هذا الأساس إلى نوعين :

١- دوافع الدين ، أو الميول الإنسانية الراقية : وهي تبعث على الطاعات والحياة الصالحة ويندرج تحتها باعث الخوف من الله والرجاء في حبه ، وتتصل به بواعث وانفعالات وعواطف من المحبة والشكر والتوكل .

٢- دوافع الهوى : وهي تشمل (الشهوة والغضب) :

وقد ذكر القرآن الكريم سبعة منها وهي : (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ * وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ) [آل عمران * ١٤]

---

(٦)- إحياء علوم الدين ، أبو حامد الغزالي ، ٣/ ١١

(٧)- إحياء علوم الدين ، أبو حامد الغزالي ، ٣/ ١٠

(٨)- إحياء علوم الدين ، أبو حامد الغزالي ، ٤/ ١٥

(٩)- إحياء علوم الدين ، أبو حامد الغزالي ، ٣/ ١٠

(١٠)-إحياء علوم الدين ، أبوحامد الغزالي ، ٤/ ١٥

(١١)-إحياء علوم الدين ، أبو حامد الغزالي ، ٤/ ١٥

(١٢)-إحياء علوم الدين ، أبو حامد الغزالي ، ٣/ ١١

وردها في موضع آخر إلى خمسة (اعْلَموا أنَّما الحَياةُ الدُّنْيا لَعبٌ وَلَهْوٌ وَزينةٌ وتَفاخُرٌ بيْنكَمْ وَتَكاثُرٌ في الْأَمْوالِ وَالْأَوْلادِ) { الحديد * ٢٠ }.
ثم ردها في موضع آخر إلى اثنين فقط (إِنَّما الْحَياةُ الدُّنْيا لَعبٌ وَلَهْوٌ) { محمد * ٣٦ } .
ثم رد الكل إلى واحد ، ونهي النفس عن الهوى [١٣] .

أنواع الدوافع

إن حب الحياة هو الدافع الأساسي في الكيان البشري ، وهو يشمل فرعين رئيسيين أولهما حفظ الذات (ويمثله الميل للطعام) ، وثانيهما حفظ النوع الإنساني (ويمثله الميل الجنسي) . وهناك دوافع فردية (ويمثلها حب التملك والميل للسيطرة) ودوافع اجتماعية ويمثلها(حب اجتماع الناس ببعضهم) .
وقد اعتبر فلاسفة الإسلام هذه الدوافع شهوات ، وفي هذا يقول عبد المنعم الجلياني [١٤] : «ثلاثة أمور من فتح على نفسه بابا منها نهبت عمره وأذهبت لبه ، وهي : الولوع بنيل الشهوات ، والنهم بكسب المال ، واللهج بمعرفة أحوال الناس » .
وفي هذا قال العرب في أمثالهم : (من كرمت عليه نفسه هانت عليه شهواته).

الدوافع الفطرية

يقصد بالدوافع الفطرية تلك الدوافع التي لم يكتسبها الفرد من بيئته عن طريق التعلم والتدريب ، فهي استعدادت يولد الإنسان مزودا بها ، كالطفل المولود حديثا فإنه يحسّ بحلمة ثدي أمه تلمس فمه فيأخذ بامتصاص الحليب .
وسنبحث من الدوافع الفطرية (الأكل . الجنس . التملك . السيطرة) .

الأكل :

يمثل هذا الدافع حاجة من أبرز الحاجات البيولوجية عند الكائن الحي لأنه يؤمن البقاء الفردي ، وقد خلق الله تعالى الغذاء وخلق في الحيوان شهوة تبعثه على تناول الغذاء « وإنما خلقت هذه الشهوة لتأكل فيبقى به بدنك [١٥]» .
ويعتبر الغزالي هذا الدافع أساس جميع الد وافع المتعلقة بالحياة ، سواء ما كان منها فطريا أو اكتسابيا ، فيزيولوجيا أو نفسيا ، فهي أساس حب التملك وتحقيق الذات ، كما أنه أساس مختلف الآفات التي تعتري النفس [١٦] .

---

(١٣)- إحياء علوم الدين ، أبو حامد الغزالي ، ٤/ ٢٢٢
(١٤)- عبد المنعم الجلياني الغساني الأندلسي (٥٣٠- ٦٠١ هـ/١١٣٦ - ١٢٠٥م) ، طبيب وشاعر وأديب ومتصوف من أهل (جليانة) . انتقل لدمشق وأقام فيها حتى وفاته ، كان السلطان صلاح الدين الأيوبي يحترمه . له عشرة دواوين ، منها (ديوان أدب السلوك) .
(١٥)- إحياء علوم الدين ، أبو حامد الغزالي ، ٤/ ١٠٨
(١٦)- إحياء علوم الدين ، أبو حامد الغزالي ، ٣/ ٧٧

كما قد يكون هذا الدافع أساسا للمهلكات والمعاصي أيضا ، وذلك حين يتحكم في السلوك والفكر ، ويصبح غاية تقصد لذاتها(١٧) .

وقد نظّم الإسلام هذا الدافع بمنهجين وهما : (إسلامية الطعام . مبدأ الاعتدال)

إسلامية الطعام : وهي تشمل :

١- أن يكون الطعام من مصدر حلال ، فتكون في ذلك طيبته واستساغته (وَكُلوا مِمّا رَزَقَكُمُ اللّهُ حَلالاً طَيِّباً) { المائدة * ٨٨ } .

٢- أن لا يستأثر الإنسان وحده بالطعام ، بل لا بد للبائس الفقير أن يشارك فيه (فَكُلُوا مِنْها وَأَطْعِموا الْبائِسَ الْفَقيرَ) { الحج * ٢٨ } ، وليس ذلك من قبل الصدقة أو الإحسان ، فللفقير حق في ذلك قدره الله تعالى (وَالَّذينَ في أَمْوالِهِمْ حَقٌّ مَعْلومٌ * لِلسّائِلِ وَالْمَحْرُوم) {المعارج * ٢٤- ٢٥ } .

٣- أن يكون الطعام وسيلة للحياة ، لا للنهم أو التلذذ بالمضغ ، فقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام : « بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه » رواه أحمد والترمذي وأبن ماجه والحاكم .

٤- أن لا نأكل طعاما لم يُذكر اسم الله عليه :(وَلا تَأْكُلوا مِمّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ) {الانعام * ١٢١ } .

٥- أن ينهي المسلم طعامه بحمد الله على ماأفاضه على الإنسان من النعم ، ولذا لا عجب أن تكون أول آية في القرآن الكريم هي (الْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعالَمِينَ) { الفاتحة * ٢ }.

مبدأ الاعتدال : يتوجب على الإنسان عدم الإسراف في الطعام (كُلوا واشْرَبوا وَلا تُسْرِفوا) { الأعراف * ٣١ } وقد وضح الرسول صلى الله عليه وسلم عدم الإسراف فقال : « نحن قوم لا نأكل حتى نجوع ، وإذا أكلنا لا نشبع » .

أما فوائد الاعتدال في الأكل فقد ذكر الغزالي أربعة منها ، وهي :

١- الفوائد الأخلاقية : وتشمل زوال البطر ، والاستيلاء على النفس الأمارة بالسوء ، والتمكن من الإيثار والتصدق .

٢- الفوائد الدينية : وتشمل رقة القلب ليتهيأ لإدراك لذة المثابرة والتأثر بذكر الله ، وعدم نسيان بلاء الله ، وتيسير المواظبة على العبادة .

٣- الفوائد النفسية : وتتمثل في صفاء القلب وإيقاد القريحة وإنفاذ البصيرة ، وقد قال العرب في أمثالهم : (البطنة تُذهب الفطنة) .

٤- الفوائد المادية : وتشمل صحة البدن ودفع الأمراض وقلة الصرف .

الجنس :

وهو دافع أساسي عند الحيوان والإنسان . وقد أقرّ به القرآن الكريم حيث قال تعالى (زُيِّنَ لِلنّاسِ حُبُّ الشَّهَواتِ مِنَ النِّساءِ) { آل عمران * ١٤ } .

(١٧)- الأربعين في أصول الدين ، أبو حامد الغزالي ، ١٠١

وعلّق الغزالي على ذلك فقال : « إن أعظم الشهوات عند الإنسان شهوة النساء ، وهي أغلب الشهوات عليه وأعصاها عند الهيجان على العقل [١٨] » .

ويظهر هذا الميل عند الإنسان في فترة المراهقة ، ويضعف في حال الكبر والشيخوخة ، ويتمثل في الحاجة الجنسية التي تثير الرغبة للاتصال الجنسي .

ولكن الغريزة الجنسية لا تنشط إلا بمثير ، وهذا هو الشان في كل استجابة سلوكية ، لأنها إنما تكون نتيجة لاجتماع الدافع والمثير .

والذي يثير الميل الجنسي إما أن يكون خارجيا أو داخليا ، فأما المثير الخارجي فيكون عن طريق إحدى الحواس وخاصة النظر ، وأما المثير الداخلي فيكون عن طريق الخواطر، ولئن كان هذا الميل شديد الأهمية في حياة الإنسان وسلوكه ، إلا أن الغزالي لم يجعل منه الدافع الوحيد في الحياة ، كما فعل ذلك بعض علماء النفس المحدثين نتيجة لبعض الدراسات التي قاموا بها على المرضى .

وظيفة الجنس : أودع الله تعالى هذا الدافع في الإنسان لهدفين :

١- الإستمتاع الحسي: وهو أمر يشترك فيه الإنسان مع الحيوان،و الإسلام يحاول أن لا يجعلنا نتقوقع حول هذا الهدف ، لأنه وسيلة لغاية .

٢-المحافظة على النوع:حيث يقول الغزالي:«إن شهوة الجماع خلقت لتكون باعثة للإنسان على الجماع وهو سبب بقاء النوع الإنساني،فيطلب النكاح للولد والتحصن لا للعب والتمتع [١٩] » أي أن المؤمن الحقيقي لا يكون هدفه من الجماع مجرد الإستمتاع الحسي فقط ، بل بالإضافة إلى ذلك يجب أن يهدف إلى التناسل ، يقول الحبيب المصطفى : « تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم » رواه أبو داود [٢٠] .

الزواج :اعتبر الإسلام الزواج رابطة جنسية مشروعة بين الرجل والمرأة ، واعتبر الزواج سترا للفروج والأعراض والعورات، .

ولهذا حض الإسلام المؤمنين على الزواج فقال لهم : (فَانْكِحوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النِّساءِ مَثْنى وَثُلاثَ وَرُباعَ فَإِنْ خِفْتُمْ ألاّ تَعْدِلوا فَواحِدَةً) { النساء * ٣ } .

واعتبره نصف الدين ، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « إذا تزوج العبد فقد استكمل نصف دينه ، فليتق الله في النصف الباقي » رواه البيهقي [٢١] .

(١٨)- إحياء علوم الدين ، أبو حامد الغزالي ، ٣/ ٩٧

(١٩)- معارج القدس في مدارج معرفة النفس . أبو حامد الغزالي ، ٦٥

(٢٠)- أبو داود - سليمان بن الأشعث السجستاني (٢١٠- ٢٧٥ هـ / ٨١٧- ٨٨٩ م) ، من سجستان في السند ، محدث ، تلميذ أحمد بن حنبل ، استقر في البصرة وتوفي فيها ، صنفّ (السنن) .

(٢١)- البيهقي أحمد بن الحسين (٣٨٣- ٤٥٧ هـ/ ٩٩٤- ١٠٦٦ م) ، من أئمة الحديث ، ولد في بيهق بنيسابور ، ألف نحو ألف جزء منها (السنن الكبرى ، الترغيب والترهيب ، فضائل الصحابة) .

وظائف الزواج : وهي تشمل ثلاثة أنواع من الوظائف :

١- وظائف نفسية : إن علاقة الرجل بالمرأة عن طريق الزواج تهدف إلى غاية نفسية جوهرية وهي الوصول إلى السكينة والطمأنينة النفسية : (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنوا إِلَيْها وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحمةً) { الروم * ٢١ } .

كذلك من النواحي النفسية ، أن الإسلام علمنا حسن المعاملة الزوجية ، فقد خطب عمرو بن حجر ملك كندة أم إياس بنت عوف بن محلم الشيباني ، ولما حان زفافها إليه ، خلت بها أمها (أمامة بنت الحارث) فقالت لها :

(أي بنية ... إن الوصية لو تُركت لفضل أدب لتركت ذلك لك ، ولكنها تذكرة للغافل ومعونة للعاقل .ولو أن امرأة استغنت عن الزوج لغنى أبويها وشدة حاجتهما إليها ، كنت أغنى الناس عنه . ولكن النساء للرجال خُلقن ، ولهن خُلقن الرجال .

أي بنية ...إنك فارقت الجو الذي منه خرجت ، وخلّفت العش الذي فيه درجت ، إلى وكر لم تعرفيه ، وقرين لم تألفيه ، فأصبح بملكه عليك رقيبا ومليكا ، فكوني له أمة يكن لك عبدا وشيكا .

واحفظي له خصالا عشرا تكن لك ذخرا :

أما الأولى والثانية : فالخضوع بالقناعة ، وحسن السمع والطاعة .

وأما الثالثة والرابعة : فالتفقد لمواضع عينه وأنفه ، فلا تقع عينه منك على قبيح ، ولا يشم منك إلا أطيب ريح .

وأما الخامسة والسادسة : فالتفقد لوقت منامه وطعامه ،فإن تواتر الجوع ملهبة،و تنغيص النوم مغضبة .

وأما السابعة والثامنة : فالاحتراس بماله والإرعاء على حشمه وعياله ، وملاك الأمر في المال حسن التقدير ، وفي العيال حسن التدبير .

وأما التاسعة والعاشرة : فلا تعصين له أمرا ، ولا تفشين له سرا ، فإنك إن خالفت أمره أوغرت صدره ، وإن أفشيت سره لم تأمني غدره ، ثم إياك والفرح بين يديه إن كان مغتما ، والكآبة بين يديه إن كان فرحا) .

٢-وظائف تربوية : وهي تشمل التحصن وترقية النوع :

فالتحصن هو وصول الرجل إلى مرحلة نسبية من الاكتفاء الجنسي مما يردعه عن الحرام كالزنى والابتعاد عن أساليب الانحراف كاللواط بالنسبة للرجل والسحاق بالنسبة للمرأة .

أما ترقية النوع فهو أعلى مستوى من مجرد حفظ النوع ، لأن ترقية النوع هو البعد الجديد في الإنسان الذي ميزه عن بقية المخلوقات .

فحفظ النوع يتم بمجرد التناسل والتوالد وهو أمر موجود عند الإنسان وعند الحيوان ، أما

ترقية النوع فلا توجد إلا عند الإنسان فقط لأنها تقوم على التربية والدين .

٣- وظائف دينية : فقد جعل الإسلام في الجماع أجرا وثوابا عند الله تعالى :

قال أبو ذر الغفاري [٢٢] : « أن أناسا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، قالوا للنبي : يارسول الله ، ذهب أهل الدثور (الأغنياء) بالاجور . يصلون كما نصلي ، ويصومون كما نصوم ، ويتصدقون بفضل أقواتهم . قال : أوليس قد جعل الله ما تصدقون ؟

إن بكل تسبيحة صدقة ، وبكل تكبيرة صدقة،وبكل تهليلة [٢٣] صدقة ،والنهي عن المنكر صدقة ، وفي بضع أحدكم[٢٤] صدقة .

قالوا : يا رسول الله ، أويأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟

قال : أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه زور ؟

قالوا : بلى . قال : وكذا إذا وضعها في الحلال كان له فيها أجر ، وذكر أشياء صدقة صدقة ، ثم قال : ويجزيء من هذا كله : ركعتا الضحى) رواه مسلم والنسائي [٢٥]

اختيار الطرف الثاني في الزواج : تسامى الإسلام بالمستوى الفني لاختيار الزوجة أو لاختيار الزوج فكيف كان ذلك ؟

١- تعوّد الشاب أن يختار زوجته إذا كانت غنية ، أو متعلمة ، أو من عائلة شهيرة ، أو كانت متدينة ، أو كانت جميلة . إلخ.... وهذا الاختيار قضية شخصية ذوقية لا يمكن التحكم فيها فكيف تسامى الإسلام فيها ؟

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « تُنكح المرآة لأربع :لمالها ولحسبها ولدينها ولجمالها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك » رواه البخاري [٢٦] ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه .

٢- وكذلك:كيف تختار الفتاة زوجها ؟

هل تختار الشاب المثقف ، أو الجميل الأنيق ، أو الغني الموثر ، أو المتدين الخلوق ، أو صاحب المركز الاجتماعي الشهير ؟

أجاب الرسول صلى الله عليه وسلم نقلا عن أبي حاتم المزني رضي الله عنه : « إذا جاءكم من

---

(٢٢)- أبو ذر الغفاري - جندب بن جنادة (توفي ٣٠هـ / ٦٥٢م) ، من كبار الصحابة ، اشتهر بورعه وفصاحة لسانه ، من أعظم المحدثين ، هاجر بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الشام ، توفي بجوار المدينة .

(٢٣)- التهليلة : قول الإنسان (لا إله إلا الله) .

(٢٤)- البضع : الجماع

(٢٥)- النسائي -أحمد بن علي (٢١٤- ٣٠٢ هـ/ ٨٣٠- ٩١٥ م) القاضي الفاضل ، شيخ الإسلام،ولد في (نسا) بخراسان ، سكن مصر ، ألف (السنن الكبرى) في الحديث،و(المجتبى) .

(٢٦)- البخاري : محمد بن إسماعيل (١٩٣- ٢٥٥ هـ/ ٨١٠- ٨٧٠م) ، ولد وتوفي في بخاري ، من المحدثين ، ألف (الجامع الصحيح) و (الضعفاء) في رجال الحديث . جمع نحو ست مئة ألف حديث .

ترضون دينه وخلقه فزوجوه ، إلاّ تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد » رواه الترمزي [٢٧] .

وفي هذا يقول الحسن البصري [٢٨] رحمه الله : « زوجوا بناتكم من صاحب االدين ، فإنه إذا أحبها أكرمها ، وإن كرهها لم يظلمها » .

محاربة الانحراف في إشباع الجنس

وهي تشمل خمسة أنواع من الانحرافات ، منعها الإسلام وحاربها ، منها :

١- **الرهبانية والتبعل**: نهى الإسلام عن التطرف في إشباع الدافع ولوكان إلى أعلى ، لذلك منع الرهبانية التي تقوم على القضاء على نوازع الجسد من أجل العبادة (وَرَهْبانِيّةَ ابْتَدَعوها ما كَتَبْناها عَلَيْهِمْ) { الحديد * ٢٧ } ، كما نهى الإسلام عن التبتل : وهو الامتناع عن النكاح من أجل العبادة .

« يروى أن ثلاثة رجال جاؤوا إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادته فلما أخبروا عنها كانهم تقالوها [٢٩] فقالوا : وأين نحن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر .

فقال أحدهم : أما أنا فإنني أصلي الليل أبدا . وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر . وقال آخر أنا أعتزل النساء ولا أتزوج أبدا .

فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟

أماوالله إني لأخشاكم لله وأتقاكم ، ولكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني » . رواه البخاري .

٢- **الزنى** : حارب الإسلام الزنى واعتبره من الفواحش (وَلا تَقْرَبوا الزّنى إِنّهُ كانَ فاحِشَةً وَساءَ سَبيلاً) { الإسراء * ٣٢ } .

وذلك لأن (الزّاني لا يَنْكِحُ إلاّ زانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً * وَالزّانِيَةُ لا يَنْكِحُها إلاّ زانٍ أَوْ مُشْرِكٌ * وَحُرِّمَ ذلِكَ عَلى المُؤْمِنينَ) { النور * ٣ } .

وشدد الإسلام في عقوبة الزنى،فحدد العقوبة بمئة جلدة لكل منهما ، وتكون العقوبة على مرأى من الناس (الزّانِيَةُ وَالزّاني فَاجْلِدوا كُلّ واحِدٍ مِنهما مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِما رَأْفَةٌ في دينِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنونَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذابَهُما طائِفَةٌ مِنَ المُؤْمِنينَ) { النور * ٢ } وإثبات الزنى لا يكون مجرد تهمة أو ادعاءً لفظيا ، بل يتطلب ذلك أربعة شهود (وَاللاّتي

(٢٧)- الترمذي : محمد بن عيسى (٢٠٨- ٢٧٩ هـ/ ٨٢٤- ٨٩٣ م) من بلدة (ترمذ) بإقليم ما وراء النهر ، قام برحلات لطلب العلم ، من مؤلفاته (الصحيح) .

(٢٨)- الحسن البصري (٢٠- ١٠٩هـ/٦٤٢- ٧٢٨م) ولد في المدينة ، ثم استقر في البصرة وفيها توفي كان ورعا تقيا ، أثر تأثيرا عميقا في الحركة الدينية في الإسلام .

(٢٩)- تقالوها : وجدوها قليلة .

يَأتينَ الفاحِشَةَ مِنْ نِسائِكُمْ فاسْتَشْهِدوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ) { النساء* ١٥ } .
وفي الوقت نفسه وضع الإسلام عقوبة لرمي المحصنات ، فقال : (وَالَّذينَ يَرْمونَ المُحْصَناتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتوا بِأَرْبَعَةِ شُهَداءَ فَاجْلِدوهُمْ ثَمانينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلوا لَهُمْ شَهادةً أَبَداً وَأُولَئِكَ هُمُ الفاسِقونَ) { النور * ٤ } .
٣- اللواط: وهو شذوذ جنسي،أول من لجأ إليه قوم لوط عليه السلام ، فقد قال لهم سيدنا لوط عليه السلام : (ما سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أَحدٍ مِنَ العالَمينَ) { الأعراف * ٨ } .
وقد استغرب سيدنا لوط عليه السلام شذوذهم هذا ، فتساءل قائلا : (أَتَأْتونَ الفاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرونَ) { النمل * ٥٤ } .
ثم وضح طبيعة هذا الشذوذ،فقال:(إِنَّكُمْ لَتَأْتونَ الرِّجالَ شَهْوَةً مِنْ دونِ النِّساءِ){ الأعراف* ٨١ }
وحكم عليهم فقال : (بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفونَ) { الأعراف * ٨١ } ، ثم قال : (بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلونَ) { النمل * ٥٥ } .
وقد كشفت نظريات الطب الحديثة عن مرض خطير (مرض الآيدز) الذي ينشأ من تعاطي اللواط سواء بالنسبة للفاعل أو المفعول به ، ولذا لا تستغرب أن يتشدد الرسول صلى الله عليه وسلم في عقوبة اللواط بحديث رواه ابن عباس [٣٠] رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم ،قال:« من وجد تموه يعمل قوم لوط،فاقتلوا الفاعل والمفعول به » رواه أصحاب السنة [٣١]
٤- السحاق : وهو شذوذ جنسي قد يوجد بين النساء ، حيث تباشر المرأة امرأة مثلها ، وقد نهى الإسلام عنه ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : « لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل،و ولا المرأة إلى عورة المرأة ، ولا يفضي [٣٢] الرجل إلى الرجل في الثوب الواحد ، ولا تفضي المرأة إلى المرأة في الثوب الواحد » رواه مسلم و غيره .
٥- الجماع في الحيض:منع الإسلام الجماع في الحيض ، وذلك لما يؤدي إليه من ضرر صحي جسماني فكيف كان ذلك ؟ .
قال تعالى : (وَيَسْأَلونَكَ عَنِ المَحيضِ قُلْ هُوَ أَذىً فَاعْتَزِلوا النِّساءَ في المَحيضِ وَلا تَقْرَبوهُنَّ حَتّى يَطْهُرْنَ فَإِذا تَطَهَّرْنَ فَأْتوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ) { البقرة * ٢٢٢ } .
جاء في تفسير المراغي : أثبت الطب الحديث أن الجماع في فترة الحيض يحدث أضرارا نذكر

(٣٠)- ابن عباس : عبد الله بن عباس القرشي (٨- ٢٠٧٩هـ/ ٦١٩- ٦٨٧ م) ، حبر الأمة ، صحابي جليل ، ولد بمكة ، شهد مع علي الجمل وصفين ، سكن الطائف وتوفي فيها ، له في الصحيحين (١٦٦٠) حديثا .
(٣١)- أصحاب السنن : أشهرهم : (ابن حنبل وابن ماجه . وأبو داود والبخاري والبيهقي والترمذي والدارمي ومالك ومسلم والنسائي) .
(٣٢)- الإفضاء : إلصاق الجسد بجسد آخر .

منها :
أ- بالنسبة للمرأة : آلام في الأعضاء التناسلية عند الأنثى ، وربما حدثت التهابات في الرحم أو المبايض مما يضر بصحتها ضررا بليغا ، قد يساهم في إحداث العقم .
ب- بالنسبة للرجل : إن دخول مواد الحيض في عضو التناسل عند الرجل قد يحدث التهابا صديديا يشبه السيلان ، وربما امتد ذلك إلى الخصيتين فآذاهما ، وقد يصاب الرجل بمرض الزهري إذا كانت جراثيمه موجودة في دم المرأة .
الضبط والاستعفاف : وهو عملية تحكيم العقل وسيطرته على الغريزة وتوجيهها في الاتجاه الصحيح الذي يرضاه لها الإسلام ، وقد جاء ذلك بأمر من الله تعالى حيث قال : (وَلْيَسْتَعْفِفِ الذِّين لا يَجِدونَ نِكاحاً حَتّى يُغْنِيَهُمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ) { النور * ٣٣ } .
يقول الدكتورعبد الكريم العثمان: «إن عملية الضبط تختلف عن الكبت،لأن الكبت عملية قمع لا شعوري،في حين أن عملية الضبط عملية إرادية،،وسلوك الإنسان في الضبط سلوك إرادي يتميز بالقدرة على الكف وتركيز الانتباه في اتجاه مرسوم،وذلك لتحقيق إعلاء الميول [٣٣] » .
وقد تمثل هذا الضبط في قصة سيدنا يوسف عليه السلام ، وهي نموذج من نماذج القصص الهادف تضع أمامنا لوحة حية للشرف ، موحية بالطهر ، نابضة بالعفة [٣٤] .نرى فيها شبابا فائرا ثائرا واشتهاء متمكنا . نرى الجو المتهيء والرغبة المندلعة والجوع الجنسي . نرى العاطفة المتأججة تطول ألسنتها ، ويندلع فحيحها في وجه العقل الصامد .
نرى امرأة العزيز تعد العدة وتستخدم أسلحتها وأساليبها :
تبدي زينتهاوتظهر مفاتنها ، تتفنّن وتتحايل ، ويوسف يستعصم ويقاوم بعد أن رأى برهان ربه : (وَراوَدَتْهُ الّتي هُوَ في بَيْتِها عَنْ نفْسِهِ وغَلّقَتِ الأبْوابَ وَقالَتْ : هَيْتَ لَكَ قالَ مَعاذَاللّهِ إنّهُ رَبي أحْسَنَ مثْوايَ إنّهُ لا يُفْلِحُ الظّالِمونَ) { يوسف * ٢٣ } .
التحويل :
وهو استغلال الطاقة التي يستند إليها الدافع الجنسي في نشاط آخر ، بحيث يشغل الفرد عن الدافع الأصلي . فمثلا : إذا كنا إزاء مراهق لا تمكّنه حالته من الزواج لظروفه الدراسية أو الاقتصادية ، فإن الذي نلجأ إليه هو الاستفادة من تلك القوة المصاحبة للدافع الجنسي وتوجيهها إلى الرياضة البدنية ، أو تكوين ميل للمطالعة ، أو صرف الجهود في ذكر الله وعبادته .
وقد انتبه الإسلام لهذا منذ القديم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « يا معشر الشباب ، من استطاع منكم الباءة [٣٥] فليتزوج ، فإنه أغض للبصر ، وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصيام ، فإنه له وجاء » رواه البخاري ومسلم .

(٣٣)- الدراسات النفسية عند المسلمين . الدكتور عبد الكريم العثمان٢٠١ .
(٣٤)- الإسلام والحياة الجنسية . محمود بن الشريف . ٢٧
(٣٥)- الباءة : هي القدرة على الإنفاق المادي ، وكذلك تعني القدرة الجنسية ، كما جاء في القاموس المحيط للفيروز أبادي .

البعدعن المثيرات :

١- يستنكر الإسلام الاختلاط بين الجنسين بشكل مطلق ، بلا حدود تنظمه وتوجهه ، ولذا يمنع الخلوة بالمرأة الأجنبية لأنها ذريعة لوساوس الشيطان ، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : «لا يخلّون رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما » رواه الترمذي .

ثم وجد الرسول صلى الله عليه وسلم أن هناك بعض الضرورات لمثل هذه الخلوات فوضع لها الحل المناسب قائلا : « لا يخلّون أحدكم بامرأة إلا مع ذي محرم » رواه البخاري ومسلم .

٢- حذّر الإسلام المرأة من إظهار مفاتنها أمام الغرباء ، وطلب منها الابتعاد عن التبرج الذي كان منتشرا في الجاهلية ، فخاطب النساء بقوله (وَقَرْنَ في بُيوتِكُنَّ وَلا تبرّجْن تَبرُّجَ الجَاهِلِيَّةِ الأُولى) { الأحزاب * ٣٣ } .

و قد سمح لهن بإبداء زينتهن لبعض الفئات من الناس ، من ذلك قوله : (وَ لا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إلاّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبائِهِنَّ أَوْ آباءِ بُعولَتِهِنَّ ....) { النور * ٣١ } .

٣- طالب المؤمنين بغض البصر :(قُلْ لِلمُؤْمِنِينَ يَغُضّوا مِنْ أبْصارِهِمْ وَيَحْفَظوا فُروجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكى لَهُمْ * إنَّ اللّهَ خَبيرٌ بِما يَصْنَعونَ){ النور * ٣٠ } .

وقد بيّن الشاعر الحكمة من غض البصر ، فقال :

كل الحوادث مبداها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر

حب التملك :

جعل الله سبحانه وتعالي التملك دافعاً أساسياً في حياة الناس،و جعل المال زينة حياة الإنسان : (المَالُ وَالبَنونَ زينَةُ الحَياةِ الدُّنيا) { الكهف * ٤٦ } . ولذلك لا عجب إذ أودع في نفسية الإنسان حب المال بدرجة عظمى ، فقال : (وَتُحِبّونَ المالَ حُباً جمّا) { الفجر * ٢٠ } .

وقد وقف الإسلام من هذا الدافع أربعة مواقف منطقية واقعية ...وهي :

١- مدح الكرم : ربط الإسلام الكرم بالإيمان ، وبيّن أن أعلى درجة في الإيمان تتلاقى مع أعلى درجة في الكرم ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « أفضل الناس إيمانا أبسطهم كفا » رواه الطحاوي [٣٦] .

وفضّل المعطي على الآخذ ، فقال صلى الله عليه وسلم : « اليد العليا خير من السفلى » رواه البخاري ، فاليد العليا كناية عن اليد التي تعطي ، واليد السفلى كناية عن اليد التي تأخذ . وسئل الخليل بن أحمد الفراهيدي (٩٢- ١٦٠هـ/ ٧١٢- ٧٧٨ م) عن الجود ، فقال : « بذل المجهود » . وخشي الرسول صلى الله عليه وسلم أن ينحرف الكرم ببعض الناس نحو

---

(٣٦)- الطحاوي : أحمد بن محمد الازدي الطحاوي (٢٣٨- ٣٢٠هـ / ٨٥٣- ٩٣٣م) ، فقيه حنفي،ولد في طحا بمصر وتوفي في القاهرة ، ألفّ (العقيدة . مشكل الآثار ..) .

الإسراف ، فقال : « آفة الجود السرف » رواه الشهاب[٣٧]. أو أن ينحرف الكرم نحو الإسراف ، فقال تعالى : (كلوا واشربوا ولا تسرفوا * إنه لا يحب المسرفين) [الأعراف * ٣١] .

٢- ذم البخل : عرفَ علي بن أبي طالب [٣٨] رضي الله عنه البخل ، فقال : « البخل ترك حق وجب ، لخوف شيء لم يقع » .

واستبعد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يكون المؤمن شحيحا ، فقد قال : « خصلتان لا تجتمعان في مؤمن ، البخل وسوء الخلق » رواه الترمذي .

وربط الرسول صلى الله عليه وسلم بين البخل والجبن ، واعتبرهما أسوأ خصال الإنسان ، فقال : « شر مافي الرجل شح هالع ، وجبن خالع » رواه أبو داود .

والبخلاء لا يدخلون الجنة ، فقد ذكر أبو بكر الصديق [٣٩] رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا يدخل الجنة خب ولا منان ولا بخيل [٤٠] » رواه الترمذي .

وعَكَس العرب هذا في أمثالهم فقالوا: (شر مالك : ما لزمك إثم مكسبه ، وحَرمتَ لذة انفاقه)

٣- التوازن بين الكرم والبخل : اعتمد عباقرة الإسلام على مبدأ الاعتدال والتوسط بين الجوانب المتطرفة في حياة الإنسان ، انطلاقا من الحكمة اليونانية الشهيرة التي تقول (الفضيلة وسط بين رذيلتين) ، وقد عَكَس العرب هذه الحكمة في أقوالهم السائرة ، فقالوا:(حب التناهي غلط ، خير الأمور الوسط) .

وفي هذا الموضع لم يترك القرآن الكريم قضية الكرم والبخل أمرا معلقا ، بل أوجد التوازن بينهما ، فقال : (وَلاتَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلولةً إلى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْها كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلوماً مَحْسوراً) [الإسراء * ٢٩] .

ولهذا جاء في الأمثال المأثورة : (لا تنفق كل ما تملك ، ولا تقل كل ما تعرف ، ولا تصدق كل ما تسمع) .

٤- الحذر من المال : وقف القرآن الكريم من المال موقفا دقيقا مشرّفاً حكيماً . نذكر من

---

(٣٧)- الشهاب الزهري (٤٩- ١٢٢ هـ/ ٦٧٠- ٧٤١ م) ، محدث شهير ، رأى عشرة من الصحابة وجمع عنهم نحو ألفي حديث ، سكن الشام ، قيل إنه أول من دوّن الحديث بالكتابة .

(٣٨)- علي بن أبي طالب (٢٢ق هـ - ٤٠هـ / ٦٠٠- ٦٦١م) ، رابع الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين وابن عم النبي وصهره صلى الله عليه وسلم ، وأحد الشجعان والخطباء ، وأول الناس إسلاما بعد خديجة .

(٣٩)- أبو بكر الصديق-عبد الله بن عثمان (توفي ١٢هـ/ ٦٣٤م) صحابي ، أول الخلفاء الراشدين ، ولد بمكة ، سيد وغني ، حارب المرتدين وفتح الشام وقسما من العراق ، خطيب له ١٤٢ حديثا .

(٤٠)- الخب : المخادع الذي يفسد بين الناس . المنان : الذي يمنّ على من أعطاه .

ذلك :

أ- أكد القرآن الكريم أن الأموال والأولاد كثيراً ما يكونون فتنة على أصحابهم (إنَّما أَمْوالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ) { التغابن * ١٥ }

ب- ولهذا يجب عدم الاغترار بالمال:(وَلاتُعْجِبْكَ أَمْوالُهُمْ وَأَوْلادُهُمْ)(التوبة * ٨٥)وقد برر الله تعالى عدم الاعجاب هذا بقوله (إنَّما يُريدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهافي الدُّنْيا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كافِرونَ) (التوبة * ٨٥).

وفي هذا المعنى قال الشاعر موسى المولوي زاهدا ومحذرا من المال :

آخر الدرهم (هم) آخر الدينار (نار)

آخر الدولة (ولت) آخر الأيسار (سار)

جـ- وإذا كان المال ينفع صاحبه في الدنيا فإنه بلا شك لاينفع صاحبه في الآخرة : (إنَّ الَّذينَ كَفروا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوالُهُمْ وَلاأَوْلادُهُمْ مِنَ اللّهِ شَيْئاً)[آل عمران * ١٠].

حب السيطرة

إن العلاقة بين فردين تأخذ عادة شكل السيادة والسيطرة من طرف ، والإذعان والاستسلام من طرف أخر .

ويبرز هذا الواقع إذا وجد الإنسان نفسه في موقف يشعره بالقوة والعنف .

ويرى الغزالي : (أن حب السيطرة يتمثل في مظاهر متعددة مثل : الميل إلى الرئاسة وحب الجاه والغلبة والكبر وحب المدح والرياء ..[٤١]).

ويرتبط هذا الميل عادة بحاجات نفسية باطنية : كالرغبة في تملك تقدير الآخرين،والتأثير فيهم.

وقد وضعنا هذا الميل في بحث الدوافع لأن الغزالي يعتبر الانفعالات أنواعا من الدوافع النفسية [٤٢] وكثيرا ما تكون أقوى من الدوافع الأولية (فحب الجاه قد يكون أقوى من حب المال لأن من معه الجاه يملك المال ، لاالعكس [٤٣]).

لقد جاء حب السيطرة من الروح التي نفخت في الإنسان ، والتي هي من أمر الله ، فشكلت أحد عناصره ، ولذلك قال بعض مشايخ الصوفية : ما من إنسان إلا وفي باطنه ماصرّح به فرعون من قوله : (أَنا رَبُّكُمُ الأَعْلى) [٤٤] (النازعات * ٢٤).

ومن ذلك أن هذا الميل يتعلق بحاجة النفس إلى الكمال ، والكمال من الصفات الإلهية .

وهذا الميل يفقد أهميته ككل الميول عندما تخرج على حدودها المرسومة لها ، فالمطلوب منها

---

(٤١)- إحياء علوم الدين ، أبو حامد الغزالي ٣ / ٢٧٢ و٢٩٠

(٤٢)- إحياء علوم الدين ، أبو حامد الغزالي ٣ / ٣٦٠

(٤٣)- إحياء علوم الدين ، أبو حامد الغزالي ٣ / ٢٧٤

(٤٤)- إحياء علوم الدين ، أبو حامد الغزالي ٣ / ٢٧٤

مايساعد على دفع الشر والرقي في معارج الكمال ، والمذموم هو الذي يحمل على مباشرة المعصية ، وحينما ينقلب الإعجاب بالذات إلى تكبر فإن ذلك يكون مذموما، لأنه يحول بين العبد وبين أخلاق المؤمنين ، ويتنافى مع أن يحب الإنسان للإنسان مايحبه لنفسه (٤٥).

وقد وردت السيطرة في القرآن الكريم في موضعين : (لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ) { الغاشية * ٢٢} وكذلك قوله : (أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ) {الطور * ٣٧ }.

الدوافع المكتسبة الاجتماعية

يعيش الإنسان في بيئة اجتماعية فيؤثر فيها ويتأثر بها ، وهذا التكيف الاجتماعي يحتّم على الإنسان أن يعدّل دوافعه الفطرية ، مما يؤدي بها إلى الدوافع أو الميول الاجتماعية . وتتصف الميول الاجتماعية بأنها : (فطرية في منشئها . اجتماعية في تكوّنها . إنسانية في جوهرها) . وقد ذكر الغزالي : أن الميل للاجتماع فطري عند الانسان و(أن الإنسان خُلق بحيث لايعيش لوحده) وهذا ماعبّر عنه المحدثون بقولهم:(الإنسان اجتماعي بالطبع) .

أنواع الميول الاجتماعية

لما كانت الميول الاجتماعية نتيجة وجود الإنسان في المجتمع ، فلا بد من تفاعل يتم بين الناس ، وهذا التفاعل عبارة عن تأثير وتأثر ، ويكون (عقلياً أو عاطفياً أو عملياً) :

فالتأثير الذي تغلب عليه الناحية العقلية يسمى (الإيحاء) .

والتأثير الذي تتميز فيه الناحية العاطفية يسمى (المشاركة الوجدانية) .

أما التأثير الذي تغلب عليه الناحية العملية فيسمى (التقليد) .

١- **الإيحاء** :هو ميل الشخص لتقبل فكرة من شخص آخر دون نقدها أو تمحيصها ، ومن طبيعة الإنسان أن يتقبل أفكار غيره إذا كانت تلك الأفكار تشعره بالراحة والطمأنينة .

وتختلف أهمية الإيحاء حسب شخصية الموحي بالفكرة ، إذ مما يساعد الفكرة على الانتشار والشيوع إسنادها لمصدر عظيم كزعيم أو نبي ، ولهذا السبب وُضعتْ أحاديث كثيرة على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم .

وقد استخدم القرآن الكريم (الايحاء) في غرس كثير من المعاني والأفكار في نفوس المؤمنين ، فقد بث في نفوسهم الثقة بالنفس والاعتزاز ، وأشعرهم أنهم الأعلون : (وَلاتَهِنوا وَلاتَحْزَنوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) {آل عمران * ١٣٩}.

وأوحى لرسوله الكريم أنه سيلقي رعبا في قلوب المشركين والظالمين : (سَنُلْقِي في قُلوبِ الَّذِينَ كَفَروا الرُّعْبَ بِما أَشْرَكوا بِاللَّه مالَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطاناً وَمَأْواهُمُ النّارُ وَبِئْسَ مَثْوى الظّالِمِينَ) { آل عمران * ١٥١ } .

واستمر الإسلام يبث في نفوس المؤمنين معاني القوة والعزة والثقة بالنفس ، حتى يجعل منهم

(٤٥)- إحياء علوم الدين ، أبو حامد الغزالي ٣ / ٣٣٥

خير أمة أخرجت للناس .
أما أضرار الإيحاء فتبدو حين يعتمد الإنسان في أفكاره على غيره من الناس ويصدّق كل ما يقال له ، فيقع في شراك الآخرين .
ولهذا يقال عن الشخص السريع التصديق إنه (إمعّة) ، وأصلها:(إني معه) ، ومن كان كذلك فإنه يذهب مع كل إنسان في الرأي والسلوك ، وفي هذا المعنى يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا يكن أحدكم إمعة ، يقول أنا مع الناس ، إن أحسن الناس أحسنتُ ، وإن أساؤوا أسأتُ ، ولكن وطّنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا ، وإن أساؤوا أن تجتنبوا إساءتهم » أخرجه الترمذي .
٢- **المشاركة الوجدانية** : وهي ميل الإنسان إلى مشاركة الناس في أحوالهم العاطفية، وتُحدُث هذه المشاركة بانتقال حالة وجدانية من شخص إلى شخص آخر أو إلى مجموعة من الناس ، عن طريق المتأثر للمظاهر الخارجية للحالة الوجدانية إدراكا مباشرا .
ويختلف الناس في درجة مشاركتهم الوجدانية حسب الصلات التي تربطهم ببعضهم .ومن فوائد المشاركة الوجدانية أنها توثق الروابط الاجتماعية بين الناس ، حيث يشارك الإنسان غيره في الأحوال العاطفية:كالتعزية عند الموت والتهنئة في الأفراح وعيادة المريض ، ولهذا ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « حق المسلم على المسلم خمس : رد السلام وعيادة المريض واتباع الجنائز وإجابة الدعوة وتشميت العاطس » رواه الخمسة
٣- **التقليد** : وهو انتقال السلوك من شخص إلى آخر ، والتقليد موجود عند الحيوان والإنسان ، فإذا اجتمع عدد من الطيور فوق شجرة ، فيكفي أن يطير أحدها حتى يطير الجميع ،وإذا جرى طفل جرى وراءه بقية الأطفال ، وإن تثاءب شخص تثاءب الآخر في الوقت نفسه وفي ذلك يقول الشاعر أبو العلاء المعري (٩٧٩- ١٠٥٨ م) :

تثاءب عمرو إذ تثاءب خالد ... سريعاً فما أعدتني الثوباء

ومن طبيعة الإنسان أن يقلد غيره لأنه معجب به ، يشعر بمكانته كتقليد الفقير للغني ، والصغير للكبير ، والجاهل للمتعلم .
أما أضرار التقليد فقد تحدّث عنها القرآن الكريم حين ذكر فئة في المجتمع تقلد آباءها وأجدادها دون أي تفكير أو محاكمة ، وقد تحدث القرآن الكريم على لسانها ، وجعلها تبرر موقفها فتقول : (إنّا وَجَدْنا آباءَنا عَلى أُمَّةٍ وَإنّا عَلى آثارِهِم مُقْتَدونَ) { الزخرف * ٢٣ } .
ثم ناقش مشكلتها ، فقال : (وَإذا قيلَ لَهُمْ اتَّبِعوا ما أَنزَلَ اللّهُ قالوا بَلْ نَتَّبِعُ ما أَلْفَيْنا عَلَيْه آباءَنا أَوَ لَوْ كانَ آباؤُهُمْ لا يَعْقِلونَ شَيْئاً وَلا يَهْتَدونَ) { البقرة * ١٧٠ } .

الدوافع اللاشعورية

منشؤها :

يريد الإنسان أن يشبع دوافعه الفطرية ليحصل على الارتياح النفسي ، ولكن الحياة الاجتماعية بما فيها من قيود أخلاقية ومستويات حضارية تمنع إرواء بعض هذه الدوافع بالأسلوب البدائي،فيتحول الدافع الفطري المكبوت إلى دافع لا شعوري . فما طبيعة الدوافع اللاشعورية ؟

طبيعتها :

إن الدوافع المكبوتة في أعماق اللاشعور هي دوافع فطرية لا تحترم عرفاً ولا تعترف بالتقاليد وكل ما يهمها هو عملية الإشباع .

وتبدأ هذه الدوافع بشكل واضح عند الطفل في سنيه الأولى ، حيث يكون نشاطه مركزاً حول إشباع رغباته أو تحقيق لذاته من ناحية ، والمحافظة على حياته من ناحية أخرى ، وهو خلال ذلك لا يهتم كثيرًا بأحكام العالم الخارجي .

إن كل ما يوجد في اللاشعور من دوافع وعقد لا يموت ولا يُنسى ، وإنما يعيش في حالة ضغط وغليان وعدم انسجام ، وهو يحاول من وقت لآخر التعبير عن نفسه .

تأثيرها :

تؤثر الدوافع اللاشعورية في حياة الفرد ، فتدفعه للقيام بنماذج شتى من السلوك ، ومن أمثلة ذلك مختلف الأعراض النفسية المرضية كحالات (المخاوف الشاذة Fhobias) ، والتناقض في سلوك الفرد ، واندفاع بعضهم إلى ارتكاب الجرائم دون قصد جنائي ، ووقوع آخرين :·با الوساوس المتسلطة ، فهذه فتاة تخاف المياه الجارية ، وهذا شخص يخاف الظلام ، وذلك يجد نفسه مدفوعا إلى أن يسرق أو يحرق أو يضرب .

كل هذه الانواع من السلوك مدفوعة بدوافع لا شعورية .

نتائج الكبت :

كل دافع مكبوت يؤدي إلى:(غضب أو حزن أو يأس) :

١- فالغضب هو المظهر الغالب للكبت عند الأطفال .

٢- والحزن ينشأ من تأجيل إشباع الدوافع لفترة طويلة .

٣- أما اليأس فهو الشعور باستحالة إرواء الميل،كشعورنا بأننا لن نرى الشخص الذي فقدناه بالموت .

الإسلام والأخطاء اللاشعورية :

عرض الإسلام ثلاثة نماذج من الأخطاء اللاشعورية ، وهي :

١- **أخطاء نفسية** : وهي وسيلة لا شعورية تساعد المرء على إبعاد مسؤولية لا يريد أن يتحملها ، ويكون ذلك بأسلوبين (النسيان والخطأ) .

لهذا طلب الله منا أن ندعوه بعدم مؤاخذتنا بالنسيان أو الخطأ فقال : (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا) { البقرة * ٢٨٦ } .

وعن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان » رواه ابن ماجه .

٢- **أخطاء عقلية** : وهي تشمل ثلاثة أنواع من الأخطاء :

أ- أخطاء النائم : ويدخل فيها كل ما يصدر عن النائم من أخطاء وتصرفات،سواء كان ذلك في مشيه أو كلامه أو أي تصرف من تصرفاته .

ب- أخطاء الحدث : وهي أخطاء الصبي الذي لم يصل لسن الرشد ، والذي يعتبره القانون من الأحداث .

جـ- الأخطاء التي تصدر عن المعتوه والمجنون .

وقد جمع الحديث الشريف هذه الأخطاء العقلية في حديث شريف واحد ، فقال : « رفع القلم عن النائم حتى يستيقظ ، وعن الصبي حتى يحتلم ، وعن المجنون حتى يعقل ، وعن المبتلى حتى يبرأ » رواه أبو داود .

٣- **أخطاء كلامية** : وهي تدور حول القَسَم ، فقد طلب القرآن الكريم أن لا نجعل الله عرضة لأيماننا حتى لا يتحول القسم إلى لغو كلامي(وَلا تَجْعَلوا اللّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ) { البقرة * ٢٢٤ } .

فالله سبحانه وتعالى لا يؤاخذنا باللغو في الأيمان لأنه يصدر عن اللسان لا عن القلب الذي عقد الأيمان : (لا يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ في أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِما عَقَّدْتُمُ الأَيْمَانَ) { المائدة * ٨٩ } .

الدوافع اللاشعورية وتكامل الشخصية

إن الإنسان الذي يتفهم طبيعة الحياة العقلية اللاشعورية يكون أكثر مقدرة على فهم الناس والتعاطف معهم ، إذ يدرك القوى العميقة التي تؤثر في تصرفاتهم ، فالشخص الذي يندفع لإزعاج غيره أو للنيل منهم أو للخروج على النظام ، يكون مدفوعا بدوافع لا شعورية .

والإنسان الذي يفهم هذه الناحية يدرك ما لهذه القوى من شدة وعنف وحتمية ، فلا يعود ينظر

للشخص الذي يسرق أو يكذب أو يقتل على أنه شخص مجرم ، و إنما ينظر إليه على أنه ضحية قوى داخلية و ضحية البيئة و معاملة المجتمع ، و لهذا فهو مريض بحاجة إلى العلاج .

وقد بدأ المربون على ضوء هذه الدراسات يفهمون ضرر الكبت والصد ، فنجدهم يعطون الطلاب فرصا كافية للنشاط الذاتي،ويخلقون لهم مجالات تظهر فيها الحرية التلقائية ، وبدأ يحل التفاهم والأخذ والعطاء والمناقشة محل الأمر والنهي والأساليب العنيفة .

وجملة القول : إن دراسة اللاشعور تفيدنا في فهم الآخرين وتفسير تصرفاتهم ، الأمر الذي يساهم في نمو الشخصية بطريقة تقوم على الطمأنينة والثقة بالنفس وفهم الآخرين .

العادة

يصّر إنسان على التدخين ، وهو يعترف بضرره ، فإذا سئل عن سبب إصراره على هذا الضرر أجاب بأنها عادة لا يستطيع التخلص منها .

ويكتب أحدنا بطريقة خاصة ، فإذا سئل عن ذلك ، أجاب :إنها عادته في الكتابة ، ولا يستطيع تغييرها . ويبالغ ثالث في إكرام ضيفه رغم ضعف إمكانيته الاقتصادية ، فإذا سئل أن يخفف ذلك أجاب بأنه اعتاد هذا السلوك ، وأنه يجد فيه نشوة لا يستطيع أن يتخلى عنها. فما العادة ؟

تعريف العادة :

١- عرّف ابن سينا العادة في كتابه (رسالة العهد) فقال : (العادة هي تكرار فعل الشيء الواحد مرارا كثيرة زمانا طويلا في أوقات متقاربة) .

٢- وعرفها ابن مسكوية ، فقال : (إنها حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية [٤٦])

٣- وعرفها الغزالي فقال : « إنها حالة نفسية تظهر في القلب ، ويفيض أثرها على الجوارح ، وتتطلب القيام بعمل ، أو تصدر عنها أعمال دون تكلف أو روية أو فكر ، وتبدأ بتكلف الأفعال الصادرة عنها ابتداء لتصير طبعاً انتهاء [٤٧] » .

العادات بين الإنسان والحيوان :

تقوم العادة على أساس قابلية الكائن الحي للتعلم ، ولهذا يمكن تعويد الحيوانات على بعض العادات ، ولكن هناك فرقا بين تربية العادة في الإنسان وتربيتها في الحيوان ، وهو أن عادات الحيوانات لا تخرج عن كونها حركية بحتة ، بينما يمتاز الإنسان عن الحيوان بوجود العقل العملي الذي يشرف على الحياة الانفعالية والعاطفية والنزوعية ، وبذلك يتهيأ للإنسان

(٤٦)- رسالة العهد ، ابن سينا ، ١٤٦ .

(٤٧)- إحياء علوم الدين ، أبو حامد الغزالي ، ٥٨/٣

اكتساب عادات أرقى ،كما يتوفر له تكامل شخصيته ، وتكوين مجموعة من العادات ذات الهدف الأخلاقي (٤٨)

أنواع العادات :

١- **العادات الجسدية**:وهي العادات التي تعمل على إضعاف الشعور بالمؤثرات الخارجية من جراء التغير الذي يحدث في بنية الجسم (فالإنسان يعتاد البرد كما يعتاد الحر) .

ويسمي بعضهم هذا النوع من العادات بالاعتياد،حيث يكتسب الجسم ردود الأفعال التي تساعده على التلاؤم (كاعتياد الجسم على مادة النيكوتين عند مدمن التدخين) .

إن الجسم عند ما يألف نمطا معينا من التأثير يضعف الإحساس به ، فالذين أخلدوا في جهنم تعوّدت جلودهم عذاب الحريق ، فكلما بليت جلودهم بدلّها الله بجلود غيرها حتى يشعرو ا بعذاب الحريق في كل مرة : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ * بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً) { النساء* ٥٦ } .

٢- **العادات الحركية** : وهي تتكون من استعداد مكتسب ، تألفه الأعضاء لأداء عمل معين بعد تكراره بالصورة نفسها مرات متعددة كالسباحة والضرب على الآلة الكاتبة ، والسر في ذلك أن المواصلات العصبية تفقد قدرا من مقاومتها لمرور التيار العصبي في كل مرة يتكرر فيه العمل بالصورة نفسها .

وفي هذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: « علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل » رواه الديلمي (٤٩)

٣- **العادات العاطفية** : وهي تتجلى فيما ألفناه من الأساليب والأوضاع الانفعالية التي نستجيب بها للمواقف المتعددة التي تعترضنا (كعادة ضبط النفس أو استرسالها ، أو كأن يبغض الإنسان بسرعة ، أو أن يتلقى كل شيء بوجه بشوش) وقد ورثنا عن أجدادنا العرب بعض العادات الانفعالية (كالعفة والمروءة) ، وقد قال العرب في أمثالهم : (من شبّ على شيء شاب عليه) .

٤- **العادات العقلية**:وهي انطباع النشاط الفكري عند الإنسان بطابع خاص يميّزه عما عداه. من أمثلة ذلك :

أ- عادة التفكير بأسلوب منطقي : يقوم على الأدلة ودقة الاستدلال ، وربط الأسباب بالنتائج

(٤٨)- إحياء علوم الدين ، أبو حامد الغزالي ، ٣ / ٥٧ .

(٤٩)- فيروز الديلمي (توفي٥٢ هـ /.٦٧٣م) ، صحابي يماني ، فارسي الأصل ، وفد على النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه أحاديث ، ثم سكن مصر ، ولاه معاوية على صنعاء إلى أن توفي ، وكان عاقلا حازما .

وقد وجّهنا الله سبحانه إلى ذلك بقوله (وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً * فَأَتْبَعَ سَبَباً) [الكهف * ٨٤ - ٨٥] .

ب- عادة التفكير بأسلوب منطق العواطف : وهو منطق يؤمن بالنتيجة سلفا ، ثم يأتي بالحجج والبراهين التي تؤيد رأيه ، من ذلك مثلا أن هناك فئة من الكافرين ليست على استعداد للانتقال للإيمان مهما حاول الإيمان جذبهم : (وَقالوا مهْما تَأْتِنا بِهِ منْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنا بِها فما نَحْنُ لك بِمُؤْمِنِينَ) [الأعراف * ١٣٢] .

ومن أمثلة ذلك أيضا: أن البخلاء بطبيعتهم يبررون بخلهم بحجج منطقية يقبلها العقل ، فقد سئل أحد البخلاء : لماذا تجمع كل هذا المال؟ فقال : (إنما أجمعه لروعة الزمان ، وجفوة السلطان وبخل الإخوان ، ودفع الأحزان) .

جـ- عادة التفكير بأسلوب منطق العوام : وهو يتناول الموضوع من ظاهره ، فيؤخذ بالقشور دون اللباب ، ويهمه المظهر دون الجوهر .

٥- **العادات الخلقية الاجتماعية** : وهي استعدادات مكتسبة ، تدفعنا لتحقيق القيم الأخلاقية في المجتمع (كعادة الاعتماد على الذات ، وعادة التضحية من أجل الآخرين وعادات الزهد والصبر ، والاعتدال وعفة النفس ...)

وقد تمثلت في تاريخنا هذه العادات بشخصيات عربية بارزة ، أصبحت مَثلاعليا ونماذج بارزة للأخلاق ، مثل : (الحلم عند معاوية ، والكرم عند حاتم ، والوفاء عند السموءل ، والشجاعة عند عنترة ، والصبر عند أيوب ..)

شروط تكوين العادات

إن أهم هذه الشروط هي : (الدافع .و التكرار . والتربية) :

١- **الدافع** : وراء كل سلوك إنساني يكمن دافع ، وهو يرجع إلى الشخص نفسه كالميل والرغبة في القيام بعمل ما ، فحين تجد في نفسك ميلا وشوقا إلى ممارستها ، كما تلذ أثناء فعلها ، فتصبح بدورها دافعا للقيام بالعمل كبقية الدوافع والبواعث الأخرى ، ويشرح الغزالي ذلك فيقول : « إن هذا الكمال لا يتم ما لم تواظب عليها مواظبة من يشتاق إلى الأفعال الجميلة وينعم بها [٥٠] » .

٢- **التكرار** : يقول أرسطو (إن العادة بنت التكرار) والواقع أن التكرار هو العامل الهام في بناء العادة لأنه زيادة أثر على أثر ، فالتكرار يصاحبه حذف الحركات العشوائية التي لا لزوم لها ، مما يؤدي بالعمل إلى الدقة والسرعة والسهولة (فمن يريد أن يصير الحذق في الكتابة له صفة نفسية حتى يصير كاتبا بالطبع ، فلا طريق له إلا أن يتعاطى بجارحة اليد ما يتعاطاه الكاتب الحاذق ، ويواظب عليه مدة طويلة ، ثم لا يزال يواظب عليه حتى يصير صفة راسخة في نفسه ، فيصدر منه في الآخر الخط الحسن طبعاً ، كما كان يصدر منه في الإبتداء

(٥٠)- إحياء علوم الدين ، أبو حامد الغزالي . ٣ / ٥٧ .

تكلفا [٥١] . ويكون هذا التكرار على نمط واحد على الدوام [٥٢] .)
ويبدو التكرار واجبا بالنسبة للعادة الخلقية « لأن من أراد أن يصير سخيا عفيف النفس حليما متواضعا ، فليزمه أن يتعاطى أفعال هؤلاء تكلفا حتى يصير ذلك طبعا له [٥٣] » .
والتكرار لمرة واحدة لا يكفي لذلك (إذ لا تُنال العادة بعمل يوم ، ولا تُحرم بنقصان يوم [٥٤] »
فالعبادة مثلا لا تُكتسب بتكرار ليلة ، وتكرار ليلة لايحسب حسابه في فقه النفس بل يظهر شيئا فشيئا على التدريج [٥٥]
٣- التربية : إن التقليد والتشبه بالمثل العليا وتربية الاطفال عليها من الأمور الهامة في تكوين العادة .
لهذا يجب تعويد الاطفال العادات الحسنة ، منذ صغرهم وإبعادهم عن العادات السيئة ، وذلك لما هم فيه من مرونة واستعداد لتقبّل مختلف العادات والانطباعات « فإن الطفل إذا عوّد الخير وعلمه ، نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة ، وإن عوّد الشر وأهمل شقي وهلك [٥٦] . »
من أجل ذلك يَعنى الغزالي بتهيئة البيئة الصالحة للطفل منذ مرحلة الرضاعة حين يلح على اختيار المرضعة الصالحة ويؤكد على ضرورة حفظه من قرناء السوء ، ولا بد من وضعه تحت مراقبة مستمرة .

أهمية العادات

الآثار الحسنة للعادة

١- تساعد العادة على تكامل الشخصية بتكوين مجموعة من العادات الحسنة ، كالصدق والمحبة ، والعطف والتفكير، بحيث يكون من الصعب على الإنسان أن يتخلى عنها لتأكدها بالمواظبة .
والحياة عادة ، فإذا تعود الفرد أن ينشغل عن دواعي شهواته قَل اندفاعه في تيارها دون أن يشعر بكبت أو حرمان ، وإذا تعود أن يكون دائما عبدا لشهواته المنحطة فلن يجد دافعا للارتفاع .
٢- وهي توفر قسطا كبيرا من الجهد البشري فيخف على الإنسان ما كان مستثقلا عليه من الخير ، لينطلق هذا الجهد في ميادين جديدة من العمل والإنتاج والإبداع ، ولولا ذلك لقضى

(٥١)- ميزان العمل ، أبو حامد الغزالي ، ٧٢
(٥٢)- إحياء علوم الدين ، أبو حامد الغزالي ٣ / ٥٧
(٥٣)- إحياء علوم الدين ، أبو حامد الغزالي، ٣ / ٥٨
(٥٤)- ميزان العمل ، أبو حامد الغزالي ، ٧٣
(٥٥)- إحياء علوم الدين ، أبو حامد العرالي ، ٣/ ٥٨.
(٥٦)- إحياء علوم الدين ٣ / ٧٠ .

الناس حياتهم يتعلمون المشي والكلام .

٣- تؤمن العادة للعمل السهولة والسرعة والدقة ، لأنها تتم بشكل آلي لا شعور فيه مما يقتضي من الإنسان جهدا قليلا لأدائها .

الآثار السيئة للعادة

إن العادة على عظم أهميتها في الحياة تنقلب إلى عنصر معوق معطل إذا أصبحت عملا آليا لا تلتفت إليه النفس ، إنها عند ذلك تصبح طبيعة ثانية كما يقول الجاحظ [٥٧] أو طبيعة خامسة كما يقول الغزالي ، ويصبح من الصعب حينئذ التخلص منها لأنها خلقت في النفس حاجة وميلا إلى التكرار كعادة القمار أو شرب الخمرة إلخ ...، فهذه العادات قد تجعل الباطل مستلذا .

الإرادة

الإرادة (لغة) هي نزوع النفس وميلها إلى الفعل بحيث يحملها عليه ، والنزوع يعني الاشتياق للشيء ، والميل يعني الرغبة والمحبة . وقد كان أرسطو يسمي الإرادة (الشهوة العقلية) .

والأعمال الإرادية الاختياريّة هي التي تتم بعد رويّة وتفكير ، وتدخل في نطاق الأعمال التي يتحمل الإنسان نتائجها ومسؤوليتها .

الإرادة بين الإنسان والحيوان

تشكل الإرادة الفارق الحاسم بين الحيوان والإنسان :

فالحيوان لا يملك إرادة الكف والمنع ، ولا يستطيع أن يضبط نوازعه ، ولا يستطيع أن يفكر في أطراف المشكلة حتى يختار ما يراه مناسبا من أنواع السلوك ، ولهذا فأعماله وسلوكه وتصرفاته آلية واندفاعية تعمل بوحي من غرائزه .

أما الإنسان فيمكنه أن يعمل ويتصرف عن طريق الإرادة المتحكمة في مشاعره وأعماله، بل إنه لا يبدو إنسانا ما لم يضبط نوازعه وينظّم شهواته .

الإرادة في الفلسفة الإسلامية :

١- حلّل الجنيد [٥٨] المراحل التي يصل فيها الإنسان للإرادة ، فقال : « يعتقد الإنسان الشيء ثم يعزم عليه ، ثم يريده » .

٢- وحلل الفارابي [٥٩] العوامل التي تتألف منها الإرادة ، فقال : « تتكون الإرادة من اجتماع

---

(٥٧)- الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر (١٦٣ - ٢٥٥ هـ / ٧٨٠- ٨٦٩ م) ، كبير أئمة الأدب ورئيس الفرقة، الجاحظية من المعتزلة ، مولده ووفاته في البصرة ، ألف (البيان والتبيين ، الحيوان ، البخلاء ...)

(٥٨)- أبو القاسم الجنيد الخزاز (توفي ٢٩٧ هـ / ٩١٠ م) ، من كبار المتصوفين ، مولده ومنشأه ووفاته ببغداد ، أول من تكلم في علم التوحيد ، عُرف بسيد الطائفة الجنيدية ، ألف (دواء الأرواح) .

(٥٩)-أبو النصر محمد الفارابي (٢٦٠- ٣٣٩ هـ / ٨٧٤- ٩٥٠ م) ، من كبار الفلاسفة ولقب بالمعلم الثاني ، كان ضليعا في الرياضيات والموسيقا ، من مؤلفاته (آراء أهل المدينة الفاضلة) .

القوة النزوعية والعقل الإنساني [٦٠] » . وقال بذلك أيضا الأشاعرة [٦١]

٣- وعرف ابن سينا الإرادة وبيّن مصدر أوامرها ، فقال : « الإرادة قوة من القوى المحركة تتلقى أوامرها من القوة النظرية [٦٢] » .

٤- أما الغزالي فقد استفاد من الاتجاه الصوفي والفلسفي والكلامي : يقول عن الإرادة بالمعنى الصوفي إنها السلوك في طريق الله ، وهي بالمعنى النفسي والأخلاقي انبعاث القلب إلى ما يراه موافقا للهدف إما في الحال أو المستقبل [٦٣] ، أو هي ما ينبعث عن المعرفة ويسخر بالقدرة ، أو بمعنى آخر: هي الباعث المحرك للأعضاء على مقتضى حكم العقل [٦٤] .

٥- وحلل ابن رشد [٦٥] المشاعر النفسية في الإرادة ، فقال : « الإرادة طلب الشيء ، أو شوق الفاعل إلى الفعل ، إذا فعله كفّ الشوق وحصل المراد [٦٦] »

٦- وعَرف البيضاوي [٦٧] الإرادة بأنها : « ترجيح أحد مقدورين على الآخر ، وتخصيصه بوجه دون وجه ، يوجب هذا الترجيح [٦٨] » .

٧- وقال التفتازاني [٦٩] في شرح المواقف « الإرادة من الكيفيات النفسية » .

٨- وذكر المعتزلة عن الإرادة بأنها « اعتقاد النفع أو ظنه » .

٩- وقال الصوفيون عن الإرادة إنها «ترك ما عليه العادة ،وهي ابتداء الكد وترك الراحة [٧٠] » والإرادة تأتي بعد صدق النية ، ولذلك قالوا : (الارادة بدء السالكين) ومن الإرادة اشتقوا اسم

---

(٦٠)- آراء أهل المدينة الفاضلة ، الفارابي ، ٤٩ .

(٦١)- مقالات الإسلاميين ، الأشعري ، ٢/ ٦٥ .والأشاعرة نسبة لأبي الحسن الأشعري (٢٥٨- ٣٢٢هـ / ٨٧٣- ٩٣٥ م) ، فقيه ، أسس علم الكلام أي استعمال القياس بالجدال ، ناصر أهل السنة على المعتزلة ألف (اللمع في الرد على أهل الزيغ) .

(٦٢)- أحوال النفس ، الدكتور أحمد فؤاد الأهواني ، ٥٨ .

(٦٣)- إحياء علوم الدين ، أبو حامد الغزالي ، ٣/ ٧ .

(٦٤)- إحياء علوم الدين ، أبو حامد الغزالي ، ٣/ ٧٢

(٦٥). أبو الوليد محمد بن رشد (٥١٩- ٥٩٤ هـ/ ١١٢٦- ١١٩٨ م) ، ولد في قرطبة ، وتوفي في مراكش ، فيلسوف وطبيب ، ولي القضاء في قرطبة ، اتهم بالزندقة ، ألف (تهافت التهافت) .

(٦٦)- تهافت التهافت ، ابن رشد ، ٤٠ .

(٦٧)- عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي (توفي ٢٩٧ هـ/ ٩١٠ م) ، قاض مفسر علامة ، ألف (منهاج الوصول إلى علم الأصول ، طوالع الأنوار في مطالع الأفكار) في الإلهيات .

(٦٨)- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، التهانوي ١/ ٥٥٤ .

(٦٩)- مسعود بن عمر التفتازاني (٧١١ - ٧٩٢ هـ/ ١٣١٢- ١٣٩٠ م) ، من أئمة البيان والمنطق وما وراء الطبيعة وعلم الكلام ، ألف (تهذيب المنطق ، إرشاد الهادي) .

(٧٠)- الرسالة القشيرية ، عبد الكريم بن هوزان القشيري ، ٩٢ .

(المريد) لأنه يتميز بالإرادة في مسالك العبادة .

١٠- تحدث المتكلمون عن وجود الإرادة وضرورتها ، فقال الإمام الرازي : « لا حاجة إلى تعريف الإرادة لأنها ضرورية في الإنسان ، والإنسان يدرك وجودها في أعماقه بداهة ، كما يدرك التفرقة بين إرادته وعلمه وقدرته وألمه ولذته [٧١] » .

الإرادة في القرآن الكريم

لم يستعمل القرآن الكريم مصدر (الإرادة) مرة واحدة في آياته ، وإنما استعمل فعل الإرادة بمعان مختلفة ، نذكر منها :

١- الاختيار (لِمَنْ أَرادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضاعَةَ) { البقرة * ٢٣٣ } .

٢- الرغبة (قالَ إِنّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدى ابْنَتَيَّ هاتَيْنِ) { القصص * ٢٧ }

٣- الطلب (ما أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ) { الذاريات * ٥٧ }

٤- المقاربة (فَوَجَدا فيها جِداراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ) { الكهف * ٧٧} .

الإرادة والمسؤولية

يقول الدكتور حسان حتحوت [٧٢] : « الإنسان وحده هو الذي يعيش حياة مستمرة من التحليل ، وإصدار القرار ، ثم تحملّ مسؤولية قراره ، ولعل هذا هو معنى الأمانة التي عرضها الله في قوله تعالى : (إِنّا عَرَضْنَا الأَمانَةَ عَلى السَّمواتِ وَالأَرْضِ وَالجِبالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها وَأَشْفَقْنَ مِنْها وَحَمَلَها الإِنْسانُ) { الأحزاب * ٧٢ }

وتقضي عدالة الله والعقل والمنطق أنه لا مسؤولية على فاقد الاختيار ، ولما كان الله قد أكد أنه مسؤول ، فمعنى ذلك أن الله وهب الإنسان الحرية ، بل إن هذه الحرية هي جوهر إنسانية الإنسان التي هو بها إنسان ، فإن ضاعت الحرية ضاعت الإنسانية .

الفكرة الكامنة وراء خلق الله للجنس البشري هي مشيئته أن يخلق جنسا يتفرد على غيره من الأجناس بأنه الجنس ذو الحرية ، وإذن فهو الجنس ذو المسؤولية .

وعندما أنزل الله تعالى الإسلام دينا خاتما ، جعل الدخول فيه عن حرية فقال : (لا إِكْراهَ في الدّينِ) { البقرة * ٢٥٦ } ، وأمر نبيه عليه الصلاة والسلام أن يدعو إلى الحق (فَمَنْ شاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شاءَ فَلْيَكْفُرْ) {الكهف * ٢٩ } . وحدد له مهمته فقال : (إِنَّما أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيطِرٍ) { الغاشية ٢١- ٢٢ } ، ويبيّن له أسلوب الدعوة فخاطبه قائلا (ادْعُ إِلى سَبيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ) { النحل ١٢٥ }.

وقد حدد الرسول صلى الله عليه وسلم مسؤولية الإنسان فقال : « ألا كلكم راع ، وكل راع مسؤول عن رعيته . فالأمير الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته . والرجل راع

(٧١)- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، التهانوي ، ١/ ٥٥٢ .

(٧٢)- مجلة العربي ، الكويت ، العدد ٣٣٤، عام١٩٨٦ م .

على أهل بيته وهو مسؤول عنهم.والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم ، والعبد راع على مال سيده وهو مسؤول عن رعيته » رواه مسلم والبخاري .

الإرادة والجبرية

هل يتعلق السلوك الإنساني بإرادة المخلوق أم بإرادة الخالق ؟

١- إذا صدر عني عمل ما ، فهل أنا الذي اخترته وقررته وكانت لي إرادة تنفيذه ؟ أم أن الله تعالى هو الذي وجّهني إليه ، وهو الذي أرادني أن أعمله ؟

٢- إذا ربطنا الإرادة بالإنسان ، كان الإنسان مخيّراً ، وكانت له حرية الاختيار ، وكان لا بد من محاسبته على عمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر .

٣- وإذا ربطنا الإرادة بالله تعالى ، كان الإنسان مسيّراً ، وهو كالآلة التي تنَفذ ما أُريد لها ، ولم يعد هناك مبرر لمحاسبته على أعماله .

الإرادة والشخصية

يقول الدكتور زكي مبارك [٧٣] : (الإرادة محور الارتكاز في الشخصية ، ولا أهمية لعمل بدون إرادة لأنها روح العمل وأساسه) .

والإرادة هي نشاط الذات المتحركة العاملة وعنوان حياتها ، وهي تجمع بهذا المعنى الوظائف النفسية كلها،بحيث تعمل متآخية متآزرة للرد على البواعث والأفكار المختلفة . وبذلك تصطبغ الشخصية الإنسانية بصبغة الإرادة التي تمثل حاضر الشخص بكل قواه الذهنية، والجسمية ، والعملية .

وعلى أساس أن الافعال الإرادية تصبغ الشخصية بطابعها فقد ميز الغزالي بين ثلاثة أنواع من الشخصيات :

أ- نوع من الناس تنطبع أعمالهم الإرادية بطابع التهور ، وعدم القدرة على ضبط النفس ، لأن غرائزهم سيطرت عليهم ، وهم أصحاب (النفس الأمارة بالسوء) .

ب- ونوع تصطبغ أعمالهم بالضبط وتحكّم الإرادة ، مع ارتباطها بالمثل العليا ، وهم أصحاب (النفس المطمئنة)

٣- ونوع متردد ، تتأرجح عزائمهم ولا تصطبغ شخصياتهم بطابع مميز،وبالتالي لا نستطيع الحكم مباشرة على ردودهم الإرادية وهم أصحاب (النفس اللوامة) [٧٤]

العمل

العمل ضرورة

العمل سنة طبيعية في حياة الإنسان في هذه الدنيا ، ويبرز ذلك في النواحي التالية :

(٧٣)- الأخلاق عند الغزالي ، الدكتور زكي مبارك ، ١٠٢.

(٧٤)- إحياء علوم الدين ، أبو حامد الغزالي ، ٣/ ٤٥

١- لما كانت حياة الإنسان تتطلب الغذاء واللباس والسكن والدواء ، كان لا بد له أن يعمل في هذه الدنيا ليؤمن الضروريات الأساسية لحياته .

٢- في العمل حركة وفعالية ، والتكوين البيولوجي لجسم الإنسان يتطلب الحركة لأنها ضرورية لنشاطه وقوته .

٣- والعمل مدار احترام الإنسان ، فالناس يحترمون من يعمل ، ويحتقرون من كان عالة على غيره ، وفي هذا المعنى يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه : « إني لا أرى الرجل فيعجبني فأقول : أَلَهُ صنعة ؟ فإن قالوا : لا ، سقط من عيني » .

اقتران العمل بالأخلاق

ربط القرآن الكريم العمل بالأخلاق ، فكانت أغلب الآيات التي تتحدث عن العمل تربط بين (الذين آمنوا والذي عملوا الصالحات) ، وقد تكرر ذلك سبعا وستين مرة في القرآن الكريم .

كذلك ربط الإسلام العمل بالنية ، فقد جاء في الحديث الشريف: « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى » رواه البخاري ومسلم .

وقيمّ العمل بقوله صلى الله عليه وسلم : « من همّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، فإن هو همّ بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات » .

كذلك طالبنا الإسلام بالاستقامة في العمل وحضنا على التقوى فيه ومنعنا من الكذب والغش « من غشنا فليس منا » أخرجه مسلم والترمذي وأبو داود وابن ماجه

العمل عبادة

الإنسان خليفة الله في الأرض (وَإِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنّي جاعِلٌ في الأَرْضِ خَليفَةً) { البقرة * ٣٠ } ، وهذه الخلافة لا تتحقق على هذه الأرض إلا إذا عمل الإنسان باستمرار (وأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسانِ إِلاّ ماسَعى) { النجم * ٣٩ } ، وكان عمله مدفوعا بالإيمان ومتصفا بالصلاح (وَعَدَ اللَّهُ الَّذينَ آمَنوا مِنْكُمْ وَعَمِلوا الصّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ في الأَرْضِ كَما اسْتَخْلَفَ الَّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) { النور * ٥٥ } .

العمل محور الحساب

إن الله سيحاسب الإنسان يوم القيامة على ما قام به من عمل في الدنيا ، قال تعالى (أَنّي لاأُضَيِّعُ عَمَلَ عامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى) { آل عمران * ١٩٥ } .

وإن عملنا سينتظرنا (قُلْ بَلى وَرَبّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِما عَمِلْتُمْ) { التغابن * ٧ } وسيكون هذا الحساب دقيقا ، ولو كان في حدود مثقال ذرة (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يرهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يرهُ) { الزلزلة * ٧- ٨ } .

العمل الصالح

عرض القرآن الكريم للعمل الصالح في آيات متعددة منه ، فقال :

١- إن الذين يعملون عملا صالحا سيكونون من المفلحين (فَأَمَّا مَنْ تابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صالِحاً فَعَسى أَنْ يكونَ مِنَ الْمُفْلِحينَ) { القصص * ٦٧ } ، كما يكونون من الصالحين (والَّذينَ آمَنوا وَعَمِلوا الصّالِحاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ في الصّالِحينَ) { العنكبوت * ٩ } ، كذلك فهم خير الناس :(إنَّ الَّذينَ آمَنوا وَعَمِلوا الصّالِحاتِ أُولئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ) { البينة * ٧ } .

٢- وسيكون لهم جزاء الضعف بما عملوا (إلاّ مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صالِحاً فَأُولئِكَ لَهُمْ جَزاءُ الضِّعْفِ بِما عَمِلوا) { سبأ * ٣٧ } .

ويبدل الله سيئاتهم حسنات (وَالَّذينَ آمَنوا وَعَمِلوا الصّالِحاتِ وَآمَنوا بِما نُزِّلَ عَلى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ) { محمد * ٢ } .

وسيكون لهم أجر غير ممنون(إِنَّ الَّذينَ آمَنوا وَعَمِلوا الصّالِحاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنونٍ){ فصلت ٨ }

٣- وسيمن الله عليهم بالمغفرة والأجر العظيم (وَعَدَ اللّهُ الَّذينَ آمَنوا وَعَمِلوا الصّالِحاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظيمٌ) { المائدة * ٩ } .

وهناك يتعرضون لرحمة الله تعالى : (فَأَمّا الَّذينَ آمَنوا وَعَمِلوا الصّالِحاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ في رَحْمَتِهِ) { الجاثية * ٣٠ }

٤- والعمل الصالح يرفع صاحبه للدرجات العليا (وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِناً قَدْ عَمِلَ الصّالِحاتِ فَأُولئِكَ لَهُمُ الدَّرَجاتُ الْعُلى) { طه * ٧٥ } .

ويدخله الجنة (وَمَنْ عَمِلَ صالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولئِكَ يَدْخُلونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقونَ فيها بِغَيْرِ حِسابٍ) { غافر * ٤٠ }

وسيكونون في الجنة كاللؤلؤ المكنون (كَأَمْثالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنونِ * جَزاءً بِما كانوا يَعْمَلونَ) {الواقعة * ٢٣ - ٢٤ } ، وسيكون أعظم ما يكافؤون به لقاء ربهم (فَمَنْ كانَ يَرْجو لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صالِحاً) { الكهف * ١١٠ }

العمل السيء

عرض القرآن الكريم صورا متعددة لآثار العمل السيء ، نذكر منها :

١- العمل السيء من وحي الشيطان ووسوسته (وَلَكِنْ قَسَتْ قُلوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ ما كانوا يَعْمَلونَ) { الأنعام * ٤٣ }

٢- أما الذين يقومون بمثل هذه الأعمال السيئة فقد (حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إلاّ ما كانوا يَعْمَلونَ) { الأعراف * ١٤٧ } .

و الله لا يصلح أعمالهم (إِنَّ اللّهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدينَ) { يونس * ٨١ } .ولا يوجههم لطريق الهداية (زُيِّنَ لَهُمْ سوءُ أَعْمالِهِمْ واللّهُ لا يَهْدي الْقَوْمَ الْكافِرينَ) { التوبة * ٣٧ }

٣- وفي الآخرة ستشهد عليهم أعضاؤهم بما كانوا يعملون (يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْديهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِما كانوا يَعْمَلونَ) { النور * ٢٤ }

٤- وسيتعرضون لأشد العذاب (أَعَدَّ اللّهُ لَهُمْ عَذاباً شَديداً إِنَّهُمْ ساءَ ما كانوا يَعْمَلونَ) {المجادلة * ١٥ } .

الحياة الوجدانية

يتعرض الإنسان في حياته اليومية للكثير من المواقف التي تثير فيه شتى الانفعالات ، فهو تارة يشعر بالفرح وتارة يشعر بالحزن ، ويشعر حينا بالخوف وحينا بالغضب ، وقد يكون في بعض الأحيان سعيدا منشرح الصدر،وقد يصبح كئيبا منقبض الصدر ، وقد يشعر أحيانا بالحب الذي يملأ نفسه نشوة وسعادة ، وقد يتأثر أحيانا أخرى بدوافع الكره والبغض التي تسبب له كثيرا من الشقاء والآلام وتجعل حياته جحيما لا يطاق .

هذه نماذج من الإنفعالات التي يتعرض لها الإنسان،وهي رغم كثرتها يمكن أن تنتظم في طائفتين رئيسيتين :

الطائفة الأولى : تشمل انفعالات قوية عنيفة تنفجر كالصاعقة،تاركة وراءها نفسا مضطربة وجسما متداعيا كالغضب والخوف والفرح ...وهي تسمى (الهيجان) .

الطائفة الثانية : تشمل انفعالات تبدأ هادئة صامتة ، ثم تتضخم ببطء وتتشعب بهدوء حتى تتملك جميع المشاعر ويتردد صداها في كافة أنحاء النفس ، وهي تسمى (العاطفة) كعاطفة الحب أو عاطفة الحزن أو عاطفة الكراهية ...

الهيجان

الهيجان (حالة شعورية مفاجئة وشاملة ، تنطوي على شحنة انفعالية متميزة واضطراب نفسي وجسمي خارج عن نطاق العادي) كالغضب والخوف والحزن ..

عناصر الهيجان

يرى الغزالي أن عناصر الهيجان ثلاثة : (الإنسان ، المثير ، الاستجابة) :

١- **الإنسان** : يتوقف هيجان الإنسان على أربعة عوامل هي :

أ- لا يكفي أن يكون المثير مخيفا أو مغضبا في ذاته ، بل لا بد من توافر عنصر المعرفة بأن هذا المثير يتطلب ذلك [(١)] .

ب- حساسية الشخص : وهي التي نعبر عنها بقولنا:إنه سريع الانفعال أو بطيئه ، مرح أو كئيب ، ويسمى ذلك (الطبع) .

جـ- استعداده للتهيج : ويتوقف ذلك على حالته العصبية ويسمى ذلك (المزاج) .

د- اعتياده على الهيجان : فإنه يظهر عند المحاربين الذين تمرسوا على رؤية القتلى في ساحة الحرب وألفوا هذه المناظر ...فلم يعد يروعهم منظر شخص قتيل .

٢- **المثير** : يكون خارجيا كمنظر السبع أو الأفعى ، كما يكون داخليا كتوقع أمر يخشى

(١)- إحياء علوم الدين ، أبو حامد الغزالي ، ٣/ ٣٧٨.

وقوعه ، فعدم الشعور بالأمن يولد انفعالي الخوف والغضب [٢] .

٣- **الاستجابة** : وهي رد الفعل الذي يقفه الكائن الحي من الإثارة ، فنحن نبكي في الحزن ونضحك في الفرح ونعيس في الغضب .

وتتأثر هذه الاستجابة بالتكوين الاجتماعي (فإن من يعاشر جماعة يباهون بالغضب والطباع السيئة ينطبع ذلك فيه [٣] .

طبيعة الهيجان

إن الهيجان حادثة معقدة متشابكة ، تشترك فيها عدة عوامل وهي :

١- **التغيرات الجسدية** : وهي التغيرات المعروفة عند الناس والتي يستطيعون بواسطتها تمييز هيجانات الآخرين ومعرفتها ، فإذا اشتد اضطرام نار الغضب أعمى صاحبه ، وانتشر الدم في العروق وارتفع إلى أعالي البدن فيحمرّ الوجه [٤] ، أما في حالة الحزن فنلاحظ اصفرار الوجه لانقباض الدم من ظاهر الجسد إلى جوف القلب [٥].ومن آثار الغضب الجسدية الظاهرة شدة الارتجاف في الأطراف واضطراب الحركة والكلام حتى يظهر الزبد على الفم وتحمر الأحداق[٦] .

وقد ورد في الحديث ما يؤكد علاقة الهيجان بالجسم فقال الرسول عليه الصلاة والسلام : « من كثر همه سَقَم بدنه » .

٢- **التغيرات العقلية** : إن الهيجان المعتدل المعقول يساهم في النشاط العقلي ، أما الهيجان الشديد فيتعارض مع التفكير السليم والسلوك الصحيح (فأقل الناس غضبا أعقلهم، والغضب غول العقل [٧]) .

الغضب

تعريفه :

عرف ابن مسكويه الغضب فقال : « الغضب هو حركة للنفس ، يحدث لها غليان دم القلب شهوة الانتقام [٨] »وسماه الغزالي (القوة السبّعية [٩]) وعرفه فقال : « الغضب شعلة نار ، اقتَبست من نار الله الموقدة ، التي تطلّع على الأفئدة ، وإنها لمستكنة في طي الفؤاد

(٢)- إحياء علوم الدين ، أبو حامد العزالي ، ٤/ ١٦٤
(٣)- ميزان العمل ، أبو حامد الغزالي ، ١٣١
(٤)- إحياء علوم الدين ، أبو حامد الغزالي ، ٣/ ١٦٣
(٥)- ميزان العمل ، أبو حامد الغزالي ، ١٣٢
(٦)- إحياء علوم الدين ، أبو حامد الغزالي ، ٣/ ١٦٤
(٧)- إحياء علوم الدين ، أبو حامد العزالي ، ٣/ ١٦٣
(٨)- تهذيب الأخلاق . ابن مسكوية ١٦١
(٩)- الأربعين في أصول الدين ، أبو حامد الغزالي ، ١٩٤

ويستخرجها الكبر الدفين في قلب كل جبار عنيد [(١٠)] » وعندما تشتد نار الغضب فإنها تصم صاحبها عن كل موعظة ونصيحة .

أسبابه :

استعمل القرآن الكريم الغضب في أربعة وعشرين موضعا ، كان أغلبها يدور حول غضب الله تعالى على القوم المنحرفين الضالين ، منها (وغضب الله عليهم ولعنهم وأعدّ لهم جهنم) { الفتح * ٦ } .

تأثير الغضب على السلوك

إن الغضب وسيلة طبيعية للتلاؤم مع الظروف الخارجية المفاجئة بقصد المحافظة على البقاء ، فالقلب في هيجان الغضب يرسل كمية من الدم إلى الرأس ليساعده على التفكير السريع في سبيل التخلص من المشكلة مما يصبغ وجنتيه بالحمرة ، ولكنه حين يقع في هيجان الخوف فإن القلب يرسل كمية كبرى من الدم إلى الرجلين ليساعدهما على الهرب ، فيبدو الوجه مصفرا .

وتصدر عن الغاضب أفعال رديئة كثيرة ، يجور فيها الغاضب على نفسه ، ثم على إخوانه ، ثم على الأقرب فالأقرب ، حتى على نسائه وخدمه .

وقد يقدّم الغضب خدمة طيبة في تأجيج الحماس الوطني في نفوس الناس إذا تعرّض الوطن للخطر ، فقد كانت استغاثة (وامعتصماه) التي أطلقتها امرأة عربية أسيرة في بلاد الروم سببا في إثارة الحماس عند الخليفة المعتصم (١٧٨- ٢٢٦ هـ/ ٧٩٥- ٨٤٢ م) حيث حارب الروم وانتصر عليهم في موقعة (عمورية) الشهيرة .

علاج الغضب

أ- عالج الرسول صلى الله عليه وسلم مشكلة الغضب بمحاولة ضبط الشعور وعدم ترك النفس على طبيعتها ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه « أن رجلا (هو جارية بن قدامة السعدي) (المتوفى ٤٢هـ/ ٦٦٣م) »

قال : يا رسول الله أوصني ولا تكثر ، لعلي لا أنس . قال : لا تغضب » أخرجه البخاري ومالك [(١١)] والترمذي .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « ليس الشديد بالصّرَعة ، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب » رواه الثلاثة .

ودعانا الإسلام إلى كظم الغيظ : (الَّذِينَ يُنْفِقونَ في السَّرَّاءِ والضَّراءِ وَالْكاظِمينَ الْغَيْظَ وَالْعافِينَ عَنِ النّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنينَ) { آل عمران * ١٣٤} .

---

(١٠)- إحياء علوم الدين ، أبو حامد الغزالي ١١٣/٣.

(١١)- مالك بن أنس (٩٢- ١٧٨ هـ/ ٧١٢- ٧٩٥ م) إمام دار الهجرة ، صاحب المذهب المالكي ، ولد وتوفي في المدينة المنورة ، ألف (الموطا).

وقال صلى الله عليه وسلم : « من كظم وهو قادر أن ينفذه ، دعاه الله سبحانه وتعالى على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيّره من الحور العين ماشاء » أخرجه الترمذي وحسّنه السيوطي (١٢) .

ب- أما فلاسفة الإسلام فرأوا أن التخلص من الغضب يتطلب إزالة الأسباب بأضدادها، فينبغي أن تميت الزهو بالتواضع ، وتميت العجب بمعرفتك بنفسك ، وأما المزاح فيزول بالتشاغل بالمهمات الدينية ، وأما الهزل فتزيله بالجد في طلب الفضائل

جـ -وأما الغزالي فقد رأى أن علاج الغضب (١٣)إنما يكون بثلاثة مناهج (منهج فكري ومنهج كلامي ومنهج عملي) :

١- المنهج الفكري : أن يفكر الغاضب في الأخبار الواردة في كظم الغيظ والحلم والاحتمال فيرغب في الثواب ، وأن يخوّف نفسه بعقاب الله تعالى ، وأن يحذّر نفسه من عاقبة العداوة والانتقام ، وأن يتفكر في قبح صورته عند الغضب ، ومشابهة الحليم بالأنبياء والأولياء والعلماء ، وأن يفكر في السبب الذي يدعوه للانتقام فيهوّن من شأنه .

٢- المنهج الكلامي : أن يقول الغاضب : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم ..إلى غير ذلك ، حتى تنصرف النفس عن الغضب ، ويتغيّر مجرى تيار الهيجان .

ويقول ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم للسيدة عائشة (١٤) رضي الله عنها ، قالت : « دخل عليّ النبي صلى الله عليه وسلم وأنا غضبى ، فأخذ بطرف المفصل من أنفي فعركه ثم قال : يا عويش (١٥)قولي : اللهم اغفر لي ذنبي ، وأذهب غيظ قلبي ، وأجرني من الشيطان » أخرجه ابن سنة (١٦) بسند ضعيف .

٣- المنهج العملي : يقول الغزالي : « فإن لم يزل الغضب موجودا فاجلس إن كنت قائما واضطجع إن كنت جالسا ، فإن سبب الغضب الحرارة ، وسبب الحرارة الحركة وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « إن الغضب جمرة توقد في القلب ، ألم تر إلى انتفاخ أوداجه وحمرة

(١٢)-السيوطي : عبد الرحمن بن أبي بكر الخصيري السيوطي (٨٤٨- ٩١٠ هـ/ ١٤٤٥- ١٥٠٥ م) إمام حافظ مؤرخ أديب ، له نحو ٦٠٠مصنف ، منها : (الأحاد المنيفة ، الألفية في مصطلح الحديث ، تفسير الجلالين) .

(١٣)- العلاج النفساني ، حامد عبد القادر - ٧٠ .

(١٤)- عائشة (٩ق هـ- ٥٨هـ/ ٦١٣- ٦٧٨ م) هي أم المؤمنين ، بنت أبي بكر رضي الله عنه وزوجة النبي صلى الله عليه وسلم . حاربت علي بن أبي طالب يوم الجمل ، قبرها في البقيع في المدينة المنورة .

(١٥)- عويش : ترخيم اسم عائشة للتحبب .

(١٦)- ابن سنة : محمد بن محمد ابن سنة الشنقيطي العمري (١٠٤٢- ١١٨٦ هـ/ ١٦٣٣- ١٧٧٢م) عالم بالحديث ، واسع الرواية عزيز الحفظ ، معمّر ، روى عن ٩٢٠شيخا .

عينيه ، فإذا وجد أحدكم من ذلك شيئا ، فإن كان قائما فليجلس ، وإن كان جالسا فليقم [١٧]»
وهذا ما يسميه المحدثون (تغيير الحالة الجسمانية الظاهرة) » .

ثم يستعين الغزالي بمتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم للحديث فيقول : « فإنه لم يزل ذلك فليتوضأ بالماء البارد ، فإن النار لا يطفئها إلا الماء ، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم «إن الغضب من الشيطان ، وإن الشيطان خُلق من النار ، وإنما تُطفأ النار بالماء ، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ » أخرجه أحمد [١٨] في مسنده وأبو داود وحسنه السيوطي .

الخوف

يرى الغزالي أن الخوف « هو احتراق القلب لانتظار مكروه في المستقبل [١٩] » .

معاني الخوف في القرآن الكريم

ورد الخوف في القرآن الكريم في مئة وأربعة وعشرين موضعا ، نذكر من معانيها :

١- الخوف من الله تعالى : فقد جاء (إِنّي أَخافُ اللّهَ وَاللّهُ شديدُ الْعِقاب){ الأنفال * ٤٨ }

واعتبرت الأمثال العربية أن أعلى درجة من درجات الفلسفة تتبلور في الخوف من الله تعالى فقد جاء في المثل العربي : (رأس الحكمة مخافة الله) .

٢- خوف الإنسان على حياته : (فَأَخافُ أَنْ يقْتُلونِ) { الشعراء* ١٤ } .

٣- خوف المرء على أولاده : (فَإذا خِفْتِ عَليْهِ فَأَلْقيهِ في الْيَمّ وَلا تخافي وَلا تحْزَني) {القصص* ٧ } .

٤- الخوف من عذاب الآخرة (لمن خاف عذاب الآخرة) { هود * ١٠٣ } .

الهيجان والاتزان النفسي

إن الصفات الجوهرية التي تتميز بها الشخصية المتكاملة في مجال الهيجان هي : (الاعتدال والواقعية والتوازن) :

١- **الاعتدال** : حيث تكون هيجانات الإنسان معتدلة في عنفها وقوتها ، فلا هي ضعيفة واهنة بحيث يكون صاحبها بليد الشعور والإحساس ، ولا هي عنيفة جامحة بحيث تجعله شخصا عصبيا يثور لأتفه الأسباب ، وقد جاء في المثل العربي (لا تكن لينا فتعصر ، ولا يابسا فتكسر) .

٢- **الواقعية** : أي أن يكون الإنسان موضوعيا في مجابهة مشاكل الحياة والتكيف مع العالم الخارجي : بحيث لا يكون (ذاتيا) يتقوقع على نفسه ، ويرى العالم الخارجي كما تصوره له أفكاره .

(١٧) إحياء علوم الدين ، أبو حامد الغزالي ٣/ ١٧٠

(١٨)- أحمد بن حنبل (١٦٢- ٢٤٠ هـ/ ٧٨٠- ٨٥٥ م) ولد في بغداد ، قام برحلات لطلب الحديث ، قاوم المعتزلة فسجنه المأمون ثم أفرج عنه المتوكل ، ألف (المسند) في الحديث .

(١٩)- إحياء علوم الدين ، أبو حامد الغزالي ٤/ ١٠٦

ولا يكون (مثالياً) بحيث تبعده مثاليته عن فهم العالم الخارجي وإمكان التعامل معه ولا يكون (ماديا) بحيث تبعده أغراضه الخاصة عن الاهتمام بأغراض الآخرين .

٣- **التوازن**: بمعنى أن تتوازن هيجاناته مع بعضها،فلا يوجد ما هو مسيطر متحكّم في الجميع ، كمالا ينعدم بعضها .

وهذا التوازن يقضي بأن تتعادل الدوافع الإيجابية (كالجنس والسيطرة والميل الاجتماعي) مع الدوافع السلبية (كالخنوع والتقزز والخوف) .

العاطفة

لنأخذ نماذج من العواطف الإنسانية ، فهناك مثلا : (عاطفة الأم نحو ابنها ، وعاطفة الوطني نحو بلاده ، وعاطفة البخيل نحو ماله) .

الأولى تدور حول إنسان (هو الابن) . والثانية تدور حول البيئة (وهي الوطن) . والثالثة تدور حول مادة (هي المال) . فما تعريف العاطفة ؟

العاطفة هي : (دافع تبلور حول موضوع معين ، جعل صاحبه يحس ببعض المشاعر تجاهه ، مرتكزا على فكرة ثابتة ومؤديا لسلوك معين ، بحيث يشكل شخصيته ، ويحدد سلوكه ، ويطبع حياته بطابع خاص) .

وقد أشار فلاسفة الإسلام إلى العاطفة ، إلا أنهم لم يطلقوا عليها هذا الاسم ، بل كانوا يسمونها : (الميل ، أو الحب أو العشق أو الهوى) .

الميل

الميل إلى الشيء هو الرغبة فيه ، و قد ورد الميل في القرآن الكريم ثلاث مرات جاءت كلها في سورة النساء فقط ، وقد وردت بثلاثة معان :

١- الانحراف والضلال والانجراف : (وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعونَ الشَّهَواتِ أنْ تَميلوا مَيْلا عظيماً) {النساء* ٢٧ }

٢- التطرف أو الإفراط : (فَلا تَميلوا كُلَّ المَيْلِ فَتَذَروها كالمُعَلَّقَةِ) { النساء * ١٢٩ }

٣- السيطرة والغلبة : (وَدَّ الَّذِينَ كَفَروا لَوْتَغْفَلونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَميلونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً واحِدَةً) { النساء* ١٠٢ } .

الحب

الحب هو استحسان الشيء . والرغبة فيه ، وإظهار الوداد له .

عرفه ابن سينا فقال : « الحب مرض وسواسي شبيه بالماليخوليا ، يكون الإنسان قد جلبه لنفسه بتسليط فكرته على استحسان بعض الصور والشمائل ، ثم أعانته على ذلك شهوته [٢٠] » .

(٢٠)- العلاج النفساني ، الدكتور حامد عبد القادر ـ ٥١ .

منشؤه : ذكر الغزالي أن عاطفة الحب تنشأ من عدة عوامل [٢١] :
من حب الإنسان لذاته ، أومن حبه لمن أحسن إليه ، أو من حبه لما هو جميل في ذاته ، أو من حبه لإنسان نتيجة تجاذب فطري طبقا لما جاء في الحديث الشريف : « الأرواح جنود مجندة ، ما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف » رواه الشيخان وأبو داود عن أبي هريرة ، وذلك لأن شبيه الشيء منجذب إليه كانجذاب الصغير إلى الصغير، والكبير إلى الكبير .
ماذا يحب الناس ؟ ذكر لنا القرآن الكريم أن طبيعة النفس الإنسانية تحب أشياء متنوعة ذكر منها :
١- يحبون الطعام : (وَيُطْعِمونَ الطعام على حُبِّه مسكينا ويتيما وأسيراً) { الإنسان * ٨ } .
٢- كمايحبون النساء والأولاد : (زُيِّن لِلنَّاس حُبُّ الشَّهواتِ من النِّساءِ وَالْبنين){ آل عمران * ١٤ }
٣- أنهم يحبون المال كثيرا : (وتحبُّونَ الْمَالَ حُبّاً جمّاً) { الفجر * ٢٠ } .
٤- ويحبون العاجلة : (كَلاَّ بَلْ تُحِبّونَ الْعاجِلَةَ) { القيامة * ٢٠ } .
٥- ولا يحبون النصيحة : (ونَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لا تُحِبُّونَ النَّاصِحينَ) { الأعراف * ٧٩ } .
٦-وقد يحقدون في بعض الأحيان ، والحقد هو « عاطفة تنشأ عن الغضب ، وهي أكثر تعقيدا من الهيجان وتتبلور حين يضطر الإنسان لكظم غيظه لعجزه عن التشفي في الحال [٢٢]» وقد قال العرب في أمثالهم :(ظاهر العتاب خير من باطن الحقد)
حب الله : ذكر الغزالي [٢٣] أن الدين عاطفة مركزها فكرة الإنسان عن الله ، وهذه العاطفة تنشأ بالتدريج وعلى فترات طويلة ، ويرافقها عدة مظاهر انفعالية : كصدق الرجاء في مواعيد الله ، وما يتوقع المرء من ربه في الآخرة من نعيم ، وما أسلف على الإنسان من نعيم بالاضافة إلى خوفه من نقمته أو رغبته في نعيمه . والفرق بين المؤمن والمتصوف في حب الله ، هو : أن حب المؤمن حب تغلب عليه الصفة النفعية ، فالمؤمن يحب الله بإطاعة أوامره ليدخله الجنة ، أو باجتناب نواهيه ليسلم من النار .

أما الصوفية فقد حاولوا تجريد الحب من الصفة النفعية ، فجعلوه خالصا لذات الله بغضّ النظر عن رجاء الثواب،أو الخوف من العقاب ، وبهذا سما عندهم هذا الحب ، وهنا نستطيع أن نفهم ما قالته رابعة العدوية [٢٤] في مناجاتها الله تعالى إذ تقول :
(اللهم : إذا كنت أعبدك طمعا في جنتك فاحرمني منها ، وإن كنت أعبدك خوفا من نارك فاحرقني فيها ، ألا انني أعبدك لأنك رب كامل عظيم تستحق العبادة)

(٢١)- إحياء علوم الدين ، أبو حامد الغزالي ٤/ ٢٩٨ .
(٢٢)- إحياء علوم الدين ، أبو حامد الغزالي ، ١/ ١٧٧
(٢٣)- إحياء علوم الدين ، أبو حامد الغزالي ، ٣/ ١٦٣.
(٢٤)- رابعة العدوية (توفيت ١٣٤ هـ/ ٧٥٢م) ، بصرية ، صالحة مشهورة ، كانت تعزف ثم تنسكت واتجهت للتصوف ، توفيت في القدس الشريف .

العشق

العشق تعلق القلب بالشيء ، أو الافراط في المحبة ، ويكون ساميا أو منحطا ، سالكا طريق العفاف أو الدعارة . ولم يرد العشق في القرآن الكريم (اسما أو فعلا)

الهوى

عندما تصبح العاطفة مسيطرة طاغية بحيث تستأثر بكل حياة المرء ، فلا تدع مجالا لغيرها في حياته تسمى (الهوى)

إن الهوى هو ميلان النفس بإرادتها إلى ما تستلذ ، والتصاقها به ، بحيث لا تستطيع التخلص منه ، فالهوى إذن عاطفة جامحة ، أو غلت في تمركزها في النفس ، وانفردت وحدها بساحة الحياة النفسية ، ولهذا فإن الهوى أكثر عنفا وأكثر غنى من العاطفة ، وهو فعّال نشيط يتضخم على حساب غيره ، ويصبح بؤره الجذب في الحياة الانفعالية والعقلية ، مما يستعبد صاحبه ، ويسيطر على تصرفاته وأفكاره كهوى الحب الجارف الذي أصاب مجنون ليلى (قيس بن الملوح - المتوفى ٦٧ هـ/ ٦٨٧ م) ، أو هوى الغيرة العمياء ، أو الحسد القاتل.

قال سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه : « إيّاكم واتباع الهوى وطول الأمل : فإن اتباع الهوى يبعد عن الحق ، وطول الأمل ينسي الآخرة » .

وقد ورد عن أبي الدرداء [٢٥] رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « حبك الشيء يعمي ويصم » رواه أبوداود والإمام أحمد .

وقال وهب بن منبه [٢٦] : « العقل والهوى يصطرعان ، فأيهما غلب مال بصاحبه » وقال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه لمعاوية بن أبي سفيان [٢٧] رضي الله عنه: « من أصبر الناس ؟ فقال معاوية : من كان رأيه رادا لهواه » .

وقال عمر بن عبد العزيز [٢٨] رضي الله عنه : «أفضل الجهاد جهاد الهوى » .

وقال عبد المنعم الجلياني : « من حكم عليه الهوى ، فهو معزول القوى » .

وجاء في الأمثال العربية : (الحب أعمى ، من أحب شيئا أكثر من ذكره ، من أطاع هواه باع دينه بدنياه) .

---

(٢٥)- أبو الدرداء : عويمر بن مالك الخزرجي (توفي ٣٠ هـ/ ٦٥٢م) ، صحابي ، حكيم، فارس قاضي ولاه معاوية قضاء دمشق و هو أول قاض فيها ، وأحد الذين جمعوا القرآن ، توفي في الشام ، روي عنه ١٧٩ حديثا .

(٢٦)- وهب بن منبه الأبناوي الصنعاني الذماري (٣٣- ١١٣ هـ/ ٦٥٤- ٧٣٢ م) ، أصله فارسي ، من التابعين ، مؤرخ وعالم بالأساطير ، ولد ومات بصنعاء ، ألف (قصص الأنبياء . قصص الأخيار) .

(٢٧)- معاوية بن أبي سفيان (١٩ق هـ ٥٩ هـ / ٦٠٣- ٦٨٠م) ، مؤسس الدولة الأموية في الشام. فصيح حليم وقور ، ولد بمكة المكرمة ، من كتّاب النبي صلى الله عليه وسلم .

(٢٨)- عمر بن عبد العزيز (٦٠- ١٠١ هـ/ ٦٨١- ٧٢٠م) ، خليفة أموي عادل ، ولد في المدينة المنورة استوزره سليمان بن عبد الملك بالشام ، ثم ولي الخلافة ، منع سب عليّ رضي الله عنه على المنابر .

وقال الشاعر :

وعين الرضا عن كل عيب كليلة كما أن عين السخط تبدي المساويا

وهكذا ... يكون لصاحب الهوى منطقه الخاص ، فهو لا يبحث عن الحقيقة ، ولكنه يعتقدها سلفا ويؤمن بها ، ويحاول فلسفة تصرفاته وإثباتها بالبراهين ، وتبريرها بالمسوّغات المنطقية .

وقد أورد القرآن الكريم نموذجاً لهذا الانقلاب في المفاهيم ، فقال : (وَإذا قيلَ لَهَمْ لا تُفسِدوا في الأَرْضِ قالوا إنّما نحْنُ مُصْلِحونَ * أَلا إِنّهُمْ هُمُ المُفْسِدونَ وَلكِنْ لا يَشْعُرونَ) { البقرة * ١١- ١٢ } .

وقد ورد الهوى في القرآن الكريم خمس مرات بمعان مختلفة ، وهي

١- الانحراف عن جادة الحق : (فَلا تَتّبعوا الهوىَ أَنْ تَعْدِلوا) { النساء* ١٣٥ }

٢- رغبات النفوس : (إنْ يَتّبعونَ إلاّ الظّنَّ وَما تَهْوى الأَنفُسُ) { النجم * ٢٣ }

٣- مراد الشيطان :(كَالّذي اسْتَهْوَتْهُ الشّياطينُ في الأَرْضِ حَيْرانَ) { الأنعام * ٧١ }

٤- الخطأ والانحراف (وَما ينْطِقُ عَنِ الْهَوى* إِنْ هُوَ إِلاّ وحْيٌ يوحىَ) { النجم * ٣- ٤ }

٥- الضلال : (واتبعَ هَواهُ فَتَرَدّىَ) { طه * ١٦ } .

انتقال العواطف

لا تبقى العاطفة ثابتة في ارتباطها بالأشياء ، بل تنتقل وتتحول من موضوع لآخر :

١- فقد يكون الانتقال من موضوع العاطفة إلى شيء آخر يماثله أو يشابهه ، فقد نرى شخصا لأول مرة فنشعر نحوه بالاحترام أو المحبة أو الشفقة أو الكراهية ، وهو يرجع إلى شبه بينه وبين شخص آخر ، كان موضع هذه العاطفة .

٢- تنتقل العاطفة من تمركزها حول شخص إلى شيء مادي يتعلق بهذا الشخص . يقول الغزالي : « فالمشاهدة والتجربة تدلان على أن الحب يتعدى من ذات المحبوب إلى ما يحيط به ويتعلق بأسبابه ، وذلك من فرط المحبة ، فمن أحب الله مثلا أحب كل ما يتعلق به [٢٩] » .

وعاطفة العاشق تنتقل من المحبوب إلى رسائله وثيابه ، فيحب الرسالة لأنه يحب كاتبها ويعشق الدار لأنه يحب ساكنها ، وفي هذا يقول الشاعر :

أمر على الديار ديار ليلى أقبّل ذا الجدار وذا الجدارا

وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

٣- وتتطور العاطفة من مستوى لآخر : فعاطفة البخيل تكون في أساسها حبا للمال لأنه يجلب الفائدة ويحقق مطالب الإنسان ، ثم تتحول هذه العاطفة إلى حب المال في ذاته كغاية لا وسيلة

آثار العاطفة

إن عناصر العاطفة موجودة أصلا في نفس الفرد ، وإنما تنتظم فيما بينها بتراكيب جديدة ، تكسب الحياة الانفعالية المتقلبة قدرًا من الانسجام ، ثم تدخل في نظام واحد شامل

(٢٩)-إحياء علوم الدين ، أبو حامد الغزالي ٢/ ١٦٣

متناسق يكّون ما نسميه الشخصية .

لهذكانت العواطف من أهم عناصر شخصية الإنسان لأنها تحدد اتجاهه وسلوكه ، فهي تلعب دورًا هامًا في حياتنا ، وتبدو آثارها في السلوك والإدراك والتذكر والتداعي وتكوين المعتقدات وتعديلها :

١- إن الأحكام التي يصدرها الإنسان تتأثر بعاطفته ، لأن المرء يفكر من خلال زاوية عاطفته وينظر إلى الأموربمنظارها .

ومن هنا يكون التعصّب للجماعات والمذاهب العقائدية والأحزاب ، وهي أمور تتأثر بمنطق العواطف . كذلك فإن العاطفة تشوّه حكمنا على الحاضر ، فقد تختلف نظرتنا إلى الأشخاص ، وما يصدر عنهم من حركات وعبارات باختلاف حالتنا العاطفية الراهنة ، فنميل إلى التساهل واللطف إذا كنا في حالة ارتياح ورضى،أو تتغلب علينا النزعة إلى التعسف والاستبداد والقسوة عندما ينزعج مزاجنا ويضطرب .

٢- تلعب العواطف دورًا هامًا في حياة الإنسان ، فهي تشكل معظم دوافعنا :

تأمل عاطفة الأمومة ، وكيف تصوغ هذه العاطفةحياة الأم ،وكيف تحدد سلوكها نحو ابنها، وكيف تتحمل المتاعب والصعاب في سبيله دون أن تشكو أو تتبرم .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : « جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله مَنْ أحق الناس بحسن صحابتي ؟ قال : أمك . قال : ثم من ؟ قال : أمك . قال : ثم من ؟ قال : أمك . قال ثم من ؟ قال : أبوك » . رواه الشيخان .

وقال عليه الصلاة والسلام : « الجنة تحت أقدام الأمهات» رواه أحمد والنسائي وابن ماجه والحاكم[٣٠].

٣- وتترك العاطفة أثرها في السلوك وتكون له كضوابط :

أ- يرجح الإنسان بواسطتها دافعا على آخر « فمن يحب الله إذا أخبر عن رجلين أحدهما عالم عابد ، والآخر جاهل فاسق ، وجد في نفسه ميلا إلى العالم العابد [٣١]» .

ب- قد يصل الأمر بالإنسان المحب إلى أن لا يشعر بالألم لانشغاله بالحب [٣٢] .

جـ- يفضل الإنسان ما يحبه محبوبه على ما يحبه هو [٣٣] ، بل إنه ليجد المتعة بخدمة محبوبه [٣٤]

(٣٠)- الحاكم : محمد بن عبد الله الضبي الطهماني (٣٢٠-٤٠٤ هـ/ ٩٣٣- ١٠١٤ م) ، من أكابر حفاظ الحديث ، مولده ووفاته في نيسابور ، ولي قضاء نيسابور ثم جرجان ، ألف (تاريخ نيسابور المستدرك على الصحيحين ، معرفة علوم الحديث) .

(٣١)- إحياء علوم الدين ، أبو حامد الغزالي ، ٢/ ١٦٣

(٣٢)- إحياء علوم الدين ، أبو حامد الغزالي ، ٤/ ٤٣٠

(٣٣)- إحياء علوم الدين ، أبو حامد الغزالي ، ٤/ ٣٢٢

(٣٤)- إحياء علوم الدين ، أبو حامد الغزالي ، ٤/ ٣٢٤

د- من مظاهر عاطفة حب الإنسان لمذهبه أنه قد ينفق جميع ماله في نصرة مذهبه والدفاع عنه وقد يخاطر بروحه في قتال من يمس شرفه (٣٥).

٤- يبدو أثر العاطفة قويًا وعنيفاً حين تتغلب عاطفة ما على شخصية الإنسان ، فتصبح هي العاطفة السائدة ، وتغدو بذلك من أعظم الشواغل (٣٦) وتستغرق قلب الإنسان (٣٧) ، مثال ذلك:عاطفة حب الله التي قد تصبغ شخصية المرء بحيث تصبح محور تفكيره ومصدر أحكامه ولا تتحمل أن يكون إلى جانبها عاطفة أخرى ، فالقلب مثل الإناء الذي لا يتسع للخل ما لم يخرج منه الماء (مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ) { الأحزاب * ٤ } .

٥- وتكون العاطفة السائدة عند الفرد بمثابة المركز الذي يجذب إليه الإحساسات والعواطف المجانسة له ، وهذا ما يعرف باسم (تبلور العواطف) .

فعندما يستولي علينا الحزن العميق نميل إلى تذّكر ما أصابنا في الماضي ، وإلى تأمل بؤس الآخرين ، وتصور ما تعانيه الإنسانية من شقاء ، فتطغى علينا موجة من التشاؤم .

ومن هذا يروى عن الشاعر التميمي الصحابي متمم بن نويرة اليربوعي المتوفى ٢٨ هـ/ ٦٥٠م) أنه:كلما رأى قبرا من القبور ذكّره أخاه (مالكا) فبكى وانتحب ، وإلى هذا يشير بقوله :

لقد لامني عند القبور على البكا رفيقي لتذ راف الدموع السوافك

وهكذا نجد أن الاتجاه الذي يتّخذه تفكيرنا ، والصبغة التي تصطبغ بها تأويلاتنا والكيفيات التي تشكل سلوكنا وأوضاعنا ترجع في نهاية الأمر إلى هذا التبلور في العواطف .

موقف الإسلام من العاطفة

وقف الإسلام من العاطفة أربعة مواقف رئيسية :

١- **تحكيم العقل في العاطفة** : دعانا الله سبحانه وتعالى أن نحكّم عقولنا فيما تتّجه إليه عواطفنا ، وذلك حتى لا تجمح العاطفة بشخصية صاحبها ، فقد نكره شيئًا رغم أن فيه خيرًا لحياتنا.وقد نحب شيئًا رغم ما فيه من شرور ومصائب (وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) { البقرة * ٢١٦ } .

٢- **تحبيبنا بالنماذج الخيرة** : حاول الإسلام تحبيبنا ببعض النماذج الخيّرة من الناس، واعتبرهم قدوة لنا في سلوكنا وتصرفاتنا . فمثلا يقول تعالى :

(إن الله يحب المحسنين) { البقرة * ١٩٥ } ، (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ) { البقرة * ٢٢٢ } (وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) { البقرة * ٢٢٢} ، (فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) { آل عمران * ٧٦ } ، (وَاللَّهُ يُحِبُّ الصابرينَ) { آل عمران * ١٤٦ } ، (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) { آل عمران * ١٥٩ } ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) { المائدة * ٤٢ } .

(٣٥)- إحياء علوم الدين ، أبو حامد الغزالي ، ٤/ ٢٩١

(٣٦)- إحياء علوم الدين ، أبو حامد الغزالي ، ٢/ ١٦٥

(٣٧)- إحياء علوم الدين ، أبو حامد الغزالي ، ٤/ ٣٣٧

٣- إبعادنا عن النماذج السيئة : كما أراد الإسلام إبعادنا عن نماذج سيئة من الناس، وبين لنا أن الله تعالى لا يحب هذه الاصناف من الناس ، فمثلا يقول تعالى :
(إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) { البقرة * ١٩٠ } (وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ) { البقرة * ٢٧٦ } ، (فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الكافِرِينَ) { آل عمران * ٣٢ } ، (واللَّهُ لا يُحبُّ الظالِمِين) { آل عمران * ٥٧ } ، (إنالله لا يحبُّ مَنْ كان مُخْتالاً فخوراً) { النساء* ٣٦ } ، (وَاللَّهُ لا يُحِبُّ المُفْسِدِينَ) { المائدة * ٦٤ } ، (إِنَّهُ لا يَحِبُ المُسْرِفين) { الأنعام * ١٤١ } ، (إِنَ اللَّهَ لا يُحِبُّ الخَائِنِينَ) { الأنفال * ٥٨ } ، (إِنَّهُ لا يَحِبُّ المُسْتَكْبِرِينَ) { النحل * ٢٣ } .

٤- الرياضة في الحب الإلهي : لا بد للمسلم أن يأخذ نفسه بالتصفية،وقلبه بالتنقية ، وأن يتخلّى عن الصفات المذمومة ، ويتحلّى بالأوامر المحمودة ، بحيث ينكشف عن بصيرته حجاب الحس ، وينفتح أمام قلبه باب القدس ، فإذا به يرى مالاعين رأت ، ويسمع مالا أذن سمعت ، ويذوق من الحقائق مالا يخطر على قلب بشر .

وإنما يصبح كذلك لأنه يحب الله ، فهو يحيا في ظله ، وينهل من فضله ، ولا يصدر إلا عنه ، ولا يرد أي شيء إلا إليه ، ولا يستمد أي عون إلا منه .

الذات الإلهية عنده هي المنبع الأسمى لكل ما في الوجود من آيات الحق والجمال ، وهي المورد الأسنى لكل ما في الكون من دلالات الخير والكمال .

وخلاصة القول ... إن الصراع بين العواطف والعقل دائم الاحتدام ، وإذا كان من اليسير على بعض الناس بفضل ما اكتسبوا من قوة الإرادة ومن ضبط النفس أن يخضعوا العاطفة الجامحة للروّية والعقل ، فإن ضعفاء الشخصية يستسلمون عادة لسلطان العواطف والنزوات،مصطنعين شتى السبل لتبرير مواقفهم واتجاهاتهم السلوكية .

* * *

الحياة العقلية

سندرس الحياة العقلية بادئين بأبسط الوظائف النفسية التي تكوّنه وهي،الإحساس ثم الإدراك الحسي ثم التذكر ثم التصور ثم التخيل ثم الأحلام ثم العقل ثم الإلهام .

الإحساس

الإحساس حادثة فيزيولوجية عبارة عن مجرد انطباع صورة الشيء المحسوس على المراكز العصبية عن طريق الحواس . فالعين تستقبل اهتزازات ضوئية تمر عن طريق العصب البصري ، بشكل سيالة عصبية إلى مركز الرؤية في الدماغ . والأذن تستقبل موجات صوتية تمر عن طريق العصب السمعي بشكل سيالة عصبية إلى مركز السمع في الدماغ . وهكذا .... ومراكز الإحساس في الدماغ ليست منفصلة عن بعضها ، فهناك ألياف عصبية تصل المراكز العصبية ببعضها ، وهذا يفسر لنا تكامل الإحساسات المختلفة وترابطها مع بعضها .

وقد رتب ابن سينا الحواس من البساطة إلى التركيب على النحو التالي : (اللمس ، الذوق الشم ، السمع ، البصر [1]) وتابعه في ذلك ابن رشد وابن باجه [2] .

اللمس : يتفق الغزالي مع فلاسفة الإسلام في أن اللمس هو أول الحواس وأعمّها ، حتى أنه لا يمكن تصوّر أي حيوان خالياً من هذا الإحساس .

وقد عرّفه الغزالي بأنه : (قوة مبثوثة في جميع البشرة واللحم ، يدرك الإنسان به الحرارة والبرودة ، والرطوبة واليبوسة ، والصلابة واللين ، والخشونة والملاسة ،والخفة والثقل [3] وقد قال بذلك أيضا إخوان الصفا كما قال قبلهم أفلاطون وأرسطو .

وموضوع حاسة اللمس هو إدراك ما يلامس البدن،أو هو الإحساس بالماسة والملاصقة [4] ويعمل اللمس على جلب المنافع للجسم ، ودفع الضرر عنه ، والمحافظة على الحياة .

وقد استعمل القرآن الكريم فعل اللمس بثلاثة مفاهيم :

الأول : بمعنى الإحساس اللمسي : (وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتاباً في قِرْطاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذا إِلاّ سِحْرٌ مُبِينٌ) [الأنعام * ٧] .

الثاني : بمعنى التعرّف (وَأَنّا لَمَسْنا السَّماءَ فَوَجَدْناها مُلِئَتْ حَرَساً شَديداً وَشُهُباً) [الجن * ٨] .

الثالث : وهو أسلوب أدبي رفيع جاء كناية عن الجماع فقال : (أَوْلامَسْتُمْ النِّساءَ) [ورد ذلك

---

(١)- شرح الشفاء . ابن سينا ٤٦٤/١

(٢)- ابن باجة : (توفي ٥٣٣ هـ/ ١١٣٩ م) ويعرف بابن الصائغ ، فيلسوف وضليع في الطبيعيات والفلك والرياضيات والطب والشعر . ولد في سرقسطة وانتقل إلى فارس واتهم بالالحاد . مات مسموماً . انتقد ارسطو ودافع عن الفلاسفة ضد الغزالي . ألف (تدبير المتوحد . اتصال العقل ؛) .

(٣)- مقاصد الفلاسفة ، أبو حامد الغزالي ٢٨٠.

(٤)- شرح الشفاء ، ابن سينا ٢٨٩/١.

في موضعين النساء* ٤٣ ، والمائدة * ٦ } ، حيث عبّر عن الكل بالجزء ، وهو من بلاغة القرآن الكريم .

الذوق والكلام : اللسان هو آلة الذوق وآلة الكلام :

الذوق : وهو إحساس مباشر ، وقد كان أغلب القدماء يعتبرونه نوعا من اللمس ، وكانوا يقولون : إن اللسان يلمس الشيء ليعرف طعمه ، وهو غير صحيح ، لأن اللمس إحساس ميكانيكي والذوق إحساس كيميائي .

وقد انتبه الغزالي لهذا الفرق ، فذكر ضرورة اللعاب لحصول الذوق ، وبررّ ذلك فقال : « إن الذوق يعمل بواسطة الرطوبة اللعابية المنبثة على ظهر اللسان ، فإنها تأخذ الطعم ، وتتصل بتلك العصبية فتدركها القوة المودعة في العصبية (٥) » .

أما القرآن الكريم فقد استعمل الذوق بمعان مختلفة ، نذكر منها :

١- معنى التحملّ (فَذاقَتْ وَبالَ أَمْرِها وَكانَ عاقِبَةُ أَمْرِها خُسْراً) { الطلاق * ٩ } .

٢- معنى التعرفّ (لا يَذوقونَ فيها بَرْداً وَلا شَراباً) { النبأ * ٢٤ } .

٣- معنى العقاب (فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذاقَها اللّهُ لِباسَ الجوعِ وَالخَوْفِ) { النحل * ١١٢ } .

٤- معنى المكافأة (ثُمَّ إذا أَذاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً) { الروم * ٣٣ } .

أما الذوق عند المتصوفين فقد قال فيه الجرجاني (٦) : « الذوق في اصطلاح الصوفية نور عرفاني يقذفه الحق بتجلّيه في قلوب أوليائه ، يفرّقون به بين الحق والباطل ، من غير أن ينقلوا ذلك من كتاب أو غيره) .

الكلام : وهو من متعلقات اللسان ، وبه التوفيق والنجاة ، ومنه التهلكة والخذلان . روي عن أبي سعيد الخدري (٧) رضي الله عنه : « أن ابن آدم إذا أصبح ، بكرت الأعضاء كلها إلى اللسان ، وقلن له : ننشدك الله أن تستقيم ، فإنك إن استقمت استقمنا ، وإن اعوججت اعوججنا » أخرجه الترمذي ووقع في الإحياء عن سعيد بن جبير (٨) مرفوعا .

وقيل : « كل إنسان مطوي تحت طيّ لسانه ، لا تحت طيلسانه (٩) » .

(٥)- مقاصد الفلاسفة ، أبو حامد الغزالي ٢٨٠.

(٦)- علي بن محمد الجرجاني (٧٤٠- ٨١٥ هـ / ١٣٤٠- ١٤١٣ م) ، فيلسوف ، درس في شيراز وعاش فيها ، ألف نحو ٥٠ مصنفاً ، منها (التعريفات) و (شرح السراجية) في الفرائض و (الكبرى والصغرى) في المنطق .

(٧)- أبو سعيد الخدري ، سعد بن مالك الأنصاري الخزرجي (٩ ق.. هـ - ٧٣ هـ / ٦١٣ - ٦٩٣ م) صحابي لازم النبي صلى الله عليه وسلم ، له ١١٧٠ حديثاً ، توفي في المدينة .

(٨)- سعيد بن جبير (٤٤- ٩٤ هـ / ٦٦٥ - ٧١٤ م) ، كوفي ، تابعي عالم ، حبشي الأصل ، قتله الحجاج بواسط .

(٩)- الطيلسان : جمع طيالس وطيالسة وهو كساء أخضر ، يلبسه الخواص من المشايخ والعلماء وهو لباس العجم .

وقد روي عن مالك بن دينار [١٠] رحمه الله أنه قال : « إذا رأيت قساوة في قلبك ، ووهناً في بدنك ، وحرماناً في رزقك فاعلم : أنك قد تكلمت فيما لا يعنيك » .

وقال الشاعر :

ما إن ندمت على سكوتي مرة ... ولقد ندمت على الكلام مرارا

ويُستدل على عقل الرجل من كلامه ، فقد قيل :

احفظ لسانك إن اللسان ... سريع إلى المرء في قتله

وإن اللسان دليل الفؤاد ... يدل الرجال على عقله

وقد جاء في صحيح البخاري عن سهل بن سعد [١١] رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من يضمن لي ما بين لحييه وبين رجليه [١٢] أضمن له الجنة » .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : (اللسان معيار أطاشه الجهل ، وأرجحه العقل، فعليك أن لا تتكلم إلا بحجة توضّحها ، أو باطل تدحضه ، أو حكمة تنشرها . ولا تسرف في مدح أو ذم ، وصُن لسانك عن التصريح بما يُستقبَح . وخاطب كل إنسان بما يليق به . وتحامَ عن الألفاظ المنفّرة ، وردّ التحية بأحسن منها . واشكر من صنع إليك معروفا ، وحسّن اخلاقك واحفظ أوقاتك) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « رحم الله من قال فغنم ، وسكت فسلم » أخرجه ابن أبي الدنيا [١٣] والبيهقي .

الشم

وهو إحساس غير مباشر ، لأن تأثر الأنف بالرائحة يتم عن بَعد دون التصاقه بالشيء المشموم ، وقد خلق الله تعالى حاسة الشم عند بعض الحيوانات أقوى مما هي عند الإنسان ، كما نجد في حاسة الشم عند الكلاب .

ولم يستعمل القرآن الكريم (الشم) اسما أو فعلا في أية آية من آياته ، وإن كان قد أورد الشم بأفعال أخرى ، كقوله ، (قَالَ أَبوهُمْ إِنّي لأَجِدُ رِيحَ يوسُفَ) [يوسف * ٩٤] .

(١٠)- مالك بن دينار (توفي ١٢٩ هـ /٧٤٨ م) ، بصري من رواة الحديث ، كان ورعاً وكان يأكل من كسبه ويكتب مصاحف بالأجرة توفي في البصرة .

(١١)- سهل بن سعد الخزرجي الأنصاري (توفي ٩٠ هـ / ٧١٠ م) ، صحابي من مشاهيرهم ، من المدينة عاش نحو مئة سنة له في كتب الحديث ١٨٨ حديثاً .

(١٢)- اللحيان : جانبا الفم ، وما بين الرجلين العورة يُقصد بالأولى الكلام والثانية شهوة الجنس .

(١٣)- عبد الله بن أبي الدنيا (٢٠٧- ٢٨٠ هـ / ٨٢٣ - ٨٩٤ م) ، قرشي أموي بغدادي ، حافظ الحديث ، أدّب الخليفة المعتضد ثم ابن المكتفي ،ألف ١٦٤ كتاباً منها (الفرج بعد الشدة . مكارم الأخلاق)

السمع

خلق الله تعالى السمع للإنسان ليتمكّن من مخاطبة الآخرين ومحادثتهم ، والاستماع للأصوات المستحسنة والتمتع بالألحان المطربة (١٤) .

وموضوع السمع هو الأصوات ، ولابد لحدوث السمع من وسط هو الهواء (ولو لم يكن هواء يؤدي إلى السمع لم يكن السمع يدرك الصوت (١٥)) .

وقد استعمل القرآن الكريم (السمع) بمعان مختلفة ، نذكر منها :

١- الفهم والاستيعاب:(وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرون بِها وَلَهُمْ آذانٌ لا يَسْمَعونَ بِها) { الأعراف * ١٧٩ } .

٢- الرغبة في الهداية:(إِنَّ في ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَومٍ يَسْمَعونَ) { يونس * ٦٧ } .

٣- نسبة السمع إلى الجن : فالجن يسمعون كلامنا بينما نحن لا نسمع كلامهم ، لأنهم من طبيعة تخالف طبيعتنا،فهم خَلقوا من نار ونحن خُلقنا من طين (وَإِذْ صَرَفْنا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الجِنِّ يَسْتَمِعونَ القُرْآنَ) { الأحقاف * ٢٩ } .

ووُصف الله تعالى بالسميع في خمسة وأربعين موضعا في القرآن الكريم .

ومن واجب المسلم أن يحفظ سمعه عن سماع مالا يعنيه ، لأن سماع الغيبة وسماع الكذب محرّم في أي مجلس كان .

البصر

إن حاسة البصر في الإنسان والحيوان هي أرقى الحواس وأرقّها .

وتبدو أهمية البصر من أنه يعرّفنا على شكل الأشياء : طولها وعرضها وحجمها ، ولونها وهيئتها . ولا يتم الإبصار إلا بوجود الوسط وهو الضوء (١٦) .

١- البصر عند الحيوان : ميّز الله تعالى بعض الحيوانات بقوة الإبصار أكثر من الإنسان فقد قال العرب في أمثالهم :(أبصر من عقاب . أبصر من نسر. أبصر من الوطواط في الليل)

٢- البصير : وصف الله تعالى نفسه في القرآن الكريم بالبصير في سبعة وأربعين موضعا وذلك نظرا لأهمية هذه الحاسة ، والبصير صيغة مبالغة لاسم الفاعل (الباصر . المبصر) .

٣- البصر في القرآن الكريم : ورد البصر في القرآن الكريم بمعان مختلفة ، نذكر منها

أ- رؤية العين :(هَلْ يَسْتَوي الأَعْمَى وَالْبصيرُ) { الأنعام * ٥٠ } ، وقوله : (لِمَ تَعْبُدُ مالا

(١٤)- إحياء علوم الدين ، أبو حامد الغزالي ٤/١٠٧

(١٥)- الحكمة في مخلوقات الله ، أبو حامد الغزالي ٢٧.

(١٦)- شرح الشفاء ، ابن سينا ١/٣٠٧ .

يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ) { مريم * ٤٢ } .
ب- الفهم والاستيعاب : (وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لا يُبْصِرُونَ) { الأعراف * ١٩٨ } .
جـ- التفكر والتعقل والتأمل : (وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ) { الذاريات * ٢١ } .
د- رؤية شيء جديد : (قالَ بصُرْتُ بما لمْ يَبْصُروا بِهِ) { طه * ٩٦ } .
هـ- الاهتداء : (قَدْ جاءَكُمْ بَصائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ) { الأنعام * ١٠٤ }
و- وحين نسب البصر لله تعالى فإنه قصد كلا المعنيين (الرؤية المادية بالعين والمعرفة المعنوية بالقلب) فقد قال تعالى : (إِنَّ اللَّهَ بِما تَعْمَلونَ بَصيرٌ) { البقرة * ١١٠ } .
ز- ظاهرة (التلباثي La Telepaphie) : وهي ظاهرة غريبة وفريدة في البصر ، فماذا تعني؟ إن الصوفيين والروحانيين على اختلاف أديانهم ومذاهبهم يقرّون أن للعلم وسائل باطنية يقرّها العقل المنصف ، ويعترف بها الواقع المحسوس المشاهَد ، أساسها الصلة بين النفس الإنسانية والعالَم الروحاني كما يقول الروحانيون ، أو بين النفس الإنسانية وخالقها كما يقول المتصوفون . ويذكر أبو حامد الغزالي : (أن من خلصت نفسه من شوائب المادية وظلماتها ، وصفت روحه فتطهّرت في محاريب الطاعة ومناجاة المحبة ، ورضي الله عنه فأحبه ، أُفيض عليه من آيات الوجود وأسراره ، وإشراقات العلوم وخفاياها ، ما يعلو على الحواس الخمس ، وما تدركه الحواس مما يضيق عنه نطاق النطق) .

وهذا ما يسميه العلماء بظاهرة التلباثي ، وهو رؤية الأشياء من مسافة بعيدة جداً جداً . أيها القارئ الكريم لا تعجب ، ولا يضرب الإنكار على بصيرتك غشاوة فتسخر ، فلقد كشف الله سبحانه وتعالى الغطاء عن عيني عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وهو على منبر المدينة يخطب في أصحابه ، فرأى القائد سارية (١٧) وجيش سارية ، وهو بنهاوند في أرض العراق يقاتل خصوم الرحمن ، وقد أحاط به الأعداء ، ولا نجاة له إلا بأن يعتصم بجبل بجواره . قطع عمر الخطبة ، ونادى بأعلى صوته : (يا ساريةَ .. الجبلَ الجبلَ) .
سمع سارية صوت عمر في لمحة ، رغم بُعد المسافة التي يقطعها الراحل المجدّ في عشرات الأيام ، وعرف أنه صوت عمر ، فالتجأ إلى الجبل ، فنجا وانتصر . يقول عمر بن الفارض (١٨):

وسارية ألجاه للجبل النداء ... من عمر و الدار غير قريبة

كيف أبصر عمر ؟ وكيف سمع سارية ؟
ذلك سر الروح ، وذلك سر الإيمان ، وذلك فضل الله ، وما أوتيتم من العلم إلا قليلا .

---

(١٧)- سارية بن الزنيم الكناني الدئلي (توفي ٢٨ هـ / ٦٥٠ م) صحابي ، قائد فاتح ، وكان شاعراً سيره عمر بن الخطاب إلى بلاد فارس عام ٢٣ هـ .
(١٨)- عمر بن الفارض (٥٧٥ - ٦٣١ هـ/ ١١٨٠ - ١٢٣٤ م) ، ولد وتوفي في القاهرة . من المتصوفين ، عاش متنسكاً في وادي المستضعفين في المقطم بمصر ثم بالحجاز . له ديوان شعر ، ومن أشهر ما فيه قصيدته الخمرية وتائيته الكبرى .

لقد تحدث رب العزة عن ظاهرة التلباثي في قرآنه العظيم ، فقال : (فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ) [ق * ٢٢] .
إن ظاهرة التلباثي حالة نفسية عالية المستوى ، يمتاز بها بعض الناس ، فيدرك الواحد منهم ما يفكر فيه الآخر ، دون أن يكون بينهما محادثة أو إشارة ، فيُكشَف عن بصره فيرى أموراً لاتراها العين في حالتها العادية .

٤- تقديم السمع على البصر : تعوّد المعاصرون أن يقدموا البصر على السمع وحجتهم في ذلك :

أن أغلب الصور الواردة على العقل بصريه ، كما أن أغلب الناس بصريون لا سمعيون، حتى في مجال الأحلام فإن الإنسان في أحلامه يشهد رؤيا وقَلّ أن يسمع كلاماً ويستندون إلى أدلة كثيرة يسوقونها في تفضيل البصر على السمع . أما القرآن الكريم فكان دائما يقدّم السمع على البصر (١٩) ، وقد جمع بينهما في آيات كثيرة بلغت إحدى وثلاثين آية ، منها (إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ) [المجادلة * ١] ، وقال في ترتيب خلق أعضاء الإنسان (إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً) [الإنسان * ٢] ، وقال أيضا : (وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً ما تَشْكُرُونَ) [المؤمنون * ٧٨] .

٥- البصر والبصيرة : بيّن الله تعالى أن حاسة البصر ترى الأشياء المادية بواسطة العين، أما البصيرة فإنها تدرك الأمور المعنوية بواسطة القلب ، لذلك يقول تعالى : (فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) [الحج * ٤٦] وقد قارن الغزالي بين البصر والبصيرة (٢٠) ، وبيّن أن البصر لايصل إلى ما تصل إليه البصيرة ، وذلك للأسباب التالية :

أ- نستطيع بواسطة العين أن نرى غيرنا ، ولكننا بالبصيرة نستطيع أن نبصر ذاتنا .
ب- لا يرى الإنسان بعينه ما بَعُدَ عنه كثيرًا ، أما البصيرة فتستطيع الرؤية من مسافات شاسعة جدا .
جـ- لا ترى العين ما استتر وراء حجاب ، أما البصيرة فإنها تخترق الحجب والأستار .
د- يرى الإنسان بعينه من الأشياء ظاهرها ، أما البصيرة فإنها تغوص إلى البواطن والأعماق .
هـ- يرى الإنسان بعينه بعض المرئيات دون غيرها ، أما البصيرة فإنها تستطيع أن ترى أي شيء .
و- ترى العين الأشياء المتناهية المحدودة ، أما البصيرة فإنها ترى مالا نهاية له .
ز- قد يخطىء البصر في بعض الأحيان ، أما البصيرة فلا تخطئ لأنها ترى بنور الله .

وقال عبد المنعم الجليلاني في البصيرة : (أربعة يثابر عليها ذو البصيرة ليوفر أربعة،يثابر على الصمت في المحاضر ليوفّر فكره فيما يعنيه . ويثابر على القناعة في المكسب ليوفّر وقته للعلم،

---

(١٩)- أسرار النفس ، الدكتور أحمد فؤاد الأهواني ١١.

ويثابر على الصيانة عن الشهوات ليوفّر نفسه على الفضيلة . ويثابر على التقلل من معرفة الناس ليوفّر حاله ولا يفترق في التكلف لهم) .

٦- **حفظ العين** : العين سبب لكل فتنة ، ومعرض لكل الآفات ، لهذا طالبنا الله تعالى - رجالا ونساء - بغض البصر ، فقال : (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُروجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعونَ * وَقُلْ لِلْمُؤْمِناتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُروجَهُنَّ) [النور * ٣٠- ٣١] ففي هذه الآية معان رهيبة من (التأديب والتنبيه والتهديد)

أ- فالتأديب في قوله تعالى : (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصارِهِمْ)لأنه أمر ، ولابد للعبد من امتثال أمر خالقه .

ب- أما التنبيه ففي قوله تعالى (ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ) أي أطهر لقلوبهم وأنمى لخيرهم ، فنبّه بذلك على أن في غض البصر تطهيرًا للقلب وإكثاراً للخير .

جـ- وأما التهديد ففي قوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعونَ) وكفى به تحذيراً .

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إِنَّ النظر إلى محاسن المرأة سهم مسموم من سهام إبليس ، فمن تركها أذاقه الله طعم عبادة تسرّه » أخرجه الترمذي .

واعتبر الإسلام أن العين قد تزني وزناها النظر إلى محرم من امرأة أو رجل ، قال عليه الصلاة والسلام « أيما امرأة استعطرت ، ثم خرجت ، فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية ، وكل عين زانية » رواه النسائي والترمذي والحاكم وصححه ووافقه الذهبي (٢١) .

وفي الرسالة القشيرية عن أبي أمامة (٢٢) عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من نظر إلى محاسن امرأة فغض بصره في أول مرة ، أحدث له عبادة يجد حلاوتها » أخرجه الترمذي .

وجاء في كتاب منهاج العابدين أنه من امتنع عن النظر إلى مالا يعنيه ، يجد لذة للعبادة وحلاوة للطاعة وصفوة للقلب لم يجدها قبل ذلك .

الحواس نوافذ العقل

إن الحواس أشبه ما تكون بالنوافذ التي يستطيع العقل بواسطتها أن يتصل بالعالم الخارجي ، وبدونها لا تتم أية معرفة خارجية ، فالعين تقدم لنا المرئيات ، والأذن تقدم

(٢٠)- مشكاة الأنوار . أبو حامد الغزالي ٦ .

(٢١)- الذهبي ، محمد بن أحمد (٦٧٣- ٧٤٨ هـ / ١٢٧٤ - ١٣٤٨ م) ، حافظ مؤرخ علامة محقق تركماني الأصل من أهل(ميافا رقين)، مولده ووفاته في دمشق ، طاف كثيراً من البلدان ،تصانيفه كبيرة كثيرة تقارب المئة ، منها (تذكرة الحفاظ ، تاريخ الإسلام ، طبقات القراء ، الكبائر) .

(٢٢)- أبو أمامة : صدي بن عجلان الباهلي (٢٠ ق.هـ - ٨٨ هـ /٦٠٢- ٧٠٨ م) ، من قبيلة زريق صحابي ، كان مع علي رضي الله عنه في صفين ، سكن الشام وتوفي بحمص ، وهو آخر صحابي توفي في بلاد الشام ، له في الصحيحين ٢٥٠ حديثاً .

المسموعات ، واللسان يقدم المذوقات . إلخ ... وإذا حرم الإنسان من إحدى حواسه فقد جزءاً من معلومات العالم الخارجي التابعة له ، فالأعمى محروم من المرئيات ، والأصم محروم من المسموعات . إلخ ... ، وهكذا يكون الإحساس شرطا ضروريا لكل إدراك ، وفي هذا يقول الجرجاني : (الإحساس إدراك الشيء بإحدى الحواس).

وقال التهانوي [٢٣] (الإحساس هو قسم من الإدراك)

وقال ابن سينا : « الإحساس إنما يحس شيئا خارجيا ، لكنه لا يحس ذاته ، ولا آلته ، ولا إحساسه [٢٤] » . وكل إدراك لا يقوم على إحساس فهو وهم لا حقيقة له ، وأصحابه عندئذ (صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لايَعْقِلونَ) { البقرة * ١٧١ }

وقد شبّه الله تعالى الذين لا يستفيدون من حواسهم بأنهم أسوأ أنواع الدواب (إنَّ شَرَّ الدَّوابِّ عِنْدَ اللّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذينَ لا يَعْقِلونَ) { الأنفال * ٢٢ }

كما شبّههم بالانعام أوأقل رتبة لأنهم قوم غافلون : (لَهُمْ قُلوبٌ لا يَفْقَهونَ بِها وَلَهُمْ أعْيُنٌ لا يُبْصِرونَ بها ولَهُمْ آذانٌ لا يسْمَعونَ بِها أُولَئِكَ كَالْانْعامِ بَلْ هُمْ أضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغافِلونَ) { الاعراف * ١٧٩ }

الاحساس المشترك:

فرّقنا في بحثنا بين الحواس ، ونظرنا إلى كل منها على حدة ، ونظرنا إلى عمل كل منها مستقلاً عن غيره من أعمال الحواس الأخرى ، والحقيقة أن جميع الحواس تعمل في آن واحد لأن النفس واحدة . نضرب مثلا على ذلك : أمامي تفاحة : فأنا أرى بعيني شكلها وحجمها ولونها ، والمسها بجلد أصابعي فأتحسّس نعومتها ومدى قسوة قشرتها ، وأشم بأنفي نكهتها ورائحتها،آكل منها قطعة فأتذّوق طعمها ومدى حلاوتها ، وأسمع بأذني صوت مضغها في فمي. فالإحساس المشترك جاء من حصيلة ما وصلت إليه بالحواس الخمس .

أخطاء الإحساس :

١ - **خطأ النظر:** ذكر الغزالي نموذجاً من أخطاء الحواس فقال : « إنك تأخذ قبسا من نار ، كأنه نقطة ، ثم تحركه بسرعة ، فتراه خطاً مستقيمًا أو دائرة ، وهما مشاهَدان موجودان في حِسك لا في الخارج ، لأن الموجود في الخارج هو نقطة في كل حال [٢٥] » .

٢- **الوهم** : وهو ينشأ من أننا نتوهم وجود شيء ما ، دونما سبب حسي يدعونا للاعتقاد بوجوده ، وذلك كأن يتخيل المرء عفريتًا ، وقد يسمع المحموم أصواتا لا وجود لها ، أو يرى صورًا وأشباحًا خيالية .

(٢٣)- محمد بن علي التهانوي (توفي ١١٥٨ هـ / ١٧٤٥ م) باحث هندي ، ألف (كشاف اصطلاحات الفنون . سبق الغايات في نسق الآيات) .

(٢٤) - شرح الشفاء . ابن سينا ١/ ٣٥٠.

(٢٥)- فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة . أبو حامد الغزالي ٣٥.

وتسلّط الأوهام على شخص ما يؤدي به إلى الهلوسة ، وفي هذا المعنى يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « اللهم أخرجنا من ظلمة الوهم إلى نور الفهم » .

٣- **السحر** : إذا تعرّض الإنسان لتأثير السحر اختل عمل الحواس : (لَقالوا إنَّما سُكِّرَتْ أَبْصارُنا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحورونَ) { الحجر * ١٥ } وقال أيضا : (فَإذا حِبالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّها تَسْعَى) { طه * ٦٦ } .

٤- **وقوع القدر** : عندما ينفذ حكم القدر فإن البصر لا يرى شيئا وكأنه أصيب بالعمى ، وقد قال العرب في أمثالهم : (إذا وقع القدر عمي البصر) .

الحواس نعمة من الله تعالى

مادامت الحواس من النعم التي أنعم الله تعالى بها علينا ، لذا ينبني على ذلك ثلاث نتائج هامة :

الأولى : خالقها يستحق الشكر والحمد (وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرونَ) { النحل * ٧٨ } .

والثانية : إن الله تعالى وضعنا في موضع المسؤولية تجاه هذه الحواس (إنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤادَ كُلُّ أُولَئِكَ كانَ عَنْهُ مَسْؤولاً) { الإسراء * ٣٦ } ، فلا يجوز أن ندع حواسنا تعمل إلا في نطاق ما حلّله الله تعالى .

والثالثة : أننا سنتعرض في الآخرة لموقف رهيب ، حيث تشهد علينا حواسنا ، وتعترف بذنوبنا وأخطائنا : (وَما كُنْتُمْ تَسْتَتِرونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصارُكُمْ) { فصلت * ٢٢ } .

هنا نتساءل ، كيف يمكن أن يحدث ذلك ؟

يقول الله تعالى : (حَتّى إذا جاؤوها شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصارُهُمْ وَجُلودُهُمْ بِما كانوا يَعْمَلونَ وَقالوا لِجُلودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنا قالوا أَنْطَقَنا اللّهُ الَّذي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ){ فصلت * ٢٠-٢١ } .

الإدراك

أمامك كتاب . فكيف تدرك أن هذا كتاب ؟

سمعت صوتا ، فكيف تدرك أن هذا الصوت صوت سيارة ؟

دخلت غرفة مظلمة لتحضير حذائك . فكيف تدرك الحذاء حين تلمسه ؟

مررت بمنزل فشممت رائحة خاصة . فكيف تدرك أنها رائحة لحم يشوى ؟

كيف يحدث الإدراك ؟

يحدث الإدراك في الواقع نتيجة لتفاعل الكائن الحي مع الشيء الموجود في العالم الخارجي ، وهذان القطبان يساعدان على تصنيف العوامل التي تقوم عليها عملية الإدراك وهي : (داخلية وخارجية) :

فالعوامل الداخلية تتعلق بالذات التي تدرك من حيث أن هذه الذات لها ميولها الخاصة واستعدادتها العامة وخبرتها الخاصة .
أما العوامل الخارجية فتتعلق بالمجال الخارجي نفسه ، وهذا المجال له قوانينه الخاصة التي يسير وفقاً لها .

تعريف الإدراك

عَرف أرسطو الإدراك بأنه(قبول الصور كما يقبل الشمع طابع الخاتم من حيث الصورة)
وعَرفه الغزالي بأنه : (تصوّر النفس الناطقة المطمئنة ، حقائق الأشياء وصورها المجردة عن المواد بأعيانها وكيفيّاتها وجواهر ذواتها إن كانت مفردة) .

دور الإدرك في الحياة النفسية

إن المنطلق الأساسي في الإدراك يكمن في الانتقال من المحسوس إلى المعقول ، ومن الإحساس إلى المعرفة . وفي هذا الانتقال تتجلّى إنسانية الإنسان ، هذه الإنسانية هي التي سَمَت بالإنسان من حفيف المادة إلى مستوى الفكر ، ومن الحيز المحسوس المحدود إلى العالم المعقول الواسع ، ومن حيز الإحساس الذي يتقوقع فيه الحيوان إلى عالم الذكاء الذي يتميز به الإنسان .وفي هذا يقول أحد العلماء : (الإدراك الحسي استجابة تتجمع فيها شخصّيتنا كلها)

.التذكر

يرى أفلاطون أن التذكر هو الطريق الموصل إلى معرفة الحقيقة ، لأن النفس عنده كانت تعيش في السماء ، وكانت على اتصال بالآلهة ، وكانت تعلم كل شيء علمٌا مباشراً ، فلما هبطت إلى الأرض نسيت ما كانت تعلمه .
فالعلم إذن تذكر والجهل نسيان .

وقد كان القدماء يسمون التذكر (الذاكرة أو حافظة المعاني) وكانوا يفرّقون بينهما فيقولون : (فمعنى كونها حافظة أنها خازن لتلك المعاني ما دامت باقية فيها ، فإذا غابت واستعادت فهي الذاكرة (٢٦)) .

والتذكر في مفاهيمنا العصرية هو (القدرة على استعادة الخبرات السابقة ، بحيث يشعر صاحبها كأنها جزء من حياته السابقة ، فيستفيد من تجارب الماضي في التلاؤم مع الحاضر) .

تعريف النسيان

وهو (عدم القدرة على استرجاع حالة شعورية سابقة إلى ساحة الشعور بالرغم من الجهود التي تَبذَل لاستحضارها) .

تقييم النسيان

يمكننا أن نقيّم النسيان من ناحيتين (إيجابية وسلبية) :

(٢٦)- مقاصد الفلاسفة ، أبو حامد الغزالي ٢٨٥ .

إيجابية النسيان : وهي تتمثّل في:

١- النسيان نعمة ، إذ لو اضطر الإنسان إلى حفظ كل شيء وعدم نسيانه لتعبت قدرته الدماغية ، ونفدت قوة استيعابه .

٢- لولا النسيان لبقي الحزن في النفس على ما كان عليه وقت حدوثه ، ولما صبر الإنسان على ما أصابه ، فتعمى بصيرته وتصبح حياته جحيماً لا يطاق .

وفي هذا يقول الغزالي : « لولا النسيان ما سلا الإنسان عن مصيبته ، فكان لا ينقضي له حسرة ، ولا يذهب عنه حقد ، ولا يستمتع بشيء من لذات الشهوات الدنيوية ، مع تذكر الآفات والفجائع الماضية ، وكان لا يمكن أن يتوقع غفلة من ظالم ، ولا فترة ولا ذهولا من خاسر أو قاصد مضرة (٢٧) » .

٣- وللنسيان الفضل في مرونة التفكير لأنه اقتصار على الأمور الهامة فقط ، واكتفاء بالخطوط الأساسية في الموضوع .

سلبية النسيان : حيث يظهر فيها الضرر في النواحي التالية :

١- قد يعيق النسيان صاحبه عن التلاؤم مع الموقف الراهن فيقع في الحيرة والارتباك ، وتضيع عليه كثير من الفرص . ولهذا قالوا في الأمثال العربية : (آفة العلم النسيان)

٢- إنه يحرمنا من معلومات وعواطف نحب ألا ننساها ، لأنها شيقة ومحبّبة إلى نفوسنا .

٣- النسيان المَرَضي يؤدّي إلى انحلال الشعور وفساد الحياة النفسية وتفكّك الشخصية ، وذلك أن الذاكرة تؤمّن وحدة الحياة النفسية بوصل الماضي بالحاضر، فإذا ضاعت هذه الوحدة ضاعت معها الشخصية وتفككت .

التداعي والتذكر

إن تداعي الأفكار هو مجرد توارد المعاني على الذهن واحدا بعد الآخر، لوجود علاقة بينهما (فالخاطر ينتقل من الشيء إلى ما يناسبه إما بالمشابهة أو بالمضادة أوبالمقارنة بما يكون قد ورد على الحس منه :

امابالمشابهة فبأن ينظر إلى جميل فيتذكر جميلا آخر .

واما بالمضادة فبأن ينظر إلى جميل فيتذكر قبيحا .

أو بالمقارنة فبأن ينظر إلى فرس قد رآه من قبل مع إنسان فيتذكر ذلك الإنسان (٢٨)) .فالتداعي عملية تلقائية ، أما التذكر فإنه عمل إرادي .

دور التذكر في التكامل النفسي

للذاكرة أهمية كبرى في الحياة النفسية ، فليست الشخصية الإنسانية إلا وحدة الماضي

(٢٧)- الحكمة في مخلوقات الله ، أبو حامد الغزالي ٣٩ .

(٢٨)- إحياء علوم الدين ، أبو حامد الغزالي ، ٤/ ١٥٤.

وارتباطه بالحاضر ، وإمكانية استخدام الذكريات في مجريات الحياة .
والحيوانات التي تعيش في دائرة ضيّقة من الحاضر فقط ، ولا تستطيع الانتفاع من تجارب الماضي إنما هي حيوانات أولية .

ولا تفيد قوة التذكر بقدر ما يفيد حسن استخدامها للتكيف مع ضرورات الموقف الراهن ، ومن المعروف أن للأطفال والبدائيين ذاكرة نامية عجيبة ، لكنهم لا يحسنون الاستفادة منها كما يستفيد منها الرجل المثقف أو المتمدن .

ولولا الذاكرة لما أمكن الإدراك والفهم ، لأن الإدراك لا يقوم إلا على التجارب السابقة ، فنحن لا ندرك الجديد إلا بنور الماضي .
وللتذكر فضل على التخيل، لأن التخيل تذكر ولكن بدون تعرّف .
كما تتدخل الذاكرة في الحكم والاستدلال والتفكير:لأنها مخزن المواد التي ينبغي للعقل أن ينضجها .

ولذا نستطيع أن نقول : إن الذاكرة أساس كل عملية نفسية ، ودعامة في بناء الشخصية ، وقد أعجب الناس بأصحاب الذاكرات القوية وأشادوا بهم ، وقالوا في أمثالهم العربية : (العاقل من يذكر أمسه لينتفع به في يومه)

التصور

كان فلاسفة الإسلام يسمون التصوّر (المصوّرة) .

تعريف التصور :

عرّفه الغزالي بأنه « القوة التي تبقى فيها صور الأشياء المحسوسة بعد غيبتها ، فإذا نظرنا شيئاً ثم أغمضنا أعيننا بقيت صورته فينا كأننا نشاهدها ونراها [٢٩] » ولا يختلف هذا التعريف كثيرًا عن تعريف ابن سينا [٣٠] .

ونحن نعرّفه بقولنا : (هو القدرة على استعادة صور المدرَكات إلى النفس بعد زوال مؤثّراتها الحسّيّة من العالم الخارجي) فالطالب بعد عودته من المدرسة يستعرض صور رفاقه وغرفة الصف والمدرّس والمقاعد ، من غير أن يكون أمامه شيء منها .

أنواع الصور

تنشأ الصور العقلية من أن لكل إدراك صورة تقابله : فالإدراكات البصرية تقابلها صور بصرية كتصورك صورة مكان معيّن ، والإدراكات السمعية تقابلها صور سمعية كتصورك صوت صديقك .. وهكذا تكون الصور بعدد الإدراكات .

(٢٩)- معارج القدس في مدارج معرفة النفس ، أبو حامد الغزالي ٤٧.
(٣٠)- شرح الشفاء ، ابن سينا ١/ ٣٢٣.

ويكون بالإمكان أن نتحدث عن الصور الشمية كتصورك رائحة البنفسج ، والصور الذوقية كتصورك طعم شراب البرتقال ، والصور اللمسية كتصورك ملمس الحرير .

تفاوت الناس في تصورهم

يتفاوت الناس في القدرة على إحياء صورهم النفسية ، إلا أننا نجد أن أغلب الناس بصريون أو سمعيون .

والواقع يدلنا على أن الصور العقلية المختلطة هي الغالبة عند أكثر الناس ، فتصوّرنا للتفاحة : هو تصور شكلها وحجمها ولونها (صور بصرية) ، وتصور طعمها وليونتها في المضغ (صور ذوقية)،وتصور نكهتها ورائحتها (صور شمية) ، وتصور نعومتها وملمسها (صور لمسية) .

فعالية الصور

ليست الصور العقلية جامدة ساكنة كالصور المادية ، بل إنها تعيش في أعماق النفس في فعالية دائبة ، حيث تميل بنا إلى العمل الذي تمثله ، وذلك لأنها تحمل عنصرا شعوريا وشحنة عاطفية ، فتصور حادث محزن يحمل على البكاء ، وتصور حادث مفرح يبعث على السرور ، وتصورشيء قذر يولّد الاشمئزاز .

كذلك فالصورة حقيقية نفسية و تتكون حسب حالة الشخص الانفعالية ، فإذا كنا مثلا في حالة نفسية مفرحة بقيت الصورة في نفوسنا زاهية مشرقة ، وإذا كانت الصورة لإنسان عادي لا يهمنا أمره ، رأيناها تميل تدريجيا للشحوب والاضمحلال

أثر الصور في الحياة النفسية

للصور أهمية كبرى في الإدراك ، لأننا لا ندرك الواقع إلا بنور الصور الماضية ، ولهذا يمكن اعتبار الصورة مرحلة انتقال من الإحساس إلى الإدراك ، أو من المدرَك الحسي إلى المفهوم العقلي .

كما تساهم الصورة في الإبداع بعد أن تتغير وتتركب بتركيبات جديدة حسب متطلبات الواقع.كذلك فإن التذكر يقوم على التصور ، وما الذكرى في الحقيقة إلا رجوع الصور بعد أن تحمل طابع الماضي الشخصي ، وتتحدّد بحدود الزمان والمكان.وأخيرا .. فللصورة علاقة بالشخصية ، فكل منا ينقل من تجارب الماضي وأحداثه صورًا يتمثلها في نفسه ،ولولا التصور لانقطعت صلة الفرد بماضيه ، وفقد شعوره بشخصيته ، فيصبح أحدنا كأنه غريب عن نفسه ، تتنكر ذاته الحاضرة لذاته الماضية،وهكذا يعمل التصور على ربط حاضر النفس بماضيها، مما يساهم في بناء الشخصية المتكاملة .

التخيل

كان الفلاسفة المسلمون يسمون التخيل (المتخيلّة) وقد عرف أرسطو التخيل بأنه

(القوة التي نقول إن الصورة تحصل في أعماقنا).أما الفارابي فقال عنه (إنه القوة التي تحفظ رسوم المحسوسات بعد غيبتها عن الحس ، وتركيب بعضها إلى بعض في اليقظة والنوم [٣١].

وقد فصل ابن سينا الحديث عن التخيل ، وتحدث عن وظائفه بما لا يختلف عن الأسس التي وضعها أرسطو والفارابي

التخيل والإبداع

وذلك لأن التخيل هو القدرة على التأليف بين الصور القديمة التي سبق للنفس أن استمدتها من الواقع ، لتحصل على شيء جديد من شأنه أن يحسّ الحياة ، مثال ذلك : الطائرة فهي تشبه جسم الطائر وجناحيه ، ومروحتها شبيهة بمروحة الباخرة ، ومروحة الباخرة تقوم بالوظيفة التي تقوم بها زعانف الأسماك ، ومحرك الطائرة شبيه بمحرك السيارة ، ومحرك السيارة شبيه بالآلة البخارية ، والآلة البخارية شبيهة بالمرجل الذي يغلي على النار ، أما العجلات فهي شبيهة بالحصاة التي تتدحرج على الطريق المنحدر . فاختراع الطائرة إبداع جاء نتيجة التأليف بين أشكال ووظائف مختلفة ، فهي تركيب جديد له وظيفة جديدة .يقول الغزالي : « فلا يمكننا أن نتصور آحاداً ما لم نشاهده البتة ، أي أنك لو أردت أن تتخيل فاكهة لم تشاهدها نظيراً من قبل لم تقدر على ذلك [٣٢]» .وقد أشار إلى مثل ذلك ابن سينا وابن رشد وابن ماجة .

القرآن والتخيل :

أورد القرآن الكريم التخيل في آية واحدة فقط ، جاء بمعنى الإدراك ، فقد قال : (فَإِذا حِبا لُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّها تَسْعى) { طه * ٦٦ }.

قيمة التخيل

تبدو قيمة التخيل في جميع مجالات الحياة : (في الفن والعلم والفلسفة والأخلاق) :

١- **في الفن** : ليس الفن في الحقيقة إلا نوعاً من الإبداع ، وهو يتألف من الرموز والاستعارات التي تعبر عن المعاني والعواطف التي جالت في أعماق صاحبها .

وفي هذا الإبداع يستعين الفنان بوسائل هي في الموسيقا ألحان وأنغام ، وفي الرسم خطوط وألوان ، وفي الرقص حركات وإيماءات ، وفي الأدب ألفاظ وكلمات .

ومهما حاول الفنان أن يكون واقعياً في تصوير الأشياء فلا يستطيع إلا أن يخلع عليه شيئاً من ذاتيّته ، من ذلك مثلاً أن أحد الشعراء أراد أن يصف لنا حظه العاثر ، فقال :

إن حظّي كدقيق فوق شوك نثروهُ
ثم قالوا لحفاةٍ يوم ريح اجمعوهُ

(٣١)- الشفاء ، ابن سينا ، ١/ ٣٢٣.
(٣٢)- معيار العلم ، أبو حامد الغزالي ٥٠ و ٢٨ .

وليس التخيل ضرورياً للإبداع الفني فحسب ، وإنما يلزم أيضاً للذين يتذوقون الآثار الفنية ، فمن كان تخيله ضعيفاً صَعُبَ عليه إدراكها وتذوقها .

٢- في العلم : ربما يُظَن أن العلم بعيد عن التخيل لأنه ينظر إلى الحوادث نظرة عقلية موضوعية ، ولكن الواقع يدل أن العلم لا يتم إلا بتخيل الفرضية وتخيل الوسائل التي تحققها، ويتناسب التقدم العلمي مع قوة التخيل عند العلماء ، إلا أن الخيال العلمي هو من النوع المجرد لأنه يقوم على إدراك العلاقات والربط بين الحوادث ، أليست الرموز الجبرية والأشكال الهندسية نوعاً من الخيال المجرد .

٣- في الفلسفة : إن الفيلسوف أيضاً بحاجة إلى التخيل ، وذلك لأن الفلسفة حينما تبتعد عن عالم المحسوسات تحتاج للخيال لترقى إلى عالم المعقولات لتبدع النظريات المختلفة في مبدأ الكون ونهايته ، وفي طبيعة المادة والروح ، وفي براهين وجود الله ، وإثبات عنايته بمخلوقاته . وغير ذلك .

٤-في الأخلاق : إن المصلح الاجتماعي هو إنسان مرهف الحس ، دقيق الملاحظة ، عميق التخيل . استطاع أن يتمثل أمام عينيه أمراض مجتمعه ، ثم فكر فأبدع الطرق الناجعة في إصلاحها ، ولذلك كان كالطبيب الذي درس الأمراض وتصورها في ذهنه ، ثم أبدع الخطط والمشاريع المختلفة التي يعتقد بصلاحها .

إن العدالة الحقيقية لا تكون في تطبيق القوانين تطبيقاً آلياً ، بل تكون في تخيل أحوال الناس وسبرغور مشاعرهم ، والفاضل من استطاع أن يتصور نتائج أعماله قبل وقوعها وخير وسيلة لتوليد الشعور بالرحمة هي في تخيل آلام البؤساء .

والخلاصة : إن للتخيل أثراً في كل صورة من صور حياتنا ، ولا شك أن الحياة في أكثر الأوقات جافة وقاسية ، ولكن عندما نعلو على أرض الواقع إلى سماء الخيال تظهر الحياة بحلة جميلة فتحيا في نفوسنا الآمال والأحلام ، وننسى ذلك الشقاء ونبتعد عنه ، ونفضّل الإقامة في القصور التي شيّدناها ، والآمال التي رسمناها ، والمستقبل الذي نتمناه .

إن الشخصية الإنسانية تتحدد وتتكامل في حدود الزمن ، فهي تعيش في الحاضر ، ولكنها ترتبط بالماضي عن طريق التذكر ، وترتبط بالمستقبل عن طريق التخيل .

وارتباط الشخصية بماضيها وحاضرها ومستقبلها هو أحد الأسس التي تحدّد معالمها، وتنحو بها نحو التكامل والنضج

الأحلام

النوم

اعتبر القرآن الكريم النوم نوعاً خاصاً من الوفاة ، فقال : (وَهُوَ الذي يَتَوَفّاكُمْ بِاللَّيلِ) {الأنعام* ٦٠ }

كيف يحدث النوم ؟ أظهر ما تردّد صداه في النوم عند مفكري الإسلام أنه غيبة عن الإحساسات الظاهرة ... وقالوا : إن انقطاع المؤثرات الخارجية ، وعدم اتصالها بالحواس الظاهرة يؤدي إلى النوم،مثل (ضعف النور في الغرفة . وإغماض العينين . وسكون المكان . وتراخي العضلات . وتجانس درجة الحرارة في الفراش والجسم معاً . إلخ ...) كل هذا يؤدي إلى هدوء فعالية الدماغ عن أداء وظيفته ، فيستغرق الإنسان في النوم .

الفرق بين الرؤيا والرؤية : وهو يشمل ثلاثة أمور :

١- تختص الرؤيا بما يكون في النوم ، على حين تختص الرؤية بما يكون في اليقظة .

٢- الرؤيا بالخيال والرؤية بالعين .

٣- الرؤيا نشاط فكري والرؤية حادثة فيزيولوجية .

أنواع الأحلام :

عرض الإسلام ستة أنواع من الأحلام . وهي :

١- **أضغاث الأحلام** : الضغث هو الخلط والالتباس والتشويش ، وأضغاث الأحلام هي أحلام غير منطقية ، لا يقبلها العقل ، وهي أسطورية لا يمكن أن تحدث في واقع الحياة، وهي عشوائية لا تستند إلى أي أساس علمي .

من أمثلة ذلك : أن يرى النائم في حلمه : « أن شجراً قد نبت في السماء ، أو يرى النجوم تطلع من الأرض ، أو يرى أن فيلاً تحول إلى نملة مثلاً (٣٢).. »

وقد حاول الكندي وضع الأساس لتفسير مثل هذه الأحلام ، وذلك بربط النفس الحساسة بالنفس الناطقة التي تستعين بقوة المخيلة .

أما المفسرون المسلمون فيعتبرون هذا النمط من الأحلام إنما هو من عمل الشيطان . والتفسير النفسي الحديث لا يقيم وزناً لمثل هذه الأحلام ، لأنه يعتبرها مجرد اضطرابات فيزيولوجية (كاضطرابات الهضم ، أو ارتفاع ضغط الدم . إلخ ...) يرافقها نشاط الإنسان في قدرته على التخيل .

٢- **أحلام وسوسة النفس** : وهي أحلام لا تفسير لها ، ولا أهمية لها في التحليل النفسي، وتعتبر رغبات نفسية لم تتحقق في اليقظة لسبب من الأسباب فيحققها الإنسان في

(٣٢)- تعبير الرؤيا ، ابن غنام . ٥ .

الحلم بصورة لا يختلف التحقيق فيها عن التحقيق في الواقع .
من أمثلة ذلك : « أن الجائع يرى في نومه أنه يأكل ما يشتهيه من الطعام . والعطشان يرى أنه يشرب أعذب المياه .والعاشق الذي عذبه البعد وأضناه اللقاء يرى نفسه مع من يهواه (٣٤) »
مثل هذه الأحلام لا تفسير لها ، أما قيمتها النفسية فتكمن في أنها تريح صاحبها بإشباع رغباته التي حُرم من تحقيقها .
٣- **الاحلام الحسية** :وهي وسيلة لا شعورية يصطنعها العقل الباطن في أعماق النائم للاستمرار في النوم ، وعدم التأثر بالاحساس الذي قد يؤدي إلى الاستيقاظ .
من أمثلة ذلك : أن يكون اللحاف مثلاً فوق فم النائم . هذا الإحساس البسيط لا يكفي لإيقاظ النائم من نومه ، هنا يضخّم الخيال هذا الإحساس فيرى النائم في حلمه كأن عدواً يحاول خنقه . أو أن حبات المطر تقرع زجاج الغرفة التي ينام فيها (فيرى النائم نفسه في معركة حربية تلعلع فيها طلقات الرصاص) .
أو أن الشمس تسطع على جبين النائم فيحس بدفء أشعتها ، فيرى في الحلم ناراً تشتعل بقربه
٤- **الأحلام الرمزية** : وهي تعمل على تحقيق رغبة مكبوتة في أعماق النفس ، والإنسان يحقق في الحلم (بصورة رمزية) ما عجز عن تحقيقه في اليقظة (بصورة واقعية) .
ومثال ذلك : ما يحدث أن والداً يضرب ابنه المراهق ، فالرد الطبيعي على هذا أن يغضب الابن وأن يرد على أبيه بالأساليب البدائية الفطرية غير المهذبة ، ولكن الدين والآداب العامة وتقاليد المجتمع تحتّم على الابن أن يقابل هذه المعاملة بالرضا ، وأنه يجب عليه أن يحترم أباه ، وهنا تضطر نفس المراهق ، إزاء هذه النظم والتقاليد أن تكبت كراهية الأب والرغبة في الانتقام منه .
وذات ليلة يحلم الابن في نومه أنه قتل أسداً أو ثعباناً أو ملكاً ظالماً . وتحليل ذلك : أن صور الأسد أو الثعبان أو الملك الظالم كلها صور رمزية مقنّعة تمثل سلطة الأب ، ويكون الدافع اللاشعوري عند الابن للانتقام من أبيه ، قد عبّر عن نفسه عن طريق الحلم ، ويكون تخيل قتل الأسد أو الثعبان أو الملك ، وسيلة لا شعورية لإشباع هذا الدافع .

ومن هذا نرى أن اللغة التي تعبّر بها الدوافع اللاشعورية عن نفسها ، ليست لغة كلامية أو لفظية ، بل هي لغة رمزية ، تقوم قواعد التعبير فيها على الصور المنبعثة من الخيال .
ومن الأمثلة التي ذكرها القرآن الكريم في مثل هذه الأحلام ذلك الحلم الذي رأى فيه سيدنا يوسف عليه السلام أن أحد عشر كوكباً والشمس والقمر يسجدون له : (إِذْ قَالَ يوسُفُ لِأَبِيهِ يا أَبَتِ إِنّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لي ساجِدينَ) [يوسف * ٤]. فالقمر والشمس يمثلان رمزياً أباه وأمه ، والأحد عشر كوكباً يمثلون إخوته الذين يبلغ عددهم أحد عشر أخاً ، والسجود يرمز إلى العظمة والتقديس (وقد كان من الأنبياء)

(٣٤)- تعطير الأنام في تعبير المنام ، عبد الغني النابلسي ، ١/٤ .

٥- **رؤيا المؤمن**:ذكر الرواقيّون : أن النوم يقظة للنفس ، فإذا نام الجسم استيقظت النفس ووصلت إلى ما تعجز عنه في اليقظة ، وبذلك تدرك الغيب المحجّب عن طريق النفوس الإلهية وهي تشبه الملائكة عند إخوان الصفا ، أو العقل الفعاّل عند الفلاسفة ، أو نور الأنوار عند الإشراقيين ، أو الملك الموكّل عند رجال الدين .

وكان الفارابي أول من وضع نظرية الأحلام في الإسلام (٣٥)، فقد عرض لتعليل الرؤيا الصادقة ليثبت النبوة عن طريقها ، وكان هدفه أن يصل إلى القول:أن النبي والحكيم يصلحان لرئاسة المدينة الفاضلة . وقد اعترف بالأحلام الصادقة ابن سينا وابن رشد وابن خلدون (٣٦) وقالوا : إن كثيراً من الحقائق يمكن أن ترد للإنسان عن طريق الأحلام،أما المتكلمون فقد اعتبروا هذه الأحلام خيالاً باطلاً (٣٧) .

روي عن عبادة بن الصامت (٣٨) رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة » رواه الأربعة .

ففي هذه الأحلام تنكشف الحقائق الهامة عند بعض الناس ، فيراها الإنسان بشكل حلم عن طريق النوم ، من ذلك مثلاً : أن الشاعر البوصيري (٣٩) أصيب بالشلل فلزم فراشه ، وأخذ ينظم قصيدة في مدح الرسول عليه الصلاة والسلام ، وكان مطلعها :

أمن تذكر جيران بذي سلم ... مزجت دمعاً جرى من مقلة بدم

وذات يوم وصل في قصيدته إلى بيت ، نظم شطره الأول فقط ، وهو :

ومبلغ العلم فيه أنه بشر ... .

ولم يستطع أن يكمل شطره الثاني ، وحاول في ذلك كثيراً لكنه لم يستطع إتمامه . نام في فراشه ، فرأى في الحلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم زاره ، وسأله عن حاله ، فشكا له البوصيري عدم تمكنه من إتمام البيت ، فقال له الرسول صلى عليه وسلم : أكمله على الشكل

---

(٣٥)- الأحلام ، الدكتور توفيق الطويل ١٢٩ .

(٣٦)- ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد (٧٣٢- ٨٠٨ هـ /١٣٣٢ - ١٤٠٦ م) فيلسوف ومؤرخ وعالم اجتماعي ، مولده ووفاته في تونس ، تولى أعمالاً في الأندلس ، ثم رحل لمصر وتولى قضاء المالكية، ألف (كتاب الغبر) سبعة أجزاء ، أولها (المقدمة) .

(٣٧)- مقالات الإسلاميين ، الأشعري ٢/ ٤٣٣.

(٣٨)- عبادة بن الصامت (٣٧ ق هـ - ٣٣ هـ/ ٥٨٦ - ٦٥٤ م) ، من قبيلة زريق ، من سادات الصحابة شارك في موقعة بدر وفتح مصر ، وولي على حمص ثم القدس . وكان من نقاد الحديث وفقهائهم كما كان شديداً في الحق . عمل في جمع القرآن الكريم في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه .

(٣٩) - البوصيري : شرف الدين محمد بن سعيد (٦٠٨ - ٦٩٥ هـ/١٢١٢- ١٢٩٦ م) ولد في بوصير بمصر ، شاعر عربي ، أصله مغربي ، محدث وخطاط ، نظم قصيدة البردة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ولها أكثر من تسعين شرحاً بالعربية والفارسية والتركية والبربرية .

التالي :

.... وأنه خير خلق الله كلهم .

ثم ألبسه الرسول صلى الله عليه وسلم بردته، ومسح المكان المشلول بيده الشريفة . هب البوصيري من نومه دهشاً مسروراً ، فرأى نفسه قد شفي تمام الشفاء ،فسمى القصيدة (البردة)

٦- **الأحلام التنبؤية** : وهو ما عجز علم النفس عن تفسيره وتعليله ، فهو يحدث بصورة نادرة ، ومن أمثلة ذلك ما ذكر القرآن الكريم :(وَقالَ المَلِكُ إنّي أرى سَبْعَ بَقَراتٍ سِمانٍ يَأكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يابِساتٍ يا أيُّها المَلأُ أفْتوني في رُؤْيايَ إنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤيا تَعْبُرونَ){ يوسف * ٤٣ }.

ففسر سيدنا يوسف عليه السلام هذا الحلم : (قالَ تَزْرَعون سَبْعَ سِنينَ دَأْباً فَما حَصَدْتُمْ فَذَروهُ في سُنْبُلِهِ إلاّ قَليلاً مِمّا تَأْكُلونَ ثُمَّ يَأْتي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدادٌ يَأْكُلْنَ ما قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إلاّ قَليلاً مِمّا تُحْصِنون * ثُمَّ يأتي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عامٌ فيه يُغاثُ النّاسُ وَفيهِ يَعْصِرونَ) { يوسف * ٤٧- ٤٩ }.

تفسير الأحلام :

لم يلجأ مفسرو الأحلام - كما يُظن - إلى نوع من التأويل الجامد الحرفي ، بل جعلوا من تأويل الحلم فناً وعلماً قائماً بذاته ، يحتاج إلى المعرفة والفهم والذكاء ، ويتطلب دراسة شخصية الحالم وظروفه ، ويحتاج إلى إحاطة بعادات الناس وتقاليدهم ، وبآداب العرب وتراثهم وبقرآنهم وحديثهم وغير ذلك .

إن مفسر الحلم لا يضع كلمة مقابل كلمة ، كما قد يبدو لعامة الناس ، حين يستشيرون كتب تفسير الأحلام ، وإنما يقوم بعملية متكاملة ، واضعاً الحلم ضمن سياقه الكامل وإطاره الحي .

ومثل هذا المنهج يرينا كيف جعل مفسرو الأحلام المسلمون من تأويل الحلم فناً نفسياً له أصوله ومبادئه ، وهو يهدف إلى الكشف عن المعنى الباطن الذي يثوي وراء المعنى الظاهر .

ونورد فيما يلي أهم الأسس التي استند إليها مفسرو الأحلام عند تفسير الحلم ، وهي :

١- **معرفة شخصية الحالم** : لا بد للمفسر أن يعرف الحالم فيتعرّف على حاله وشخصيته وعمره وبلده ، وبيئته ومهنته ، لأن الحلم الواحد لا يعني شيئاً واحداً إن رآه شخصان مختلفان من أمثلة ذلك : شخصان مختلفان ، رأى كل منهما في منامه (كلباً) فما تفسير ذلك ؟

لهذا الحلم تفسيران يختلفان باختلاف الشخصين .

الشخص الأول : يعمل راعياً .-فالكلب بالنسبة إليه عنصر أساسي وضروري في عمله . الكلب بالنسبة إليه حيوان أليف يتميز بالوفاء ، ويقوم بواجب عظيم هو الحراسة تجاه الأعداء من الذئاب.

والشخص الثاني : يعمل في المدينة ، لا يحتاج للكلاب ، فالكلب في نظره حيوان مزعج ، لا

يصدر عنه إلا النباح والعض والإزعاج .
فحلم الكلب بالنسبة للشخص الأول ظاهرة حسنة تدل على خير ، وبالنسبة للشخص الثاني ظاهرة سيئة وتدل على ضرر .

٢- مساهمة الحالم بالتفسير : فقد كانوا يسألون الحالم عن الشيء الذي يخطر بباله خلال الحلم ، وفي هذا تشابه مع أساليب علم النفس الحديث والتحليل النفسي خاصة ، والاهتمام بالكشف عن المعنى اللاشعوري الذي يكمن وراء الحلم .

من ذلك : ما رُوي عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : «بينما أنا نائم رأيت عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره في المنام ، قالوا : ما أوّلته يا رسول الله ؟ قال الدين » فاللباس في النوم هو الدين ، لأن اللباس يحفظ صاحبه من الحر والبرد ، كالدين يحفظ صاحبه من عذاب الدنيا والآخرة .

٣- الاستناد للقرآن والحديث والأمثال : فللثقافة أكبر الأثر في تأويل الحلم ، فما يحفظه الناس من القرآن الكريم والأحاديث الشريفة والأشعار والأمثال والأقوال السائرة يترك أثراً في نفوسهم وينعقد معناه في لاشعورهم ، وكثيراً ما يصدرون عن واحد من هذه المعاني عندما يرون حلماً من الأحلام .

كأن نفسر البيض بالنساء ، لقوله تعالى (كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ) { الصافات * ٤٩ } . أو تفسير الحجارة بالقسوة لقوله تعالى : (فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً) { البقرة ٧٤ } . أو تفسير أكل لحم الميت بالغيبة لقوله تعالى :(أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ) { الحجرات * ١٢ }. ومن الاستعانة بالحديث الشريف تفسير القارورة بالمرأة لقوله صلى الله عليه وسلم : « رفقاً بالقوارير » . ومن الاستعانة بالأمثال والأقوال السائرة أن نفسر طول النجاد بالكرم لقولهم : (فلان طويل النجاد) يعنون أن كريم . وكذلك نفسّر طول الباع بالمقدرة والقوس بالمرأة لقولهم : (المرأة كالقوس إن قومته كُسر) .

٤- الاستناد إلى الالفاظ : لا بد للمفسر أن يلجأ لمعاني الألفاظ العادية ، وما توحي به وإلى أصول معانيها الاشتقاقية :

من ذلك مثلاً (النرجس) فهو يعني الزوال ، لأنه لا يبقى ويذبل سريعاً .
أما (الآس) فيعنيُ البقاء لأنه طويل العمر .
و(الخياط) يعني في الحلم رجلاً يؤلف بين الناس ، لأنه يؤلف بين قطع القماش .
و(الجدار) يعني رجلاً قوياً منيعاً .
و(السقف) يعني رجلاً رفيع المكانة إلخ ....

وقال ابن ماجة عن الأحلام : (اعتبروها بأسمائها،وكنّوها بكناها) فقد تَفسّر الرؤيا من الأسماء والكنى : كالهدى من رؤية الهدهد ، والغربة من رؤية الغراب ، والرفعة من اسم رافع

والهداية من اسم مهدي ، والنصر من اسم منصور .وقد يتم التأويل عن طريق الرجوع إلى الاشتقاق اللفظي للكلمة : فرؤية رجل اسمه (فاضل) في المنام تعني الزيادة والبركة . ورؤية رجل اسمه (رشيد) تعني الصلاح والرشد .

بل قد يلجأ المفسرون إلى اللعب بالألفاظ : فصوت الطبل قد يعني صوت الباطل (طبل باطل) والحصا قد تعني الإحصاء ، والذهب قد يعني الذهاب ، والشجرة قد تعني المشاجرة .

٥- **معرفة وقت حدوث الحلم** : فالشجرة المثمرة إذا شوهدت في الصيف دلت على خير، وإن شوهدت في الشتاء دلّ ذلك على شر .

وهكذا ...... انطلق المفسرون في تفسير الحلم وتحويله من محتواه الظاهر إلى محتواه الباطن ، وإذا كانت العوامل اللاشعورية تلعب الدور الأكبر في تكوين الحلم ، فمن الواضح أن وراء هذه العوامل اللاشعورية شخصية الحالم وحياته الماضية وحوادثه وذكرياته وثقافته ومفاهيمه .

العقل

يتميز الإنسان عن سائر الحيوانات في مجالات نفسية عديدة ، فدوافعه أكثر تنوعاً وملاحظته أدق ، وتعلّمه أسرع ، وشخصيته أكثر مرونة .

بيد أن الوظيفة الأساسية التي توجد عند الإنسان دون سائر الحيوانات إنما هي (التفكير) فالإنسان حيوان مفكر ، أو هو حيوان ناطق كما قال أرسطو .

ما العقل ؟

للعقل أربعة مفاهيم :

١- **المفهوم اللغوي** : يقال (عَقَل فلان الحبل) بمعنى رَبَطَه ، فالعقل (عملية فكرية تقوم على ربط المفاهيم ببعضها ، وإدراك ما تشابه منها وما اختلف ، ومعرفة علاقاتها ببعضها).

وقد سُمّي العقل عقلاً ، لأنه يعقل صاحبه (أي يمنعه) عن التورط في المهالك .

٢- **المفهوم النفسي** : تَعتبر مرحلة البلوغ في حياة الإنسان بداية النضج العقلي ، ولذلك قال العرب:(عَقَل الغلام) أي أدرك ، ويقال (ما فعلتُ منذ عقلتُ) أي منذ أدركت .

٣- **المفهوم الفلسفي** : اعتبر فلاسفة الإسلام أن العقل المطلق هو الله تعالى ، فالله قدرة عقلية جبارة رهيبة ، لا تتحدد بزمان ولا مكان ، ولا ترتبط بأي حد من الحدود .

٤- **المفهوم الديني** : وهو يشمل :

أ- إن التفكير هو ميزة الإنسان الأولى والشخصية المتكاملة ، وقد كرّم الله تعالى الإنسان بأعظم النعم وهي العقل ، قال تعالى (وَلَقَدْ كَرَّمْنا بَني آدَمَ) { الإسراء* ٧٠ }

ب- الإنسان أفضل المخلوقات ،حتى أنه أفضل من الملائكة :(وإِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدوا لِآدَمَ)

البقرة * ٣٤ } . وفضّل الإنسان إنما هو في عقله ، فعقل الإنسان هو الذي رفع شأنه وجعله سيد الطبيعة بلا منازع .

جـ - ارتباط العقل بالدين والحياة : روي أن سيدنا جبريل عليه السلام أتى سيدنا آدم عليه السلام ، فقال : أتيتك بثلاث فاختر واحدة منها . فقال : وما هي ؟ فقال : الحياء والعقل والدين . فقال آدم : قد اخترت العقل . فخرج جبريل إلى الحياء والدين . فقال : ارجعا فقد اختار العقل عليكما . فقالا : أمرنا أن نكون مع العقل حيث كان .

د- العقل مناط التكليف وموجب المسؤولية : فلا تُفرض العبادات على الإنسان إلا إذا بلغ مرحلة التمييز العقلي ، وإذا فقد الإنسان العقل أصبح غير مسؤول عن كافة تصرفاته ، ولهذا قالوا (إذا أخذ ما أَوْهَب ، سقط ما أَوْجَب) .

هـ - هناك كثير من الناس لا يستخدمون عقولهم حق الاستخدام (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمونَ) { يوسف * ٦٨ }

الفرق بين عقل الحيوان وعقل الإنسان

إن الفرق بين عقل الحيوان وعقل الإنسان يبدو في النواحي التالية :

١- أن عقل الحيوان قاصر ومحدود وسطحي ، يتحدد بحدود حياته الفطرية ، أما عقل الإنسان فهو واسع ومنطلق وعميق(إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَ الأَرْضِ فَانْفُذُوا لاتَنْفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ) { الرحمن* ٣٣ } و هذا النفاذ إنما يكون بسلطان العقل .

٢ - إن عقل الحيوان يقتصر على التمييز الغريزي و استرجاع للأحاسيس إذا تكررت ، أما عقل الإنسان فيقوم على أرضية الربط : ربط بين الماضي و الحاضر ، ربط بين المحسوس والمجرد،ربط بين الجزئي و الكلي .

٣- أن عقل الحيوان يتقوقع حول القضايا المادية والمتطلبات الجسدية والدوافع الغريزية ، أما عقل الإنسان فإنه بالإضافة إلى ذلك ينتقل من الواقع إلى المعقول ، ومن المحسوس إلى المجرد، ومن الطبيعة إلى ماوراء الطبيعة .

العقل والمادة

حلل الماديون مشكلة نشأة العقل فقالوا :

إن العقل ظاهرة من ظواهر تفاعل أجزاء المادة مع بعضها . ولكننا نقول : إنه تفاعل حصل بخلق الله تعالى لا بدافع الصدفة ، ولا بمحض حركة المادة العمياء لذاتها .

وكذلك قالوا : إن عقل الإنسان لا يخالف عقول الحيوانات إلا بالكم ، ولا يخالفها في الذات والحقيقة ، وهو قول لا يصادم نصوص الشريعة الإسلامية في الاعتقاد ، إذ لم يرد فيها ما ينافي ذلك أو يؤيده ، بل غاية ما ورد أن الإنسان خُصّ بالعقل عن سائر الحيوانات وبه كُلف بالشرائع .

وأما كونه مغايراً لإدراكها أو غير مغاير فلم يرد فيه نص ، فلا مانع أن يكون إدراك الحيوانات وعقل الإنسان هما من مقولة واحدة ، ولكنه قد زاد بإرادة الله وقدرته حتى بلغ في الإنسان درجة ممتازة عن سائر عقول الحيوانات [٤٠] .

ضرورة العقل

للعقل ضرورات إدراكية وأخلاقية :

١- فهو مناط التكليف ومرتكز المسؤولية وميزان الله في أرضه [٤١] .

٢- وهو الذي يدرك المعقولات والمجردات والمفاهيم .

٣- وهو يعوّض قصور إدراك الحواس :

فلا يدرك الحس الأشياء إلا بقربه منها ، بينما يدركها العقل رغم بعدها .

والإحساس يدرك غيره ولا يدرك ذاته بينما يدرك العقل غيره وذاته .

ولا يدرك الحس ما وراء الحجب بينما يدركها العقل .

ويكتفي الحس بظواهر الأشياء بينما يتغلغل العقل إلى بواطنها وعللها

ويعجز الحس عن إدراك اللامتناهي بينما يستطيع العقل إدراك اللامتناهي .

٤- ويقضي العقل على أخطاء الحواس « فالعين تدرك الكبير والصغير فترى الشمس في مقدار حجر، والكواكب في صورة منثورة على بساط أزرق ، أما العقل فيدرك أن الكواكب والشمس أكبر من الأرض أضعافاً مضاعفة ، وترى الصبي ساكناً في مقداره والعقل يدرك أن الصبي يتحرك في النمو وهكذا [٤٢] »

كيف يحدث التفكير ؟

لابد لحدوث التفكير من أربعة أركان تعمل متكاملة لتساهم في إنشاء عملية التفكير وهي :

١- إن الواقع موجود قبل الفكر .

٢- لابد من وجود دماغ صالح ليستوعب هذا الواقع .

٣- لابد من وجود الحس لأن الفكر هو إحساس الدماغ بالواقع عن طريق الحواس .

٤- لابد للفكر من معلومات سابقة أو مبادئ فكرية أو أرضية من المعرفة (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا) { البقرة * ٣١ } ، فآدم هو رمز للإنسان الأول .

وعليه يُعرَف العقل أو الفكر هو : نقل الحس بالواقع ، بواسطة الحواس إلى الدماغ ، ووجود معلومات سابقة ، يفسّر بواسطتها هذا الواقع .

---

(٤٠)- قصة الإيمان ، نديم الجسر ٢١٨.

(٤١) - مشكاة الأنوار ، أبو حامد الغزالي ٢٥

(٤٢) - المنقذ من الضلال ، أبو حامد الغزالي ٦٣ .

ماذا نعني بالتفكير ؟

كثيراً ما يخطئ أغلب الناس في معنى التفكير ، فيطلقون (التفكير) على ما يجول بخاطر الإنسان من عمليات عقلية :

فقد نرى شخصاً شارد الذهن ، فنسأله : بماذا تفكر ؟ ... أي بماذا تحلم ؟

وإذا غاب عني اسم صديق ، فإنني أفكر فيه ... أي أنني أتذكره .

وإذا مرّ أحدنا بمنظر جميل ، وبعد فترة أخذ يفكر فيه .... فمعنى ذلك أنه يتصوره . إلخ ..

وهكذا يصبح التفكير عند كثير من الناس بمعنى (التخيل أو التذكر أو التصور . إلخ ...)

وشتان بين التفكير وبين كل من هذه العمليات العقلية .

يتطلب التفكير أن يشعر الإنسان بوجود مشكلة تقف في طريقه ، وتحتاج إلى حل فيصبح حل المشكلة هو الهدف الذي يسعى الإنسان إلى تحقيقه ، كالتاجر الذي يفتش عن أحسن وسيلة للربح ، فيفكر في ذلك ، حتى يصل أخيراً إلى حل نهائي يعتزم تنفيذه .

وهكذا نعرّف التفكير بأنه :

(سلسلة مقصودة من المعاني ذات طبيعة رمزية ، تُثار في المجال الذهني ، عندما يواجه الإنسان مشكلة معيّنة ، أو يريد القيام بعمل معين)

الموانع في سبيل العقل

حين يكون العمل بالعقل أمراً من أوامر الخالق يمتنع على المخلوق أن يعطّل عقله إرضاء لمخلوق مثله أو خوفاً منه .

والموانع التي تعطّل العقل كثيرة ، يستقصيها القرآن الكريم فيرى أنها تتجمع في ثلاثة موانع كبرى ، تكون بمثابة الأصول التي تتشعب منها الموانع المختلفة ، فمن سلم منها أو شك أن يسلم من كل مانع يحجر على عقله ، و هذه الموانع هي : (مواجهة السلف . مواجهة رجال الدين . مواجهة الاستبداد [٤٣]) :

١ - **مواجهة السلف** : لايقبل الإسلام من المسلم أن يلغي عقله ليجري على سنة آبائه وأجداده (وَ إذا قيلَ لَهُمْ اتَّبعوا ماأنْزَلَ اللّهُ قالوا بَلْ نَتَّبِعُ ماألفيْنا عَلَيْهِ آباءَنا ،أَوَ لَوْ كانَ آباؤهُمْ لا يَعْقِلونَ شَيْئاًولا يَهْتَدونَ) { البقرة * ١٧٠ } .

٢ - **مواجهة رجال الدين** : و لهذا بدأ الإسلام بالتحذير الشامل من إلغاء العقل خنوعاً لمن يسخره باسم الدين في غير ما يرضي الله،فأسقط الكهان و أبطل سلطان رجال الدين،و نفى عنهم القدرة على التحليل و الإدانة و الغفران (اتّخَذوا أَحْبارَهُمْ و رُهْبانهُمْ أَرْباباً مِنْ دون اللّهِ) { التوبة * ٣١ } ، و قال (يَا أَيُّها الّذين آمَنوا إنَّ كَثيراً مِنَ الأَحْبارِ وَ الرُّهْبانِ ليأْكُلونَ أمْوالَ النّاسِ بِالْبَاطِلِ وَ يَصُدّونَ عَنْ سَبيلِ اللّهِ) { التوبة * ٣٤ } .

(٤٣) - موسوعة عباس محمود العقاد الإسلامية ، المجلد الخامس ، بحوث إسلامية ، كتاب التفكير فريضة إسلامية ٨٤٣ .

٣ - **مواجهة الاستبداد** : لا يقبل الإسلام من المسلم أن يلغي عقله رهبة من بطش الأقوياء و طغيان الأشداء، و هو خطر الحكم المستبد على الضمير الإنساني الذي يؤدي إلى تشبث العناد ، فالاستبداد قهر للعقل بغير إرادته يترك له الحرية في : المقاومة أو الاحتيال أو الخضوع .

و الإسلام يلوم المسلم على الخضوع في مكانه ، إذا كان في وسعه أن يرحل منه بعيدا (قالوا فيمَ كُنتُمْ قالوا كُنّا مُسْتَضْعَفينَ في الأرْضِ قالوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ واسِعَةً فتُهاجِروا فيها) { النساء * ٩٧ } .

و الإسلام لا يكلف المسلم في هذه الأمور السابقة مالا طاقة له به ، و لا يطلب من خلقه مالا يستطيعون ، قال تعالى (لا نُكَلِّفُ نَفْساً إلاّ وُسْعَها){ وردت في الأنعام * ١٥٢ ، و في الأعراف * ٤٢ ، و في المؤمنون * ٦٢ } .

التفكير فريضة في الإسلام :

لا يذكر القرآن الكريم العقل إلا في مقام التعظيم و التنبيه إلى وجود العمل به و الرجوع إليه و يحث المسلم باستمرار على تحكيم عقله .

و لا تأتي الإشارة إلى العقل بمعنى واحد من معانيه التي يشرحها علماء النفس المعاصرون ، بل تشمل وظائف الإنسان العقلية على اختلاف أعمالها و خصائصها كالعقل الوازع و العقل المدرك و العقل المفكر :

١ - فمن خطابه إلى العقل الوازع : (وَ تِلْكَ الأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنّاسِ وَ ما يَعْقِلُها إلا العالِمونَ) { العنكبوت * ٤٣ } .

أما العقل المدرك فهو العقل الذي يعتمد على الفهم و الوعي و هو أعمق من مجرد الإدراك ، و قد ظهر ذلك في كل خطاب إلى ذوي الألباب من ذلك قوله تعالى : (لَقَدْ كانَ في قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولي الأَلْبابِ) { يوسف * ١١١ } ، و قوله : (وَ لَكُمْ في القِصاصِ حَياة يا أُولي الأَلْبابِ لعَلّكُمْ تَتَّقونَ) { البقرة * ١٧٩ } .

٣ - أما العقل المفكر فقد كان القران الكريم يعبّر عنه في الفكر و النظر و البصر و التدبر والاعتبار والذكر والعلم،من ذلك قوله تعالى:(هَلْ يَسْتوي الأَعْمَى وَ البَصيرُ أَفَلا تَتَفَكَّرونَ){الأنعام * ٥٠}،و قوله:(قُلِ انْظُروا ماذا في السَّمواتِ و الأَرْضِ){ يونس * ١٠١ } و قوله (وَ يُبَيِّنُ آياتِهِ لِلنّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرونَ) { البقرة * ٢٢١ } .

و هكذا نجد أن العقل الذي يخاطبه الإسلام هو التعقل الذي يعصم الضمير ، و يدرك الحقائق ، و يميّز بين الأمور ، و يوازن بين الأضداد ، و يتبصر و يتدبر و يحسن الأدكار والروية ، و أنه هو العقل الذي يقابله الجمود و العنت و الضلال ، و ليس العقل الذي قصاراه من الإدراك أنه يقابل الجنون .

ميزان التفكير :

كيف نعرف العاقل ؟ و كيف نحكم على عقل الإنسان ؟و ما الميزان الدقيق الذي ينتظم التفكير ؟

١ – إن سلوك الإنسان يعطينا صورة دقيقة عن عقله ، فقد جاء في الأمثال العربية : (دل على عاقل اختياره) و (دليل عقل المرء فعله) و (دليل علمه قوله) .

٢ – يقيّم التفكير بالحكمة التي يصل إليها الإنسان ، و الحكمة هي الكلام الموافق للحق ، و لا يكون كذلك إلا إذا كان كلاماً علمياً صحيحاً دقيقاً فقد جاء في الحديث الشريف (الحكمة ضالة المؤمن) رواه الترمذي و ابن ماجه .

و قد قالوا : (الرجال أربعة :

رجل يدري ، و يدري أنه يدري ، فذلك : عالم فاتّبعوه .

و رجل يدري ، و لايدري أنه يدري ، فذلك : نائم فأيقظوه .

و رجل لا يدري ، و يدري أنه لا يدري ، فذلك : مسترشد فعلّموه .

و رجل لا يدري ، و لا يدري أنه لا يدري ، فذلك : جاهل فارفضوه) .

٣ – مشاورة الناس : حيث قرر الإسلام مبدأ الشورى كنظام ديمقراطي (وَ أَمْرُهُمْ شورى بَيْنَهُمْ) { الشورى * ٣٨ } ، فقد أغنى العقل الإنساني المفرد بالعقل الجماعي ، و لهذا قالوا : (من شاور الناس شاركهم في عقولهم) .

٤ – حرية العقيدة : و قد نشأت هذه الحرية من حرية التفكير (لكُمْ دينُكُمْ وَ لِيَ دِين) {الكافرون * ٦ } .

أهداف التفكير

يهدف التفكير إلى :

١ – توسيع آفاق الإنسان العقلية و زيادة ثقافته و خبراته ، من أمثلة ذلك : (يا أهلَ الكِتاب لِمَ تُحاجُّونَ في إبْراهيمَ وَ ما أُنزِلَتِ التَّوراةُ وَ الإنْجيلُ إلاّ مِنْ بَعْدِه أَفَلا تعقِلونَ) { آل عمران * ٦٥ } .

٢ – التفكير هو الوسيلة الأساسية لفحص الحقائق ، و المبادئ و المعتقدات و التأكد من صلاحيتها ، و ليس الإيمان إلا نتيجة لقناعة الفكر بها ، قال تعالى : (إنَّ في خَلْقِ السَّمواتِ والأَرْضِ وَ اخْتِلافِ اللّيلِ و النّهارِ وَ الفُلْكِ التّي تَجْري في البَحْرِ بما يَنْفَعُ النّاسَ وَ ما أنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّماءِ مِنْ ماءٍ فأَحْيا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها وَ بَثَّ فيها مِنْ كُلِّ دابةٍ و تصريف الرياح و السّحابِ المُسَخَّرِ بَيْنَ السَّماءِ وَ الأَرضِ لآياتٍ لِقَومٍ يَعْقِلونَ) { البقرة * ١٦٤ } .

٣- حل المشاكل التي تصادف الإنسان في حياته،من أمثلة ذلك حل مشكلة الغواية التي يتردّى فيها المنحرفون (لَوْ كُنّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ ما كُنّا في أَصْحابِ السَّعير) { الملك * ١٠ } .

أو أن المشكلة تتعلق بتفسير ظاهرة كونية كمحاولة معرفة السبب في خلق النجوم (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجومَ لِتَهْتَدوا بها في ظُلماتِ البَرِّ وَ الْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنا الآياتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمونَ) { الأنعام * ٩٧ } .

موقف الإسلام من العقل :

استخدم الإسلام العقل ، و دعا إلى استغلاله إلى أبعد الحدود ، فقد قال النظّام : (سلطان العقل على باطن العاقل أشد من سلطان السيف على ظاهر الأحمق) .

و قد أبرز الإسلام الناحية العقلية في أربعة أمور :

١ - الدعوة للتفكير : بين الله تعالى أن النظر في آيات الله من شأنه إثارة التفكير عند الإنسان (كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآياتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرونَ) { البقرة * ٢١٩ } .

و قال الرسول صلى الله عليه و سلم : (لا عبادة كالتفكير) و قال : (العقل أساس ديني) و قال أيضاً :(تفكر ساعة خير من عبادة ستين عاماً) .

٢ - التوجيه للعلم : و كان ذلك على مستويات مختلفة :

آ - فرّق الإسلام بين الذين يعلمون و الذين لا يعلمون ، و عرض هذا التفريق باستفهام إنكاري (هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمونَ) { الزمر * ٩ } .

ب - ثم بيّن أن العلماء هم أكثر الناس خشية من الله تعالى لأنهم أقدر من غيرهم على تصور قدرته العقلية الرهيبة (إِنَّما يَخْشى اللَّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ) { فاطر * ٢٨ } .

و قد روي عن عثمان بن عفان [٤٤] رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم قال (يشفع يوم القيامة ثلاثة : الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء) رواه ابن ماجه .

جـ - لا بد من العودة باستمرار إلى أهل العلم و الذكر(فَاسْأَلوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تعلَمون) { النحل * ٤٣ } .

د - اعتبر الإسلام العلم استمراراً لوجود الإنسان ، فقد روي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم قال (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاثة : صدقة جارية،أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له) رواه الخمسة إلا البخاري .

٣ - مبدأ السببية . و هو مبدأ منطقي يربط الأسباب بنتائجها و العلل بما يترتب عليها و هو مبدأ أساسي في التفكير ، و قد وجهنا الله تعالى إليه فقال : (وَ آتَيْناهُ مِنْ كُلِّ شيْءٍ سَبَباً * فَأَتْبَعَ سَبَباً) { الكهف * ٨٤ - ٨٥ } .

من أمثلة ذلك : أن أعرابيا سئل : كيف عرفت الله تعالى ؟ فقال :

البعرة تدل على البعير . و الماء يدل على الغدير . و أثر الأقدام يدل على المسير . أفسماء

(٤٤)- عثمان بن عفان (٤٦ ق.هـ - ٣٥ هـ/ ٥٧٧ - ٦٥٦ م) ذو النورين ، ثالث الخلفاء الراشدين أحد العشرة المبشرين بالجنة ، ولد بمكة ، تزوج برقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم ، جهز نصف جيش العسرة من ماله ، أتم جمع القرآن ، و اتخذ الشرطة،قتل وبيده القرآن الكريم .

ذات أبراج ، و أرض ذات فجاج ، و بحار ذات أمواج.. ألا تدل على اللطيف الخبير) .
و قد ركز الرسول صلى الله عليه و سلم على هذا المبدأ في مواضع كثيرة . نذكر منها :
آ - قال الرسول صلى الله عليه و سلم للشخص الذي جاءه و ترك ناقته دون أن يربطها (إعقلها و توكل) رواه الترمذي .
ب - عن المغيرة بن شعبة [٤٥] رضي الله عنه قال :
(إنكسفت الشمس يوم مات إبراهيم - ابن الرسول صلى الله عليه و سلم - فقال الناس: إنكسفت الشمس لموت إبراهيم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:الشمس و القمر آياتان من آيات الله ، لا ينكسفان لموت أحد أو حياته ، فإذا رأيتموهما فادعوا الله حتى تنجلي) رواه الخمسة إلا الترمذي .
جـ - جاءت إمرأة إلى الرسول صلى الله عليه و سلم ، و معها وليدها المريض،تطلب من الرسول أن يشفي لها وليدها بقدرته و بركته ، فقال لها صلى الله عليه و سلم : (ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء) رواه البخاري و مسلم .
٤ - **ضرب الأمثال** : و هو خاصة من خواص الأسلوب القرآني : (وَ لَقَدْ ضَرَبْنا لِلنّاسِ في هذا الْقُرآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرونَ) { الزمر * ٢٧ } ، و ذلك للتذكير و الوعظ و تقريب المراد للعقل لتصويره بصورة المحسوس ، لأن ذلك أثبت في الأذهان و أسرع إلى قناعة الوجدان من أمثلة ضرب الأمثال : قوله تعالى : (وَ مَثَلُ كَلِمَةٍ خَبيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبيثَةٍ) { إبراهيم * ٢٦ } ، و قوله : (مَثَلُ نورِهِ كَمِشْكاةٍ فيها مِصْباحٌ) { النور * ٣٥ } ، و قوله : (فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إنْ تَحْمِلْ عَلَيهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ) { الأعراف * ١٧٦ } ، و قوله : (فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوانٍ عَلَيْهِ تُرابٌ) { البقرة * ٢٦٤ } .

الشك و الظن و الريب .

و هي ثلاثة مواقف عقلية متأرجحة تقف بين الرفض و القبول و يخيّل لكثير من الناس أن هذه المفاهيم الثلاثة مترادفات تحمل المعنى نفسه .
و لكن القرآن الكريم و هو المعجزة البلاغية الأولى ، يستعمل كل مفهوم من هذه المفاهيم الثلاثة استعمالاً خاصاً دقيقاً يختلف عن المفهومين الباقيين :
١- **الشك** : وهو موقف يتوسط بين الظن و الريب ، موقف لا يميل بصاحبه للناحية الإيجابية كما لا يميل بصاحبه نحو الناحية السلبية ، متوقف متحجر ليس فيه رؤية واضحة و لا اتجاه محدد،يشك صاحبه بالشيء فليس لديه ما يبرر قبوله كما لا يملك دلائل تؤكد له موقف الرفض، إنه كالأعمى الذي لا يستطيع الرؤية ، قال تعالى (بَلْ هُمْ في شَكٍّ مِنْها بَلْ هُمْ مِنْها عَمونَ)

(٤٥)- المغيرة بن شعبة (توفي ٤٥ هـ/ ٦٦٦ م) صحابي ثقفي كوفي ، شهد الحديبية ، ولاه عمر البصرة وشهد القادسية ونهاوند ، من دهاة زمانه ، حكم الكوفة ، وأخمد الفتن بين الشيعة والخوارج .

{النمل * ٦٦ } .

و إذا تحجر المرء في شكوكه وصل به شكه إلى الريب ، و أصبح شكاً مريباً ، و هي حالة نفسية مترددية (إنهم كانوا في شَكٍّ مُريبٍ) { سبأ * ٥٤ } .

٢ - الظن : و هو موقف متأرجح بين القبول والرفض ، قالوا عنه إنه اعتقاد راجح مع احتمال النقيض،إنه موقف تتذبذب فيه النفس و تعيش في الحيرة و الضياع .

فقد ينحرف الظن بصاحبه للناحية الإيجابية كقوله تعالى : (إنّي ظَنَنْتُ أنّي مُلاقٍ حِسابِيَهْ) {الحاقة * ٢٠ } .

و قد يتجه للناحية السلبية كقوله تعالى : (وَلكِنْ ظَنَنْتُمْ أنَّ اللّهَ لا يَعْلَمُ كَثيراً مِمّا تَعْمَلونَ) { فصلت * ٢٢ } .

و الظنّان هو إنسان سيء الظن ، و الظنين هو المتهم ، و يكون الظن بمعنى التهمة ،وفي هذا يقول الله تعالى(الظّانّينَ باللّهِ ظَنَّ السَّوءِ عَلَيْهِمْ دائِرَةُ السَّوْءِ) { الفتح * ٦ } .

و قد يكون الظن ظاهرة فكرية سيئة تقترب بصاحبها من الإثم (إنَّ بَعْضَ الظَّنِ إثْمٌ) {الحجرات * ١٢ } و قد يأتي الظن بمعنى العلم و اليقين (وَ ظَنوا أنْ لا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إلاّ إلَيْهِ) { التوبة * ١١٨ } أي أنهم أيقنوا بذلك .

٣ - الريب:و هو موقف يميل بصاحبه في أغلب الأحيان نحو الناحية السلبية ، فقد يؤدي في كثيرمن الحالات إلى حالة نفسية من التردد و الضياع تتعب صاحبها وتجعله في وضع متأرجح مضطرب (وَ ارْتابَتْ قُلوبُهُمْ فَهُمْ في رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدونَ) { التوبة * ٤٥ } .

و قد يقترب الريب بصاحبه في بعض الأحيان من الكفر ، فقد جاء عن الرسول صلى الله عليه و سلم : « الإرتياب من الكفر » رواه البيهقي .

و لهذا لا عجب أن يقول الله تعالى : (كَذَلِكَ يُضِلُّ اللّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتابٌ) { غافر * ٣٤} .

الإلهام

كثيرا ما يشعر الأدباء أو العلماء أو الصوفيون بحدس مفاجئ ، يهبط على قلوبهم فجأة ويلقي فيها المعاني الجديدة ، و الاكتشافات الرائعة ، و إن الحقائق التي كانوا ينشدونها تشرق في نفوسهم فجأة .

فما الإلهام ؟

الإلهام (هو طريق العلم اللدنّي الذي لا يحصل بالتعلم و الاكتساب،و إنما يهجم على القلب من حيث لا يدري الإنسان) .

إن التصور لا يسترجع الصور كما هي ، بل يبدلها فيمحو بعض عناصرها ، و يضم إليها بعض العناصر الجديدة ، و هذا التصور عندما يعلو مستواه و يأتينا بشيء جديد فإننا

نسميه (تخيلاً مبدعاً أو إبداعاً أو كشفاً أو إلهاماً) .

ماذا قالوا في الإلهام ؟

١ - ميّز الصوفية في الإدراك بين المعرفة الحسية التي تأتي من طريق العقل و التجربة و بين المعرفة اللدنية الصوفية التي يكون طريقها الكشف المباشر .

٢ - و يرى ابن سينا:أن المعرفة تختلف باختلاف موضوع الادراك ، فهناك إدراك مباشر يتناول الأمور المحسوسة ويسميه المشاهدة أو المعرفة الحسية المباشرة ، و هو معرفة مباشرة للشيء الخارجي المحسوس كما أن هناك إدراكاً عقلياً مباشراً .

٣ - ويرى الغزالي:أن الإدراك العقلي المباشر قد يكون منطقياً كإدراكنا العلاقة بين معنيين إدراكاً مباشراً و هو بهذا المعنى سرعة الإنتقال من مجهول إلى معلوم ، و قد يكون إدراكاً ميتافيزيقياً مباشراً يتناول موضوعات غير معطاة في عالم الحس .

٤ - و يعتقد الفلاسفة أن المعرفة في حقيقتها لا تتم بطريق التجربة بوسيلة الاستدلال فقط وإنما لا بد من إشراق صور العقل الفعال على العقل الإنساني ، و ذلك بعد أن يقطع هذا العقل مراحل العقل بالقوة والعقل بالفعل .

دلائل الإلهام

ورد الإلهام مرة واحدة في القرآن الكريم منسوباً لله تعالى ، فقال : (وَنفْسٍ وَ مَاسَوّاها * فَأَلْهَمَهَا فُجورَها وَتَقْواها) { الشمس * ٧ - ٨ } فما دلائل الإلهام ؟

دلائل الإلهام في القرآن : نجد من ذلك :

١ - أن الله سبحانه و تعالى يوجه بعض الناس الذين جاهدوا في سبيله إلى الطريق القويم ويلهمهم مالم يكونوا يعرفونه سابقاً : (وَ الّذِينَ جاهَدوا فينالَنَهْدِيَنّهُمْ سُبُلَنا) { العنكبوت * ٦٩ } .

٢ - قال تعالى (وَ مَنْ يتّقِ اللّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً * وَ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ) { الطلاق* ٢ - ٣ } ، قال العلماء في تفسير عبارة (وَ يَرْزُقَهُ مِنْ حَيْثُ لا يحْتَسِبُ) أي يعلّمه علماً من غير تعلم .

٣ - قال تعالى : (وَ عَلّمْناهُ مِنْ لَدُنّا عِلْماً) { الكهف * ٦٥ } ، و المقصود بالعلم هو العلم اللدني الذي ينفتح في سر القلب من غير سبب مألوف من الخارج .

دلائل الإلهام في الحديث : نجد من ذلك :

أن الرسول صلى الله عليه و سلم أشار إلى نفحات الله تعالى ، و على المسلم أن يحاول اكتسابها فقد قال : « إن لربكم في أيام دهركم نفحات ، ألا فتعرضوا لها » رواه الترمذي والطبراني (٤٦) .

(٤٦)- الطبراني : سليمان أحمد اللخمي الشامي (٢٥٨ - ٣٥٩ هـ/ ٨٧٣ - ٩٧١ م) من كبار المحدثين، أصله من طبرية ولد بعكاورحل للحجاز ومصر والعراق وفارس ، توفي بأصبهان ، له ثلاثة معاجم في الحديث وكتب في التفسير .

دلائل الإلهام في الرؤية الصادقة : وهي تحصل لبعض الناس فقط حيث ينكشف الغيب في مثل هذه الرؤى الصادقة .

و قد رأى ابن سينا و ابن رشد وابن خلدون أن كثيراً من الحقائق يمكن أن تنكشف للإنسان عن طريق النوم،أما جمهور المتكلمين فقد اعتبروا أن الرؤيا الصادقة ليست إلا خيالاً باطلاً (٤٧) .

---

(٤٧) - مقالات الإسلاميين ، الأشعري ٢/ ٤٣٣.

الشخصية

(الفروق الفردية . الذكاء . السعادة . الشخصية) .

الفروق الفردية

قال تعالى:(هُوَ الَّذي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْها زَوْجَها) { الأعراف * ١٨٩ }.

الأصل أن النفس واحدة ، وصفاتها مشتركة ، وجبلاتها متوحدة ، لا تباين فيها ولا اختلاف ولكن الملاحظة العادية تدلنا أن هناك فروقا بين الناس مهما تقاربوا وتشابهوا ، فكما أن بصمات الأصابع لا تتماثل بين أي فردين على مدار التاريخ ، فكذلك لا يوجد فردان من البشرية يتماثلان تماثلا تاما كاملا على مدار الأجيال .

وهذه الفروق لم تحدث صدفة ، ولم تأت اعتباطا ، ولكن الله تعالى تعمّد إيجادها : (وَلَوْ شاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً واحِدَةً) { هود * ١١٨ } .

أما كيف حدثت هذه الفروق فيفسرها الحديث الشريف :

فعن أبي موسى الأشعري (١) رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض ، فجاء بنو آدم على قدر الأرض (٢) ، جاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك ، والسهل والحزن والخبيث والطيب وبين ذلك » رواه أبو داوود والترمذي .

أنواع الفروق الفردية

١- هناك فروق جوهرية وأساسية بين الذكر والأنثى ، فكل منهما يختلف عن الآخر اختلافا بيّناً في جميع النواحي (وليس الذكر كالأنثى) { آل عمران * ٣٦ }.

وفي مناسبة أخرى ميز الله تعالى الرجال على النساء بدرجة (وَلَهُنَّ مِثْلُ الذي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْروفِ وَلِلرِّجالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللهُ عَزيزٌ حَكيمٌ) { البقرة * ٢٢٨ } ، وهي درجة القوامة (الرِّجالُ قَوّامونَ على النِّساءِ) { النساء* ٣٤ } ، وقد علّل الله تعالى هذه القوامة حتى لا تختلط في أذهان الناس بالسيادة والسيطرة (الرِّجالُ قَوّامونَ على النِّساءِ بِما فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ وَبِما أَنْفَقوا مِنْ أَمْوالِهِمْ) { النساء * ٣٤ } .

٢- وهناك فروق جسمية بين الناس : كالطول والقصر ، والصحة والضعف ، والسمرة والبياض (وَمِنْ آياتِهِ خَلْقُ السَّمواتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوانِكُمْ) { الروم * ٢٢ } .

٣- وهناك فروق في حواس الناس : كالأعمى والبصير ، والسميع والأصم : (مَثَلُ الْفَريقَيْنِ كَالأَعْمى وَالأَصَمِّ وَالْبَصيرِ والسَّميعِ هَلْ يَسْتَوِيانِ مَثَلاً أَفَلا تَذَكَّرونَ) { هود * ٢٤ }

٤- وهناك فروق بين عقول الناس وتفكيرهم ، فمنهم العباقرة والأذكياء ، والعاديون المتوسطون

---

(١)- أبو موسى الأشعري * عبد الله بن قيس (٢٠ ق هـ- ٤٤ هـ/ ٦٠٢- ٦٦٥ م) صحابي ، من الشجعان الولاة الفاتحين ، ولد في اليمن وعاش في مكة ، وهاجر للحبشة ، له ٣٥٥ حديثا .

(٢)- قال علماء اللغة : إن آدم عليه السلام سمي بهذا الاسم نسبة إلى أديم الأرض الذي خُلق منه .

والأغبياء وضعفاء العقول . هناك عمق التفكير وسطحيته ، وسرعة البديهة أو بطؤها ، وقد بنى الرسول صلى الله عليه وسلم على هذه الفروق العقلية طريقتين في مخاطبة الناس ومعاملتهم فقال : « أُمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم » رواه الديلمي .

٥- وهناك فروق فردية في المستويات الاقتصادية بين الناس : فمنهم أغنياء ومنهم متوسطو الحال ومنهم فقراء (وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ) { النحل * ٧١ }

وقد جاء هذا التفضيل لأن الله هو الذي يقسم الرزق بين عباده ، اسمعه وهو يفصل في هذه النقطة فصلا حاسما أبديا ، فيقول : (نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) {الزخرف * ٣٢ } .

٦- وهناك فروق فردية في النواحي الأخلاقية : نجد منها مثلا أن الأمانة لا تتعلق بمقدار المال المؤتمن عليه بمقدار ما تتعلق بأخلاق الإنسان (وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِماً) { آل عمران * ٧٥ } .

٧- وهناك فروق في الدرجات الاجتماعية والمراتب والأقدار ، فمنهم الحكام والمحكومون والقضاة والمجرمون ، الاجتماعيون والمنعزلون ، المتمدنون والبدائيون ، قال تعالى : (وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ) { الزخرف * ٣٢ }

٨- والمقاتلون في ساحة المعركة ليسوا نمطا واحدا ، فالمؤمنون منهم يقاتلون في سبيل إعلاء كلمة الله ونشر الإسلام ، أما الكافرون فيقاتلون في سبيل الشيطان ، ويكون الدافع لقتالهم أهدافا شخصية خاصة(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً) { النساء * ٧٦ } .

٩- وهناك فروق فردية في الهداية والاستقامة : فبعض الناس مهتدون وبعضهم ضالون : (فَمَنْ يُرِدْ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ) { الأنعام * ١٢٥ } .

١٠- وهناك فروق فردية في المحاور التي يهدف إليها الإنسان : فمنهم من يعمل للآخرة ومنهم من تتقوقع أهدافه حول الدنيا فقط : (مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ) { آل عمران * ١٥٢ } ولهذا يختلف الناس عن بعضهم باستمرار بالشقاء والسعادة : (فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ) { هود * ١٠٥ } .

١١- ولا تقتصر هذه الفروق على عامة الناس فقط ، بل تشمل أيضا الرسل عليهم السلام فقد فضل الله تعالى الرسل بعضهم على بعض : (تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ) {البقرة * ٢٥٣ } .

منابع الفروق الفردية

للعوامل الوراثية دور كبير في هذه الفروق الفردية ، فقد دلت أغلب الدراسات أن هناك

علاقة تربط جيل الأبناء بجيل الآباء ، وأن هناك من الصفات المشتركة بين هذين الجيلين مما يعزى في الغالب لعامل الوراثة .
وقد دلت قوانين الوراثة : أن الولد يرث نصف صفاته من أبيه وسلالة أبيه ، ونصف صفاته الأخرى من أمه وسلالة أمه .
نبه القرآن الكريم لهذه القضية العلمية منذ مئات السنين الماضية ، فقال تعالى في قرآنه المجيد (إِنَّا خَلَقْنا الإِنْسانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشاجٍ) { الدهر * ٢ }
فكلمة (أمشاج) مأخوذة من فعل (مَشَج) أي خلط ، فالأمشاج : ما كان مختلطاً ومعنى (نطفة أمشاج) أي أننا خلقناه من نطفة مركبة وممزوجة من المقومات الوراثية للرجل والمرأة معاً.وقد انتبه الرسول صلى الله عليه وسلم منذ القديم لعنصر الوراثة في الإنسان ، فأطلق عليه اسم (العرق) وقال : « تخيّروا لنطفكم فإن العرق دساس) .
ومعنى الحديث : اختاروا لحيويناتكم المنوية الأمهات الصالحات اللاتي يتحدّرن من أرومة طيبة وسلالة نقية ، لأن أولادكم سيرثون نصف صفاتهم من عائلات أمهاتهم

هدف الفروق الفردية

هنا نتساءل : لماذا أوجد الله تعالى هذه الفروق الفردية بين الناس ؟ لماذا لم يخلقهم أمة واحدة ونمطا واحدا ؟

١- إن هذا التعدد في الأنماط يعطي الحياة البشرية ثراء لا يعرفه عالمَ الحيوان ، فكل إنسان عالمَ قائم بذاته ، رغم تشابه هذه العوامل وتقاربها ، وفي هذا يخاطب محيي الدين بن عربي (٣) الإنسانَ ، فيقول :

وتحسب أنك جرم صغير ... وفيك انطوى العالم الأكبر

٢- إن الفروق الفردية ضرورية لتنظيم الحياة الاجتماعية في هذه الدنيا ، فيتعاون الناس مع بعضهم ، ويسخّر بعضهم بعضا ، وكل إنسان يخدم المجتمع في ناحية معينة ولكنه يستفيد من خدمات غيره في بقية النواحي (لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيّاً) { الزخرف * ٣٢ } .

٣- إن الله تعالى يحاسب الناس فيما آتاهم وفيما رزقهم وفيما أنعم عليهم وفيما فضل بعضهم على بعض : (وَلَوْشاءَ اللّهُ لَجَعلكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فيما آتاكُمْ) { المائدة * ٤٨ } ، ويقول في موضع آخر(وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فيما آتاكُمْ){الأنعام * ١٦٥ }
والتمايز بين النفس و النفس إنما يتأتى من موقعها من الصدق ، فالنفس الصادقة تختار طريق المجاهدة في الله ولله وعلى الله ، فلا تتأرجح بين الهوى والتقوى ، بين الشرك والإيمان .

(٣)- محيي الدين بن عربي (٥٥٩- ٦٣٧ هـ/ ١١٦٥- ١٢٤٠ م) ، صوفي ، ولد في مرسية بالأندلس وتوفي بدمشق ، كان ظاهريا في العبادات باطنيا في الاعتقاد ، اتهم بالزندقة ، ألف الفتوحات المكية)

الذكاء

كثيرا ما نقول : إن فلانا ذكي ، وفلانا غبي ، وأن هذا الإنسان ضعيف العقل وذاك عبقري فما الذكاء ؟ وعلى أي أساس أطلقنا هذه الأحكام على الآخرين ؟

نذكر مثالا ....

طلب معلم من تلاميذه أن يجمعوا ذهنيا سلسلة الأرقام الآتية مع بعضها (١ ، ٢ ، ٣، ٤، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ،) ، فوجد أحد التلاميذ النتيجة بسرعة أدهشت المعلم .

فسأله المعلم : كيف حل المسألة بهذه السرعة ، فأجاب التلميذ: لقد لاحظت أن : {١+ ٨= ٩ و ٢ + ٧ = ٩ ، و ٣ + ٦ = ٩ و ٤ + ٥ = ٩) أي أن سلسلة هذه الأرقام تشكل أربعة مجموعات ، كل مجموعة تساوي ٩ ، فكانت النتيجة أنني ضربت ٤ في ٩ فكان الجواب ٣٦ .

هنا يقول أحد الفلاسفة : (حاول المدرس أن ينمي الذكاء ، وحاول عالم النفس أن يقيسه ولكن أيا منهما لم يعرف طبيعته) .

والواقع أن المشكلة النفسية في الذكاء تكمن في أنه ليس مجرد وظيفة بسيطة من وظائف النفس ، بل هو عملية معقدة تتعلق بالوظائف كلها ، و لا ينعزل عنها ، فهو قوة التآزر والربط بين الوظائف العقلية المختلفة ، وتبدو هذه الفعالية في القدرة على حل المشكلات عن طريق إدراك العلاقات ، غير أن هذه القدرة قد تتجه إلى ناحية معيّنة فتؤدي إلى النبوغ كالنبوغ في العزف على آلة موسيقية ، أو النبوغ في التجارة دون سواها .. إلخ....

وعندما يرتفع مستوى الذكاء جدا يطلقون عليه اسم العبقرية ، والعبقرية كلمة مشتقة من (عبقر)وهو اسم واد في الحِجاز ، زعم العرب أنه موطن الجن ، ثم نسبوا إليه كل شيء تعجبوا من عظمته أو روعته أو جودة صنعه .

تعريف الذكاء: لم يرد لفظ الذكاء في القرآن الكريم ،.وقد عرف الناس أن الذكاء (قدرة عقلية فطرية عامة) :

١- فالذكاء قدرة : لأنه يمكّن الإنسان من القيام بأفعال لا يستطيعها الأغبياء.

٢- الذكاء نشاط عقلي : لأنه يتعلق بالنشاط النفسي الذي يعتمد على الإدراك والمعرفة .

٣- الذكاء استعداد فطري : لأنه يأتي قبل كل خبرة أو تعلم أو اكتساب ، فالإنسان يولد مزودا بقسط معيّن من الذكاء ، وهذا لا يمنع البيئة أن تعمل على صقله وتنميته أو إضعافه .

٤- الذكاء فعالية عامة : لأنه قوة التآزر والربط بين جميع الوظائف المختلفة ، أو أنه مردود الفعالية النفسية عند فرد من الأفراد بشكل عام .

أنواع الذكاء

لدى ملاحظة الأذكياء ودراسة تصرفاتهم ، نرى أن ذكاء الناس على أنواع ، فهو

(نظري أو اجتماعي أو عملي) .

١- الذكاء النظري : فمن توفر لديه الذكاء النظري برزت عنده القدرة على فهم المجردات وإدراك العلاقات ، وكان أقدر من غيره على التعلم والاستمرار في مجال الدراسة النظرية . ومن هؤلاء يكون العباقرة والعلماء والفلاسفة .

٢- الذكاء الاجتماعي : ومن توفر لديه الذكاء الاجتماعي برزت عنده القدرة على التكيف للمواقف الاجتماعية ، وحل ما يصادفه من مشاكل اجتماعية ، وكان أقدر من غيره على تكوين صلات اجتماعية ومكانة مرموقة ، ومن هؤلاء يكون الزعماء والسياسيون .

٣- الذكاء العملي : ومن توفر لديه الذكاء العملي برزت عنده القدرة المكانية والأداء العملي والنشاط اليدوي ، وكان أقدر من غيره في مجال العمل والصناعة . ومن هؤلاء يكون المهندسون والمخترعون . ومن هذا العرض نستطيع أن نقول :

إن الذكاء فعالية نفسية ، يبدو في مظاهر مختلفة ومستويات متفاوتة ، ومنها المستويات البسيطة التي ترتبط ارتباطا وثيقا بالحياة الفيزيولوجية ، ومنها المستويات المعقدة التي ترتقي إلى أرفع درجات التفكير والمحاكمة .

نماذج من مشاهير الأذكياء

١- محمد عليه الصلاة والسلام : سئل الرسول صلى الله عليه وسلم : هل عدلت يا رسول الله بين زوجاتك ؟ . كان السؤال محرجا فلا يستطيع الرسول صلى الله عليه وسلم الإجابة بالإيجاب ولا بالنفي .

لو قال الرسول : (نعم لقد عدلت بين زوجاتي) لأجابه السائل : هذا غير صحيح لأن الله تعالى قال : (وَلَنْ تَسْتَطِيعوا أَنْ تَعْدِلوا بَيْنَ النِّساءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ) { النساء * ١٢٩ }

ولو قال الرسول : (لا ، لم أعدل) لأجابه السائل : كيف يمكن أن لا تعدل وأنت قدوة المسلمين. أحس الرسول صلى الله عليه وسلم فعلا بحرج السؤال ، لكنه أجاب على الفور : « اللهم .. لقد عدلتَ فيما أملك ، فلا تؤاخذني فيما لا أملك »

لقد عدل الرسول صلى الله عليه وسلم في النواحي المادية التي يملكها ويستطيع التحكّم فيها ، وهو يبتهل إلى الله تعالى أن لا يؤاخذه في النواحي العاطفية التي لا يستطيع التحكم فيها والسيطرة عليها .

٢- العباس بن عبد المطلب : رضي الله عنه،اشتهر العباس بن عبد المطلب بالذكاء وسرعة البديهة ، والقدرة على التخلص من الأسئلة المحرجة .

جاءه ذات يوم شخص فسأله : (أنت أكبر أم رسول الله ؟)

أحس العباس بحرج السؤال ، لكنه أجاب فورا : (هو أكبر مني ، رغم أني وُلدت قبله)

٣- **وافق شن طبقة :** قالوا في الأمثال العربية (وافق شن طبقة) فما قصة هذا المثل ؟
كان (شن) رجلا من أذكياء العرب ودهاتهم ، وقد قرر ألا يتزوج إلا بفتاة تلائمه في الذكاء وذات يوم كان عائدا من المدينة إلى قريته ، فرافق رجلا مسنا ،وأثناء الطريق قال شن للرجل : أتحملني أم أحملك ؟ فاستجهله الرجل ، وقال له ياشن : أنا رجل مسن لا أستطيع حملك ، ثم ما المبرر لأن تحملني ما دُمْتُ قادرا على السير . فسكت شن .
وبعد فترة شاهدا زرعا ظهرت سنابله . فقال شن : هل أكل هذا الزرع أم لم يؤكل ؟ فقال الرجل أما تراه على حاله لم يؤكل بعد ؟ فسكت شن .
وبعد فترة شاهدا جنازة ، فقال شن : هل المحمول على النعش حي أم ميت ؟ فقال الرجل : ما رأيت أجهل منك ، ألا تعرف أن الأموات فقط هم الذين يُحملون على النعش ؟ . فسكت شن ثم وصلا القرية ، وذهب كل منهما إلى بيته .
دخل الرجل المسن بيته ، وكان عنده بنت ذكية اسمها (طبقة) ، فروى لها أبوها ما جرى بينه وبين الرجل المسمى (شن) ، فقالت له طبقة :
لقد سألك يا والدي ثلاثة أسئلة ، كان يقصد في كل منها شيئا ، وأنت فهمت منها شيئا آخر .
سألك : أتحملني أم أحملك ؟ قاصدا : أتحدثني أم أحدثك ، فالحديث يخفف عن الإنسان متاعب السير ، فإذا حدثتني فكأنك تحملني ، وإذا حدثتك فكأنني أحملك.ثم سألك : هل أُكل هذا الزرع أم لم يؤكل ؟ قاصدا : هل باعه أصحابه أو أجرّوه أو ضمّنوه فأكلوا ثمنه ؟
ثم سألك : هل المحمول على النعش حي أم ميت ؟ قاصدا : هل ترك أولادا من بعده يحيون ذكره بعد وفاته ؟ فإن كان له أولاد فلا ينقطع ذكره من الوجود فكأنه حي ، وإذا لم يكن له أولاد فسينقطع ذكره من الدنيا فكأنه ميت .
وفي اليوم الثاني ذهب الرجل المسن إلى شن ، وروى له الإجابات التي ذكرتها ابنته (طبقة) فعرف شن أن طبقة فتاة ذكية ويندر وجود مثيل لها ، وأنها الفتاة التي يفتش عنها ، فخطبها وتزوجها ، وأخذها إلى أهله ، فلما رأوها وعرفوا ذكاءها وفطنتها ، وأنها تناسب ابنهم(شن) تمام المناسبة ، قالوا (وافق شن طبقة) ، فذهب قولهم هذا مثلا .
وبمثل هذا ضُربت الأمثال بمشاهير الأذكياء أو مشاهير الأغبياء ، فقالوا : (أذكى من إياس) (وأحمق من هبنقة) .
كما ألفوا أمثالا على الحمقى ، فقالوا : (أحمق من ماضغ الماء) . (أحمق من القابض على الماء) . . (أحمق من ناطح الماء) . (أحمق من لاطم الأرض بخديه) . (أحمق من ناطح الصخر) .

دور الذكاء في تكامل الشخصية

وهكذا نجد أن الذكاء هو محصلة عامة للفعالية النفسية ، هو قدرة تستفيد منها كل وظيفة من وظائف النفس .

ويبدو الذكي في قدرته الفائقة على الإبداع والفهم والتلاؤم ، وحل ما يصادفه من مشكلات عن طريق إدراك العلاقات ، وفي الاستفادة من هذه القدرة في التركيب والتنظيم والقيام بعمليات التفكير العليا المجردة .

إن الذكاء هو قوة التآزر والربط بين الوظائف العقلية المختلفة ، والشخصية المتكاملة هي التي تنمي ما لديها من إمكانات عقلية ، فتوجهها نحو الخير والبناء ، بدلا من أن تكون أداة للهدم والشرور .

السعادة

السعادة عند فلاسفة اليونان

ذهب فلاسفة اليونان إلى أن سعادة الإنسان تنحصر في الكمالات النفسية ، وهي أربع (الحكمة ، والشجاعة ، والعفة ، والعدالة) .

ولم يجدوا ضرورة لربط الكمالات النفسية بالكمالات الجسدية وسلامة البدن ، بل قالوا: إن الأمراض البدنية لا تؤثر على السعادة ، إلا إذا أدت إلى الجنون أو الحماقة .

وذكروا أن كمال النفس يتناسب تناسبا طرديا مع حرمان البدن والإضرار به ، ولذلك فإن السالكين في هذا الطريق يحرمون أجسادهم من ميولها وأهوائها .

السعادة في المدنية الحديثة

يتمسك المعاصرون في المدنية الحديثة بالجانب المادي ، ويعتبرون الأهواء الشخصية والرغبات الذاتية أساسا في السعادة :

١- يعتقد العالمَ المتمدن اليوم بأن السعادة تنحصر في مدى التقدم الاقتصادي ، ويقيّمون كل زوايا الحياة بمنظار الاقتصاد ، ولهذا فهم ينكرون كثيرا من الحقائق الروحية والاعتقادية والأخلاقية .

٢- تذهب طائفة من الناس إلى أن الأصل في السعادة الإنسانية هو اللذة المادية ، ولذلك يعلل بعضهمَ جميع ظواهر الحياة بمنظار الميول والدوافع الجنسية ، حتى أن الشهوة الجنسية تظهر عندهم بمظهر الأخلاق تارة ، وفي صورة العقائد والأديان تارة أخرى .

السعادة في الإسلام

يبني الإسلام أساس السعادة البشرية علي مبدأ الواقع أو الفطرة ، وهذا المبدأ ينظر للإنسان من جميع جوانبه المادية والمعنوية ، والروحية والجسدية (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ) { الروم * ٣٠ }.

وقد توصل الإسلام إلى ذلك بشيئين :

١- الإيمان : يقسم الله تعالى في سوره العصر بأن جميع الناس من أي عنصر كانوا وفي أي زمان عاشوا مبتلون بالحزن والبؤس والخسران إلا الذين آمنوا (وَالْعَصْرِ *إِنَّ الإِنْسانَ لَفي خُسْرٍ* إِلاّ الّذينَ آمَنوا) { العصر * ١ - ٣ } .

٢- الأخلاق: ويقسم في سوره الشمس بالشمس والقمر ، والليل والنهار ، والسماء الذي بناها والأرض والذي طحاها ، والنفس الإنسانية ، وخالقها الذي وازن بين عناصرها وألهمها الخير والشرّ (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكّاها * وَقَدْ خابَ مَنْ دَسّاها) { الشمس * ٩ - ١٠ } .

قسما بكل هذه الأيات الإلهية أن السعادة والفلاح إنما يكونان لمن طهر نفسه من الآثام ، ونَزه روحه عن الجرائم ، وإن الشقاء والخيبة إنما يكونان لمن تلّوث بالآثام والجرائم

السعادة في القرآن :

لم يستعمل القرآن الكريم كلمة السعادة في أية آية من آياته ، وإنما استعمل بدلا عنها كلمة (الفلاح) وهي تعني الدلالة ذاتها ، وقد ورد الفلاح في القرآن الكريم بمفاهيم ثلاثة :

١- التقوى (وَاتَّقوا اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحونَ) { البقرة * ١٨٩ } .

٢- عمل الخير (وَافْعَلوا الْخَيْرَ لعَلَّكُمْ تُفْلِحونَ) { الحج * ٧٧ } .

٣- ذكر الله (وَاذْكُروا اللّهَ كَثيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحونَ) { الجمعة * ١٠ } .

وقد بنى الدكتور حسن الشرقاوي على ذلك نتيجتين هامتين ، وهما :

١- ليست السعادة مذهبا نظريا ، ولا فكرا بشريا ، ولا لذة وقتية ، ولا تأملا سلبيا ، وإنما السعادة في الأمن الداخلي للإنسان ، والسكينة للقلب ، والطمأنينة للنفس .

وهذا لن يتحقق إلا بالإيمان بالله والعمل بقرآنه واتباع أوامره والنهي عما نهى عنه ، والثمرة الطيبة هي السكينة (هُوَ الّذي أَنْزَلَ السَّكينَةَ في قُلوبِ الْمُؤْمِنينَ لِيَزْدادوا إِيماناً مَعَ إِيمانِهِمْ) {الفتح * ٤ } .

٢- ليست السعادة في الحصول على اللذات وممارسة الشهوات ، وليست في حياة التخيلات والأوهام ، ليست في الهروب من مجاهدة النفس والتقوقع في العزلة والابتعاد عن الجهاد ، وإنما السعادة في طاعة الله وإخلاص العمل له ، وبذلك يأمن المسلم من الشر ويذهب عنه الخوف ويعيش الحياة الهانئة التي ارتضاها الله له .

الشخصية

تتجلى الشخصية السليمة عند الإنسان في جميع نواحي سلوكه ونشاطه الفردي والاجتماعي .

والشخصية السليمة هي الشخصية التي تتمتع بصحة نفسية جيدة ، وتسلك سلوكا سويا بعيدا عن الشذوذ والانحراف ، وتعمل على تفتيح إمكانياتها ، وتنمية استعداداتها وعاداتها فتوجهها وجهات معينة مدروسة سليمة تؤدي إلى الاتزان النفسي والتكيف الاجتماعي .

وتكتسب الشخصية السليمة بالعمل على تكاملها بوعي إرادي مستمر ، وبتعهدها بالتربية القويمة والأجواء المناسبة

.تكامل الشخصية

يَقصد بتكامل الشخصية تآزر عواملها الجسمية والنفسية والاجتماعية ، والربط بين ماضي الإنسان وحاضره ومستقبله ، والاستفادة من التجارب الماضية لفهم الموقف الراهن مع الاستعداد للظروف المقبلة ، والتلاؤم معها بنجاح .

إن الشخصية المتكاملة هي تلك الشخصية التي إذا واجهت موقفا من المواقف تستجيب له بكاملها ، وبكل ما لديها من إحساسات وذكريات وإدراكات وتخيلات وانتباه ، فيخضع بعضها لبعض ، وتنصهر جميع أجزائها في اتجاه واحد يعمل للوصول إلى هدف معين .

والشخصية المتكاملة أيضا تخضع استجاباتها للعقل والإرادة القوية والصالح العام ، وتحاول فهم الموقف بكامله لا بجزء منه والسيطرة عليه . وهكذا يصبح الشخص المتكامل هو الذي يدرك النواحي المختلفة ، للمواقف التي تواجهه ، ثم يربط بين هذه النواحي وما لديه من خبرة سابقة ، تصلح لتكييف الاستجابة تكييفا ملائما ، ويراعي جميع نواحي الموقف بحيث تعين هذه النواحي مجتمعة طبيعة الاستجابة .

أما الشخص غير المتكامل فهو الذي يستجيب بطريقة جزئية اندفاعية لعجزه عن التأليف بين دوافعه و تجاربه السابقة و بين مقتضيات الموقف الراهن .

* * *

النظرية النفسية في الإسلام

الفصل الثاني

تتميز النظرية النفسية في الإسلام بخصائص متعددة ، نذكر منها :

١- **نظرية قديمة** : فهي أول نظرية في تاريخ العلوم النفسية ، فقد ظهرت هذه النظرية قبل أربعة عشر قرنا من الزمن ، يوم لم يكن هناك علم للنفس على وجه الأرض ، فهي تحظى بشرف البداية والأولوية .

٢- **نظرية سديدة** : إن نظريات علم النفس الحديث وحقائقه ، وضعها بشر يخطئون ويصيبون ، أما النظرية النفسية في الإسلام فقد وضعها رب الكمال الذي لا يخطئ ، فهي تحظى بشرف المثالية .

٣- **نظرية أصيلة** : هذه النظرية ليست جديدة علينا ، فجميع الحقائق العلمية التي تبهرنا بها مدارس علم النفس الحديث ، ويصعقنا بها أساطين علم النفس في أوروبا وأمريكا ، كان قد عرضها الإسلام من مكة المكرمة والمدينة المنورة ، فهي ركيزة أساسية في تراثنا الديني .

٤- **نظرية واضحة** : فهي نظرية بسيطة واضحة ومفهومة ، يفهمها أي إنسان يلم بمبادئ القراءة والكتابة ، فهي لا تتطلب مستوى علميا معينا أو درجة ثقافية محددة ، فهي في متناول جميع الناس في كافة العصور .

٥- **نظرية شاملة** : فجميع النظريات الحديثة في علم النفس تبحث في نفسية الإنسان منذ ولادته حتى وفاته فقط ، فهي نظريات محدودة مبتورة .

أما الإسلام فقد درس نفسية الإنسان من الأزل إلى الأبد ، بحث في الإنسان قبل أن يولد ، ودرسه أثناء وجوده في الحياة الدنيا ، وعرض حياته في الآخرة بعد أن يموت ، فهذا الشمول يسبغ عليها دقة في الواقعية .

٦- **نظرية متكاملة** : فقد اهتم علم النفس الحديث بدراسة شخصية الإنسان ومعالم نفسيته من خلال قطبين رئيسيين فقط وهما (الوراثة والبيئة) .

أما الإسلام فبالإضافة إلى ذلك فقد ربط الإنسان بخالقه وأبويه وأهله وجيرانه ، رغبه في النعيم وخوفه من العذاب ، ربطه بالملائكة والجن والشياطين ، دعاه لإعمال العقل والتفكير ثم وضع بين يديه دستورا كاملا ، ومعينا لا ينضب من التوجيه الرباني الكامل وهو : القرآن الكريم .

٧- **نظرية ناجحة** : فهي تُعتبر من أفضل النظريات النفسية نجاحا في العالم ، حيث لم يعرف علم النفس بجميع أنواعه ومستوياته نظريه كالنظرية النفسية الإسلامية استطاعت رسم التخطيط السليم لإعداد نفسية العرب ، فجعلت منهم خير أمة أخرجت للناس ، فتحت الدنيا وأضاءت على العالم نورا وهاجا يوم كان الغرب يغط في نوم عميق .

٨- **نظرية فريدة** : قد يتصور القارئ أننا سنعرض تقسيمات المنهج النفسي كما وضعه

علماء النفس المعاصرون ، ثم نلبسه بعد ذلك اللباس الإسلامي ، فذلك مخالف لمنهجية البحث العلمي و مخالف لجوهر الإسلام وقدسيته .

إن للإسلام منهجا خاصا به ، يختلف عن غيره من الدراسات النفسية المعاصرة اختلافا جوهريا وأساسيا ، وإنا لنربأ بالإسلام عن مثل هذا النفاق العلمي.

وبعد ....

فقد كانت هذه المميزات من الأسباب الرئيسة التي دفعتنا لتأليف هذا الكتاب فما النظرية النفسية الإسلامية ؟

* * *

الألوهية

هناك خطأ وقعت فيه كل المدارس الغربية بلا استثناء ، هو دراسة الحياة الإنسانية والنفس الإنسانية والشخصية الإنسانية بمعزل عن الله الذي خلقها وأبدعها .. ولهذا الخطأ قصة فالحياة اليونانية القديمة التي يقدسها الغرب ويستمد منها مفاهيمه منذ عصر النهضة ، كانت حياة وثنية ، ذات طابع خاص يصور العلاقة بين البشر والآلهة علاقة خصام دائم وصراع لا ينتهي ، وربما كان صراعا وحشيا في بعض الأحيان .

وهذا الإغفال المتعمد يحدث تشويها في الصورة المرسومة للإنسان .

فتارة يبدو الإنسان كأنه يعيش وحده في هذا الكون ، وكأنه إله ، وليس هذا حقيقة علمية .

وتارة يبدو عبدا لتلك الآلهة المزعومة .. وهي آلهة الاقتصاد والاجتماع والمادة ، وفي ذلك احتقار بقيمته الحقيقية واستهانة بطبيعته الإنسانية .

وتارة يبدو كالآلة ، تحركه الأفعال المنعكسة أو الآلية الجسدية ، وفي ذلك تشويه لحقيقة الكيان الداخلي للإنسان .

أما الإسلام فقد جاء بأسمى عقيدة في الإله الواحد الأحد ، صححت فكرة الفلسفة النظرية ، كما صححت فكرة العقائد الدينية ، فكان هذا التصحيح أعظم المعجزات التي أثبتت له في حكم العقل المنصف والبديهة الصادقة أنه وحي من عند الله [1] .

مفاهيم إلهية

الإيمان بالله منبع كل طمأنينة نفسية ، حيث يعتقد المسلم أن هناك إلها واحدا عظيما جبارا ، يهيمن على كل شيء ، هو كل شيء،وبيده كل شيء ، هو قبل كل شيء ، وبعد كل شيء . يتصف بجميع صفات الكمال والعظمة والتقديس .

١- كل شيء لله تعالى ، قال صلى الله عليه وسلم : « أفضل الأعمال أن تحب لله ، وتبغض لله ، وتعمل لسانك في ذكر الله عز وجل » أخرجه الطبراني.

وذكر عن أبي مطيع البلخي رحمه الله تعالى أنه قال لحاتم الأصم [2] رحمه الله تعالى : (بلغني أنك تجاوز المفاوز بالتوكل بغير زاد . قال : بل أجاوزها بالزاد . قال : وما زادك ؟ قال زادي أربعة أشياء . قال : وما هي؟ قال : أرى الدنيا بحذافيرها مملكة لله . وأرى الخلق كلهم عيال الله . وأرى الأسباب والأرزاق كلها بيد الله . وأرى قضاء الله نافذا في جميع خلق الله . قال أبو مطيع : نعم الزاد زادك يا حاتم ، وإنك لتجاوز بها مفاوز الآخرة فكيف مفاوز الدنيا)

٢- نشعر بأن الله معنا باستمرار في كافة الأمكنة وفي كافة الأزمان (ما يَكونُ مِنْ نَجْوى

(١)- موسوعة العقائد الإسلامية ، المجلد الخامس ، كتاب حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ٤٦ .

(٢)- حاتم الأصم (توفي ٢٣٦ هـ/ ٨٥١ م) من بلخ ، زاهد ورع متقشف ، شهد بعض الفتوح .

ثَلاثَةٍ إلاّ هُو رابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إلاّ هُوَ سادِسُهُمْ وَلا أَدْنى مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إلاّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ ما كانوا) { المجادلة * ٧ } .

الله قريب منا ، وهو قرب الملاصقة والتداخل ، فالله في أعماقنا ، استمع إلى رب العزة وهو يصور قربه منا (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ) { ق * ١٦ } .

والعوام بفطرتهم يظنون أن الله يسكن في السماء ونحن نسكن في الأرض ، ولذا فإنهم عندما يدعون ربهم يفتحون أيديهم ، ويشخصون بأبصارهم إلى الله في السماء . وهو ليس إلا من قبيل التعظيم والتمجيد والإجلال .

٣- إننا نشعر بحاجتنا إلى الله تعالى ، وهذه الحاجة مستمرة ، فنحن الفقراء وهو الغني الحميد ، نحن الضعفاء وهو القوي الجبار (يا أَيُّها النّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَراءُ إِلى اللّهِ وَاللّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) { فاطر * ١٥ }

٤- نشعر بنعم الله تعالى ، وهي نعم كثيرة حبانا بها الله ، وهي لا تُعد ولا تُحصى (وَإِنْ تَعُدّوا نِعْمَةَ اللّهِ لا تُحْصُوها) { النحل * ١٨ } .

٥- يدرك المؤمن جمال الله ، ويستشعر لطفه وإحسانه ، ويعرف أنه المنعم عليه ، ويتأثر بهذا الإدراك فيحبه ، ويصبح قلبه مشغولا به ، وعمله موجها إليه ، ولذته وارتياحه في طاعته وعدم مخالفة أمره ، يتحمل راضيا مغتبطا قرير العين مطمئن القلب : (فَسَوْفَ يَأْتي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ) { المائدة * ٥٤ } .

٦- جاءت الأديان تسعى لغرس الخشية من الله في نفوس الأفراد ، مبيّنة ما يؤدي إليه غضب الله من العقاب الدنيوي والأخروي .

ولولا خشية الله لا سترسل الإنسان في شروره . وانكب على شهواته ، وأصبح عنصرا هداما في الحياة الاجتماعية ، أما (الّذينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبيرٌ) {الملك * ١٢ }

أسماء الله الحسنى

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « إن لله تسعة وتسعين اسما من أسماء الله الحسنى ، من أحصاها دخل الجنة ... » ثم ذكر أسماءها . رواه الترمذي وابن حبان [٣] والحاكم .

وردت هذه الأسماء في الحديث السابق ، وهي :

هو الله الذي لا إله إلا هو : الله اسم الذات الواجب الوجود والمعبود مطلقا ، قال الجرجاني : (الله علم على الإله الحق ، دلالة جامعة لمعاني الأسماء الحسنى) ،وقالوا : (الهاء في الله ضمير يشير إلى هو ، وينادى : يا هو . واللام للملك . والألف واللام للتعريف

(٣)- محمد بن حبان (٢٧١ - ٣٥٣ هـ/ ٨٨٥ - ٩٦٥ م) علامة مؤرخ ، وجغرافي ومحدث ، تولى قضاء سمرقند ، ألف كتبا كثيرة منها (المسند الصحيح ، الصحابة ..) .

والتعظيم) . وقد تكرر ورود اسم الله تعالى في القرآن الكريم ٢٨٥٣ مرة .
١- الرحمن - ٢- الرحيم : وهما اسمان مشتقان من الرحمة ، لكن الرحمن من الأسماء الحسنى التي اختصت به تعالى . فهو رحمن الآخرة ورحيم الدنيا . وقد ربط القرآن الكريم بين رحمة الله والصفات الأخرى (الرَّحْمنُ الرّحيم) (غَفورٌ رَحيمٌ) (توّابٌ رحيمٌ) (رَؤوفٌ رحيمٌ) .
٣- الملك : صاحب الملك ، وقد ورد هذا الاسم في سورة الفاتحة بشكلين (مالك يوم الدين) أو (مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ) { الفاتحة * ٤ }
٤- القدوس : وهو المطهّر ، والمنزه عن سمات النقص والحدوث ، والمبّرأ عن أن يدركه حسّ ، أو يتصوره خيال ، أو يحيط به عقل .
٥- السلام : البعيد عن كل نقص ، أو أية آفة في ذاته وصفاته وأفعاله ، أو أنه يمنح السلامة والأمن لغيره .
٦- المؤمن : هو الذي دعم رسله فخلق لهم المعجزات تأييدا لرسالتهم .
٧- المهيمن : يراقب مخلوقاته ، ويشرف عليهم بدقة ، فلا يخفى عليه شيء من أمورهم .
٨- العزيز : الغالب والقوي الشديد وعديم المثال . وقد ربط القرآن الكريم بين عزة الله والصفات الأخرى : (عَزيزٌ حكيمٌ) (عَزيزٌ ذو انْتِقام) (العَزيزَ الْحَميدُ)
٩- الجبار : المتعالي عن أن يناله كيد كائد .
١٠- المتكبر : يرى غيره بالنسبة إليه كما يرى المالك عبيده .
١١- الخالق : الموجد للمخلوقات من غير أصل ، وعلى غير مثال .
١٢- البارئ : الموجد للمخلوقات من أصل ، كبرء المريض من مرضه ، والمدين من دينه .
١٣- المصور : هو الذي جعل لكل شيء صورة تميزه عن غيره .
١٤- الغفار: الكثير المغفرة ، والساتر لذنوب عباده ، وهو صيغة مبالغة لاسم الفاعل (غافر)
١٥- القهار : كل مخلوق في قبضته ، ومسخّر لقضائه ، ومقهور بقدرته .
١٦- الوهاب : كثير النعم ودائم العطاء والهبات .
١٧- الرزاق : خالق الأرزاق ، وموجد أسبابها ، ومفيضها على عباده ، والرزاق صيغة مبالغة لاسم الفاعل (الرازق) .
١٨- الفتاح : يفتح خزائن رحمته لعباده ، ويفتح مغاليق الخير .
١٩- العليم : يعلم ما كان في الماضي ، وما يكون في الحاضر،وما سيكون في المستقبل، أولا وآخرا ، ظاهرا وباطنا .
٢٠- القابض : يضيّق الرزق على من يشاء من عباده ، أو يقبض الأرواح .
٢١- الباسط : يوسّع الرزق على من يشاء من عباده ، أو ينفث الأرواح في الأجساد .

٢٢- الخافض : يخفض قدر الكافرين والفجار بالخزي والذل وعذاب النار .
٢٣- الرافع : يرفع قدر الأبرار ،و يعلي مراتبهم في دار السلام .
٢٤- المعز : يعز من يشاء بتوفيقه للفعل الجيد .
٢٥- المذل : يذل من يشاء فيوجهه للفعل القبيح .
٢٦- السميع : يسمع بدون حاسة كل صوت مهما انخفضت طبقته وموجته .
٢٧- البصير : يرى دقائق الأشياء دون مجهر ، ويرى ما بعد منها دون منظار ، يرى الأشياء المادية والمعنوية ، الظاهرة والباطنة ، ورؤيته رؤية العين ورؤية البصيرة .
٢٨- الحَكَم : الحاكم العادل الذي لا مرد لقضائه ، ولا معقّب لحكمه .
٢٩- العدل : العادل المثالي في عدله .
٣٠- اللطيف : العالم بخفايا الأمور ودقائقها ، ولطف الله رفقه بعباده ، بتقريبهم إلى الطاعة وإبعادهم عن المعصية ، وقد ربط القرآن الكريم بين لطف الله وخبرته (لَطيفٌ خبيرٌ) .
٣١- الخبير : الخبير هو العليم ببواطن الأشياء ، وقد ربط القرآن الكريم بين الخبرة وغيرها من الصفات (حكيمٌ خَبيرٌ)،(لَطيفٌ خبيرٌ)،(خَبيرٌ بَصيرٌ) .
٣٢- الحليم : لا يستفزه غضب ، ويتنزّه عن العجلة والتسرع ، وقد ربط القرآن الكريم بين الحلم وغيره من الصفات (غَفورٌ حليمٌ)،(عليمٌ حليمٌ) .
٣٣- العظيم : من بلغ أقصى مراتب العظمة فلا يتصوره عقل ، ولا تحيط بكنهه بصيرة ، يتنزّه عن إحاطة العقول بكنه ذاته .
٣٤- الغفور : وردت مغفرة الله في القرآن الكريم بثلاث نماذج (غَافِرُ)،(غَفورُ)،(غفّارُ). وقد ربط القرآن الكريم بين الغفور والصفات الأخرى (غَفورٌ رَحيمٌ)،(غَفورٌ حليمٌ)،(الغفورُ الودود)،(عَفوٌّ غفورٌ) .
٣٥- الشكور : هو الذي يعطي الثواب الجزيل عن العمل القليل .
٣٦- العلي : من كان كل شيء لا يصل إلى رتبته ومستواه .
٣٧- الكبير : هو الكامل في الذات .
٣٨- الحفيظ : يحفظ الأشياء من الزوال ، ويحفظ أعمال العباد حتى يجزيهم عليها في الآخرة .
٣٩- المقيت : خالق الأقوات .
٤٠- الحسيب : هو الكافي لعباده ، أو هو الذي يحاسب الناس يوم القيامة .
٤١- الجليل : الكامل في الصفات .
٤٢- الكريم : يعطي من غير سؤال ، ودون مقابل ودون حساب .

٤٣- الرقيب : الحارس والمحاذر .
٤٤- المجيب : يجيب دعوة الداعي إذا دعاه
٤٥- الواسع : المحيط بكل شيء علما ، أو الذي عَمت رحمته كل مؤمن وكافر وكل بَر وفاجر ، أو من لا نهاية لبرهانه ولا غاية لسلطانه ، ولا حد لمقدرته . وقد ربط القرآن الكريم بين السعة والصفات الأخرى (واسعاًحكيماً)،(واسِعٌ عليمٌ)
٤٦- الحكيم : هو الكامل في العلم وحسن الفعل وإتقانه . وقد ربط القرآن الكريم بين حكمة الله والصفات الأخرى فقال (عَليم حكيمٌ)،(واسِعاًحكيما)،(عزيزٌ حكيمٌ) .
٤٧- الودود : يحب الخير لكافة الناس ويحسن إليهم في جميع الأحوال . وقد ربط القرآن الكريم بين الوداد والمغفرة (الغفورُ الوَدودُ) .
٤٨- المجيد : المجد هو العز والرفعة . وقد ربط القرآن بين المجيد والحميد (حميد مجيد)
٤٩- الباعث : باعث الرسل للأمم ، وباعث الهمم للترقي ، وباعث الأموات من قبورهم .
٥٠- الشهيد : يشهد على خلقه يوم القيامة .
٥١- الحق : الثابت الذي لا يتحول ، أو الذي يُظهر الحق ، أو خالق الأشياء كما تقتضيه الحكمة .
٥٢- الوكيل: هو الموكول إليه تدبير الخلائق .
٥٣- القوي : الشديد المتين ، وقد ربط القرآن بين القوة وغيرها من الصفات ، فقال (قوي عزيز) (قوي شديد العقاب) .
٥٤- المتين : القوي الذي لا تلحقه في أفعاله مشقة ولا كلفة .
٥٥- الولي : الذي يتولى أمر مخلوقاته .
٥٦- الحميد : المحمود المستحق لكل ثناء . وقد ربط القرآن الكريم بين الحمد وغيره من الصفات فقال (غني حميد)،(حميد مجيد)،(العزيز الحميد) .
٥٧- المحصي :يحصي بعلمه كل شيء .
٥٨- المبدئ:يبدأ الخلق من العدم .
٥٩- المعيد : الحاذق والمجرب للأمور والعالم بها .
٦٠- المحيي : ينفث الروح في الجسد ، أو يعيد الحياة إلى الميت .
٦١- المميت : يسلب الحياة من الكائن الحي .
٦٢- الحي : ذو الحياة الدائمة الأبدية . وقد ربط القرآن الكريم بين الحياة وغيرها (الحي القيوم)
٦٣- القيوم : القائم بنفسه والمقيم لغيره ، والموجود بذاته ومن ذاته (لم يلد ولم يولد)

{الإخلاص * ٣ } .
٦٤- الواجد : يجد كل ما أراده فلا يعوز ه شيء .
٦٥- الماجد : حسن الخُلق ، وذو العز والرفعة .
٦٦- الواحد:لا ينقسم بحال ، فهو واحد بذاته وصفاته وأفعاله .
وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد .
٦٧- الأحد : الأحد أول العدد ، فهو بداية كل شيء .
٦٨- الصمد : من يلتجيء إليه الناس في الشدائد .
٦٩- القادر : القادر والقدير ، صاحب القدرة .
٧٠- المقتدر : نبعت قدرته من ذاته .
٧١- المقَدم : يحتل مكانة الصدر والأولوية .
٧٢- المؤخِّر : يؤخر مرتبة بعض عبيده .
٧٣- الأول : القديم السابق على كل شيء ، فهو أول بلا بداية .
٧٤- الآخر : الباقي وحده بعد فناء كل شيء ، فهو آخر بلانهاية .
٧٥- الظاهر : هو الذي لم يسبق ظهوره خفاء ، ولم يسبق وجوده عدم .
٧٦- الباطن : الخفي عن الأبصار ، فلا تستطيع العيون أن تراه .
٧٧- الوالي : تولى كل شيء وملكه .
٧٨- المتعالي : ارتفع بقيمته عن كل نقص .
٧٩- البر : المحسن العظيم .
٨٠- التواب : وجَه المذنبين للتوبة ، وقبلها منهم ، وقد جمع القرآن الكريم بين التوبة والرحمة (تواب رحيم) .
٨١- المنتقم : يعاقب من عصى وكفر، وقد جمع القرآن بين العزة والانتقام (عزيز ذو انتقام)
٨٢- العفو : يصفح عن المذنبين ويمحو ذنوبهم . وقد ربط القرآن بين العفو والمغفرة والقدرة (عفو غفور)،(عَفْوا قديرا) .
٨٣- الرؤوف : يرحم أشد الرحمة . وقد ربط القرآن الرأفة بالرحمة (رؤوف رحيمُ)
٨٤- مالك الملك : صاحب الملك الأوسع (المُلكُ يَومئِذ لِلهِ) { الحج * ٥٦ } .
٨٥- ذو الجلال والإكرام : ذو الجلال أي صاحب الهيبة ، وذو الإكرام من صان نفسه ونزهها .
٨٦- المقسط : العادل الذي ينصف المظلومين ويكسر شوكة الظالمين .
٨٧- الجامع : يؤلف شتات حقائق مختلفة ، أو يجمع الناس يوم القيامة .
٨٨- الغني : المكتفي الذي لا يحتاج غيره .

٨٩- المغني : يغني عباده من رزقه .
٩٠- المانع : يحمي عباده عن الضيم ، أو يمنع عنهم الأذى .
٩١- الضار : يعاقب المنحرفين .
٩٢- النافع : يوصل النفع إلى من يشاء من خلقه .
٩٣- النور : الظاهر بنفسه والمظهر لغيره .
٩٤- الهادي : المرشد للهداية .
٩٥- البديع : المبدع الذي يأتي بما لم يُسبَق إليه .
٩٦- الباقي : الدائم والثابت .
٩٧- الوارث : مادامت جميع المخلوقات ستنتهي إلى الموت ، فالله يرث الأرض وما عليها.
٩٨- الرشيد : المرشد والموجه لعباده .
٩٩- الصبور : المتجلد . لا يشكو من ألم البلوى . وهو صيغة مبالغة لاسم الفاعل (صابر)

صفات الله تعالى

إن أسماء الله الحسنى التي ذكرناها ليست إلا دلائل على صفاته سبحانه وتعالى ، وكل اسم من أسماء الله تعالى تتفرع منه صفات كثيرة متعددة ، وهي تمثل كافة الاتجاهات والمناحي إضافة لما وصف به الله تعالى نفسه مثل : (رَبّ العرشِ العظيم)،(علاّم الغيوبِ)،(ربّ المشرقِ والمغْرب)،(رَبُّ المَشْرِقَيْنِ وَالمَغْرِبَيْنِ)،(رَبّ المَشارِقِ وَالمَغارب)،(رَبّ السّمواتِ وَالأرْض)، (ذو الفَضْلِ العَظيم)،(سَريعُ الحِساب) ...

وهكذا ... فصفاته سبحانه وتعالى أكثر من أن يحصرها عد ، أو يحيط بها إحصاء . نذكر منها .

حياته :

الله مصدر الحياة ، فهو خالقها ومنظّمها وواهبها ، وهو الحي القيوم .

حياته خالدة كاملة : لا تتعرض لنعاس أو نوم (لا تَأخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَومٌ) { البقرة * ٢٥٥ } ، ولا تتعرض حياته لمرض أو ضعف ، ولا ينهيها موت أو فناء .

حياته مستمرة لا نهائية ، فهو الأول بلا بداية والآخر بلا نهاية (هُوَ الأوّلُ وَالآخِرُ وَالظّاهِرُ وَالْباطِنُ) { الحديد* ٣ } ، وحياته منزّهة عن الزوجة والولد (أنّى يكونُ لَهُ وَلدٌ ولمْ تكُنْ لَهُ صاحِبَةٌ) { الأنعام * ١٠١ }. ، حياته خالدة مثالية ، لا توصف ولا تقارن بالحياة عند غيره .

قدرته

الله قادر بأعلى حدود القدرة ودرجاتها ومستوياتها .

الله قادر في كل زمان ، وفي كل مكان ، وفي كل مناسبة .
الله قادر على كل شيء مهما كان شأنه (وَهُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قديرٌ) { الملك * ١ }
الله قادر ، وكل قدرة نشأت من قدرته ، وارتبطت به ، واعتمدت عليه (لا قُوَّةَ إلاّ باللّهِ) {الكهف * ٣٩ }
الله قادر على أن يخلق الشيء من لا شيء ، ويوجد الشيء على غير مثال سَبق إليه .

علمه

علمه محيط بالماضي والحاضر والمستقبل ، بالأزل والأبد ، بالجماد والنبات،بالحيوان والإنسان ، بالسماء والأرض ، بالملائكة والجن والشياطين ، بالدنيا والآخرة .
علمه يرتبط بصفاته الأخرى (عَليمٌ حَليمٌ)،(عَليمٌ حكيمٌ)،(عَليمٌ خَبيرٌ)،(عَليمٌ قَديرٌ)، (سَميعٌ عَليمٌ)،(واسِعٌ عَليمٌ) .
علمه يشمل السر وماهو أخفى من السر (يَعلَمُ السِّرَ وَأخفى) {طه * ٧ } ، كيف لا (وَعِنْدَهُ مَفاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُها إلاّ هُوَ) { الأنعام * ٥٩ } .
علمه واسع (إنَّ اللّهَ لا يَخْفى عَلَيهِ شَيءٌ في الأرْضِ وَلا في السَّماءِ) { آل عمران * ٥ }
علمه دقيق (وما يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقالِ ذَرَّةٍ في الأرْضِ وَلا في السَّماءِ) { يونس * ٦١ }.
علمه كامل ، لم يسبقه جهل ، ولا يعدو عليه نسيان .

مشيئته

تتمثل هذه المشيئة في الهداية والضلال (مَنْ يَهْدِ اللّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُرْشِداً) { الكهف * ١٧ } .
كما تتمثل في المغفرة والعذاب (يَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ) { الفتح * ١٤ } .
هنا يتساءل الفلاسفة ، فقالوا :

إذا كان الله تعالى هو الذي يهدينا لطريق الخير فهل نستحق المكافأة ؟ وإذا كان هو الذي يضلنا ويوجهنا لطريق الشر فكيف يحاسبنا على شيء وجّهنا إليه ؟ وهل نستحق بذلك العقاب ؟ وإذا كان الله يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ، ألا يتعارض ذلك مع عدله المطلق ؟ أليس في ذلك خروج عن النواميس المطلقة التي قررها ؟
والجواب : يتحدد في أمرين :
١- إن الله تعالى يقوم بكل ذلك لحكمة لا نعلمها ، حكمة تعلو على مستوى أفهامنا وعقولنا وإدراكنا ، حكمة لا تصل إليها مداركنا الأرضية مهما سمت وتعالت .
٢- إن الله يغفر لمن يشاء من عبيده الذين يرغبون في المغفرة فيسلكون طريقها . ويعذب من يشاء من عبيده الذين لا يرغبون في الهداية ، ويسلكون طريق الضلال .

لا يجمع المتناقضات :

وصف الله تعالى نفسه بصفات قد تبدو للوهلة الأولى أنها متناقضة مع بعضها ، مثل (اعْلَموا أنّ اللهَ شَديدُ العقاب وأنّ اللّهَ غَفورٌ رَحيمٌ) { المائدة * ٩٨ } ، وقوله : (وَأنّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأبْكَى * وَأنّهُ هُوَ أَماتَ وأحْيا) { النجم * ٤٣- ٤٤ } .

ولكن ذلك لا يعني بأي حال أنه يجمع المتناقضات في نفسه ، فلكل صفة حالات تنطبق عليها ، ولا تنطبق على غيرها ، توجد في وقت ولا توجد في وقت آخر ، تخص شيئا معينا ولا تخص غيره ، فالله سبحانه وتعالى تنّزه عن التناقض .

ليس كمثله شيء

قالو : الكمال لله وحده ، والذات الإلهية تخالف غيرها من المحدثات والمخلوقات ، فالله يسمع ولكنه لا يسمع بأذن كآذاننا ، فهو متفرد ويختلف عن غيره (لَيْس كَمثْلِهِ شَيْءٌ) {الشورى * ١١ } . وقد فسّر الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الآية بقوله : « كل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك » ،، وقد نهانا الرسول صلى الله عليه وسلم أن نتفكر في ذات الله تعالى ، فقال « تفكّروا في آلاء الله ، ولا تفكّروا في ذات الله » رواه الطبراني .

الخلق

إن أعظم الصفات الإلهية التي يتصف بها الله عز وجل هي صفة الخلق ، وإذا شئنا التحديد العلمي قلنا إن جميع الصفات الإلهية تتبلور في صفة واحدة ، هي أنه خالق كل شيء.
وصفة الخلق هي التي أعطته سمة الألوهية والربوبية ، فقد جاء في الحديث القدسي : « كنت نسيا منسيا ، فأردت أن أُعرف ، فخلقت الخلق ، فبي عرفوني » .

خَلق الأرض

تكرر لفظ الأرض في القرآن الكريم ٤٦١ مرة ، وذلك لأهميتها وعظمتها وارتباطها الأساسي بالإنسان .

وهنا نتساءل : كم استغرق خلق الإنسان من الوقت ؟

يجيب القرآن الكريم ، فيقول (خَلَقَ السّموات وَالأرْضَ في سِتّة أيّام) { الأعراف * ٥٤ } أما خلق الأرض وحدها فقد استغرق يومين (قُلْ أئِنّكُمْ لَتكْفُرونَ بِالّذي خَلَقَ الأرْضَ في يَوْمَيْن) { فصلت * ٩ } .

واليوم عند الله يعادل ألف سنة في حسابنا الأرضي : (وَإِنّ يَوْماً عِنْدَ رَبّكَ كَألْفِ سَنَة مِمّا تَعُدّونَ) { الحج * ٤٧ } .

كذلك نتساءل : كيف خلق الله الأرض ؟

إن هذه العملية من الخلق أبقاها الله تعالى سرا من أسرار الألوهية (ما أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) { الكهف * ٥١ } .
والله تعالى يلخص عملية الخلق بأمر واستجابة فقط ، فيقول : (وَإِذا قَضى أَمْراً فَإِنَّما يَقولُ لَهُ كُنْ فَيكونُ) { البقرة * ١١٧ } .

مادة الخلق

بيّن الله تعالى أن عملية الخلق تقوم على تحويل شيء إلى شيء أو مادة إلى مخلوق ، فمن أي شيء خلق الحيوان والجن والملائكة والإنسان ؟

١- عندما تحدّث الله تعالى عن الحيوان بيّن أنه خلقه من الماء (وَاللّهُ خَلَقَ كُلَّ دابَّةٍ مِنْ ماءٍ) { النور * ٤٥ } .

٢- أما الجن فقد خلقهم من النار : (وَخلقَ الجانَّ مِنْ مارجٍ مِنْ نارٍ) { الرحمن * ١٥ } .

٣- أما الملائكة فلم يتعرض القرآن الكريم لخلقهم . غير أنه ورد عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « خُلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من مارج النار » راوه مسلم والإمام أحمد .

٤- وعند ما تحدث عن خلق الإنسان بيّن أنه خلقه من التراب : (خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ صَلْصالٍ كَالْفَخّارِ) { الرحمن * ١٤ } .

وعند ما يرتفع مستوى الخلق يصل إلى مستوى الإبداع : فالخلق هو إيجاد شيء من شيء ، أما الإبداع فهو إيجاد شيء من لا شيء ، لذلك قال : (بَديع السَّمواتِ والْأَرْضِ) {البقرة * ١١٧ }

مبادئ الخلق

وهي تشمل ثلاثة مبادئ : (التخطيط ، التداخل ، الزوجية) :

١- **مبدأ التخطيط** : لم يخلق الله تعالى أي شيء عبثاً أو لهوا ، وإنما كان خلقه بتخطيط مسبق : (وَما خَلَقْنا السَّماءَ والأَرْضَ وَما بَيْنَهُما لاعِبينَ) { الأنبياء * ١٦ } .
وقد جاء هذا الخلق بالحق (خَلق اللّهُ السّمواتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقّ) { العنكبوت * ٤٤ } .
وقد جاء خلق كل شيء بقدر ونظام محكم (إنّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْناه بِقَدَر) { القمر * ٤٩ }.

٢- **مبدأ التداخل** : إن عملية خلق الأشياء والكائنات الحية ليست منفصلة عن بعضها بل نجد بينها تداخلا ، من ذلك مثلا (يَعْلَمُ ما يَلِجُ في الْأَرْضِ وَما يَخْرُجُ مِنْها) { سبأ * ٢ } وقوله : (يُغْشي اللَّيْلَ النَّهارَ) { الأعراف * ٥٤ } وقوله : (يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ) { الروم * ١٩ }

٣- **مبدأ الزوجية** : وهو مبدأ أساسي في كيان كافة المخلوقات :
ففي المملكة النباتية يقول (أَوَلَمْ يَرَوا إِلى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبتنا فيها مِنْ كُلِّ زوجٍ كريمٍ) { الشعراء

* ٧ } ، ويقول في الإنسان والحيوان :(جَعَلَ لكُمْ مِنْ أنفُسِكُمْ أزْواجاً وَمِنَ الأنْعامِ أزْواجا) { الشورى * ١١ }.

ولا تقتصر الزوجية على الكائنات الحية ، بل تشمل كل شيء (وَمِنْ كُلِّ شَيءٍ خَلَقْنا زَوْجَيْن) { الذاريات * ٤٩ } ، فالكهرباء تتضمن السالب والموجب ، واليوم يتضمن الليل والنهار .

وهناك أشياء كثيرة تتضمن الزوجية : كالنور والظلام ، الخير والشر ، الحياة والموت ، الدنيا والآخرة . إلخ ....

لماذا نؤمن بالله

موقفنا من الله تعالى

١- الرجوع إلى الله كلما عصفت بنا مشكلة : ولهذا دلنا الإسلام على أنواع الصلوات نقيمها استعانة بالله على ما أصابنا من مكروه ، مثل : (صلاة الاستسقاء ، صلاة الخوف ، صلاة الاستخارة ، صلاة الحاجة ، صلاة التوبة . إلخ ....) .

٢- التوكل على الله : حيث يترك المؤمنون الأمر إلى الله ، ويرضون بمشيئته ، ويطمئنون لعدله ورحمته : (وَعَلى اللهِ فَتَوَكَّلوا إنْ كُنتُمْ مُؤْمِنينَ) { المائدة * ٢٣ } ، والتوكل على الله زاد روحي للتغلب على الخوف والقلق . والتوكل يختلف عن التواكل : فالتوكل على الله هو تسليم الأمر لله وتفويضه إليه ، واكتفاؤه به مع الأخذ بالأسباب ، أما التواكل فهو الاعتماد على الله دون الأخذ بالاسباب .

٣- الإخلاص لله : أن يأتي الإنسان بأعمال نقية لا يشوبها رياء ، قاصدا بذلك وجه الله ورضاه ، فالاهواء النفسية والغايات الشخصية يحاربها الإسلام ليَحلّ محلها الإخلاص لله (فَاعْبُدِاللهَ مُخْلِصاً لهُ الدّينَ) { الزمر * ٢ } .

والأعمال الخالصة لله وحده لابد لها من سابق نية « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى » رواه البخاري ومسلم . فالنيّة الطيبة عنصر أساسي من عناصر التربية الخلقية .

٤- إطاعة الله : وهي تقوم على تنفيذ ما أمرنا به ، والابتعاد عن كل ما نهانا عنه (قُلْ أطيعوا اللّهَ وَالرّسولَ) { آل عمران * ٣٢ } .

وهذه الإطاعة تامة وشاملة ، وتتطلب منا دائما (الحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ العالَمِينَ){ الفاتحة * ٢ }

٥- عبادة الله : وهي الهدف الذي خلقنا الله من أجله : (وَما خلَقْتُ الجِنَّ وَالإنْسَ إلاّ لِيَعْبُدونِ) { الذرايات * ٥٦ } .

٦- ذكر الله : إن انشغال الفكر بالهموم المادية والمعنوية ، وتشتت العقل تحت تاثير القلق على المستقبل يعصف بالإنسان .

إن ذكر الله يلقي على المؤمن طمأنينة وقوة ، تتضاءل أمامها هموم الحياة بحيث تصبح

تافهة .
إن ذكر الله يَمد النفس بالسكينة والطمأنينة (الَّذِينَ آمَنوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكرِ اللَّهِ أَلا بذكرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ القُلوبُ) { الرعد * ٢٨ } .
إن ذكر الله وسيلة للتقرب إليه ، وإن الذاكرين مجزيون بمحبته ورحمته (فاذْكُروني أذْكُرْكُمْ) { البقرة * ١٥٢ } .إن ذكر الله يؤثر في تربية النفس ، فالذي يذكر ربه ويتصور عظمته يخشع قلبه ، فلا يصدر عنه إلا الخير ، لأنه يعلم أن الله مطلّع على سلوكه وتصرفاته (ألمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنوا أَنْ تَخْشَعَ قُلوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ) { الحديد * ١٦ }
٧- الشكر لله : وهو من مستلزمات العبادة وضروراتها (وَاشْكُروا للّهِ إن كُنتُمْ إيّاهُ تَعْبُدونَ) { البقرة * ١٧٢ } .
وقد عرّف العلماء الشكر لله بأنه : (ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده ثناء واعترافا وعلى قلبه شهودا ومحبة ، وعلى جوارحه انقيادا وطاعة) .
وقد بيّن الله تعالى أنه يزيد النعم للشاكرين (لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ) { ابراهيم * ٧ } وقال مطرف بن الشخير [٤] : (لأن أعافى فأشكر ، أحب إلي من أبتلى فأصبر) .
٨- الدعاء : وهو صلة تربط الإنسان بخالقه ، والدعاء فطري في الإنسان ، حيث يشعر بحنين إلى خالقه ، يفزع إليه عند الشدائد ، فيستجيب الله دعاءه (وَقالَ رَبُّكُم ادْعوني أَسْتَجِبْ لَكُمْ) { غافر * ٦٠ } .
والدعاء علاج نفسي ، فالإنسان يحتاج في حل مشكلاته لأن يفضي بدخيلة نفسه إلى غيره ، فيخف حزنه وهمه ، لأن كتمان ما يشغله يزيد في مرضه .
والدعاء يكون في السراء والضراء وهو سمو روحي وترفّع عن الشهوات ومحو الخوف والوصول إلى راحة النفس .
وقال سيدنا علي بن الحسين [٥] رضي الله عنه : (ما صاحب البلاء الذي قد طال به ، أحق بالدعاء من المعافى الذي لا يأمن البلاء) .

أهداف الإيمان بالله

١- الإيمان بالله يحرر النفس الإنسانية من قيودها المادية ، فتتعالى النفس على الشهوات وتسمو على الماديات ، وتسعى لخير الناس ، ونعلم أن كل ما في الإنسان من خير ونبل وتضحية وإيثار وإنكار للذات إنما هو مستمد من الإيمان بالله .
٢- والإيمان بالله يقترن دائما بالعمل الصالح ، فقد كان القرآن الكريم يربط باستمرار وبكثرة

(٤)- مطرف بن الشخير القرشي العامري (توفي ٨٦ هـ/ ٧٠٦ م) ، زاهد من كبار التابعين ، له كلمات مأثورة في الحكمة ، ثقة في رواية الحديث ، أقام في البصرة وتوفي فيها .
(٥)-علي بن الحسين (توفي ٩٢ هـ/ ٧١٢ م) الملقب بزين العابدين ، رابع الأئمة الاثني عشر عند الإمامية ، حليم ورع ، مولده ووفاته في المدينة .

بين من آمن وعمل الصالحات (الَّذين آمَنوا وَعَمِلوا الصّالِحاتِ) [البقرة * ٢٥] .
هنا يقول الجرجاني : (من اعتقد وشهد وعمل ، فهو مؤمن غير شاك ولا مرتاب ، ومن اعتقد وشهد ولم يعمل فهو فاسق ، ومن شهد وعمل ولم يعتقد فهو منافق) .

٣- والإيمان بالله يحول بين المرء واقتراف المعاصي ، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولايشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن » رواه البخاري ومسلم .

٤- تربية الضمير : الضمير هو الوازع النفسي القوي الذي يكون للإنسان بمثابة مرشد لسلوكه في الحياة يبصره بعواقب أفعاله .

وإن أكبر مقومات الضمير الاعتقاد بإله قادر جبار يحاسب على الكبائر والصغائر ويطلّع على ما تكنه السرائر .

٥- والإيمان بالله راحة للنفس ، ففي ساعات اليأس يتذكر المؤمن أن هناك ملاذا يلجأ إليه وسندا يعتمد عليه ، وأن ربه قادر على معونته ، فليس هناك ما يدعو لليأس والجزع فتطمئن نفسه ، وتصغر أمامها الأهوال ، وتهون المصائب .

٦- والإيمان بالله محور أساسي في سعادتنا ، حيث يجعلنا نشعر بالاتصال بالله ، وأنه معنا على الدوام ، وأننا لسنا وحيدين أمام كوارث الحياة ، فالله يؤيدنا بمعونته ويدعمنا برحمته التي وسعت كل شيء .

* * *

الدستور الإسلامي - القرآن الكريم

ما القرآن ؟

القرآن موسوعة إسلامية شاملة ، وهو صلة الله بالإنسان والخالق بالمخلوق ، وهو دستور إسلامي كامل يتضمن كل ما يحتاجه الإنسان المسلم في حياته وآخرته : (وَلَقَدْ صَرَّفْنا لِلنَّاسِ في هذا القُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ) { الإسراء * ٨٩ }

أنزله الله تعالى على نبيه الأمي محمد صلى الله عليه وسلم بشكل واضح مبين (آلر تِلْكَ آياتُ الكِتابِ وَقُرآنٍ مُبينٍ) { الحجر * ١ } ، ليكون هداية للعالمين :(وَكَذلِكَ أَوْحينا إِلَيْكَ روحاً مِنْ أَمْرِنا ماكُنْتَ تَدْري ماالكِتابُ وَلا الإيمانُ وَلَكِنْ جَعَلْناهُ نوراً نَهْدي بِهِ مَنْ نَشاءُ مِنْ عِبادِنا) { الشورى * ٥٢ }

القرآن معجزة محمد

اقتضت حكمة الله تعالى أن تكون معجزة محمد صلى الله عليه وسلم من جنس ما اشتهر به العرب وتفوقوا فيه وهو النبوغ في فن القول والأدب .

وقد تمثلت بلاغة القرآن الكريم في نواح كثيرة ، نذكر منها : (الإيجاز ، الوزن والإيقاع. تكرار المعاني وتأكيدها ، الفصاحة في كافة المواضيع ، السلامة من التناقض والخطأ ،غزارة المعاني) ولهذا تحدى الله تعالى بهذا القرآن الكريم الإنس والجن (قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإنْسُ وَالْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتوا بِمِثْلِ هَذا القُرْآنِ لا يَأْتونَ بِمِثْلِهِ) { الإسراء * ٨٨ } .

أما معجزاته العلمية فتمثلت في (وحدة الكون والحياة ، نشأة الحياة وسعتها ، حركات الشمس والقمر والأرض ، وجود أحياء في السماء ، توازن العناصر الكونية ، مراحل نمو الجنين عرض الأنباء الغيبية) وكل ذلك يدور في فلك مبدأ أساسي شمولي(وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدارٍ) { الرعد * ٨ } ، لذلك كان من عظمة القرآن الكريم أن الله أقسم به في مناسبات متعددة (وَالقُرْآنِ الحَكيمِ ، إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلينَ) { يس * ٢ - ٣ } (قَ وَالقُرْآنِ الَمجيدِ) { ق* ١ } .

وقد صوّر الله تعالى عظمته في مثال : لو أنزله على جبل لتصدع الجبل رهبة وخشوعا من كلام الله تعالى : (لَوْ أَنْزَلْنا هَذا القُرْآنَ عَلى جَبَلٍ لَرأَيْتَهُ خاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللّهِ) {الحشر * ٢١ }

تلاوة القرآن

سن الإسلام للتلاوة آدابا رفيعة ، نذكر منها :

١- أن المسلم مطالب بتلاوة القرآن الكريم فهو دستوره الأول وكتاب حياته (وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ * وأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ) { النمل * ٩١-٩٢ } .

ومما يسهل التلاوة أنه ذو أسلوب سهل ممتنع ، سلس قريب من النفس ، سبكه الله تعالى بلسان عربي مبين (وَلَقَدْ يَسَّرْنا القُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) { القمر * ١٧ } .

٢- القرآن كتاب كريم لا يمسه إلا المطهرون (إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * في كِتابٍ مَكْنونٍ * لايَمَسُّهُ إِلاّ الْمُطَهَّرونَ * تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ العالَمينَ) { الواقعة * ٧٧- ٨٠ } .

٣- أن نستهل التلاوة بالاستعانة من الشيطان (فَإِذا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ) { النحل * ٩٨ }

٤- ويحسن فيه الترتيل ، والترتيل هو التأنق في التلاوة ، والتغني بها ، وإعطاء الحروف حقها من الأداء (وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتيلاً) { المزمل * ٤}

٥- والجهر في الليل أفضل ، بحيث لا يوقظ نائما ، قال صلى الله عليه وسلم : « إذا قام أحدكم من الليل فليجهر ، فإن الملائكة وعمار الدار يستمعون قراءته ويصلون صلاته » أخرجه البزاز [١] .

٦- وليس هناك تحديد في كمية ما يتلو الإنسان (فَاقْرَؤوا ما تَيَسَّرَ مِنْ الْقُرْآنِ){ المزمل ٢٠ } فالعبرة بالكيف لا بالكم .

٧-وهذه التلاوة لا بد منها من التدبر والفهم والاستيعاب ، لا أن تكون مجرد قراءة ببغائية (أَفَلا يَتَدَبَّرونَ الْقُرْآنَ) { النساء* ٨٢ } .

إن هذا التدبر هو الطريق الصحيح للإيمان ، فلا بد للمسلم أن يؤمن بجميع ما ورد في القرآن الكريم ، فلا يجوز لمسلم أن يؤمن بجزءمنه ثم يرفض الجزء الآخر ، فالإسلام كلٌّ لا يتجزأ ، والقرآن يستغرب كيف تؤمن فئة ببعضه وتكفر ببعضه (أَفَتُؤْمِنونَ بِبَعْضِ الْكِتابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ) { البقرة * ٨٥ }

٨- وقد أعطى الإسلام أهمية كبرى لدراسة القرآن الكريم دراسة علمية دقيقة ، فعن عثمان بن عفان رضي الله عنه ،عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال :« خيركم من تعلم القرآن وعلّمه » رواه البخاري وأبو داوود والترمذي .

وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله تعالى قرأ طه ويس قبل أن يخلق السموات والأرض بألف عام ، فلما سمعت الملائكة القرآن قالت : طوبى لأمة ينزل هذا عليها .

---

(١)- البزاز : هارون بن حاتم التميمي البزاز (توفي ٢٤٨ هـ/٨٦٣ م) مؤرخ ومقرئ ، له اشتغال بالحديث من أهل الكوفة ، اختلف علماء الحديث في توثيقه .

وطوبى لأجواف تحمل هذا ، وطوبى لألسنة تتكلم بهذا » رواه البغوي [٢] في كتابه (مصابيح السنة) ، وقال صلى الله عليه وسلم :« أربع أنزلت من كنز تحت العرش : أم الكتاب ، وآية الكرسي ، وخواتيم سورة البقرة ، والكوثر » أخرجه الطبراني وصححه السيوطي .

٩- أما الاستماع لتلاوة القرآن فيتطلب الإصغاء والسكوت بقصد الاستيعاب (وَإِذا قُرِئَ القُرْآنُ فَاسْتَمِعوا لَهُ وَأَنْصِتوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمونَ) { الأعراف * ٢٠٤ }

الشفاء في القرآن

إن آيات الشفاء التي وردت في القرآن الكريم ، هي ستة :

١- (وَيَشْفِ صُدورَ قَوْمٍ مُؤْمِنينَ) { التوبة * ١٤}

٢- (شِفاءٌ لِما في الصُّدورِ) { يونس * ٥٧ }

٣- (فيهِ شِفاءٌ لِلنّاسِ) { النحل * ٦٩ }

٤- (وَنُنَزِّلُ مِنَ القُرْآنِ ما هُوَ شِفاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنينَ) { الإسراء* ٨٢ }

٥- (وَإِذا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفينِ) { الشعراء * ٨٠ }

٦- (قُلْ هُوَ لِلَّذينَ آمَنوا هُدىً وَشِفاءٌ) { فصلت * ٤٤ } .

اللهم إنا نسألك بكل اسم هو لك ، سمّيت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو أستأثرت به في عالم الغيب ، أو علّمته أحدًا من خلقك : أن تجعل القرآن الكريم ربيع قلوبنا ، وجلاء همومنا ، وذهاب أحزاننا ، ونور أبصارنا ، ونورًا يوم القيامة بين أيدينا ، وعلّمنا ما فيه واجعلنا من المؤمنين ، الممتثلين لظاهره وباطنه واجعله حجة لنا ، ولا تجعله حجة علينا . يا رب العالمين .

* * *

(٢)- البغوي (توفي ٥١٥ هـ/ ١١٢٢م) ولد في (باغ) بخراسان ، فقيه شافعي ، حجة في الحديث ومن أصحاب التفاسير ، من مؤلفاته (مصابيح السنة) في الحديث .

الدنيا والآخرة
مخلوقات الله

وَجَد الإنسان منذ القديم أن جميع المخلوقات في هذه الدنيا أربعة أنواع ، وهي : (الجماد ، والنبات ، والحيوان ، والإنسان) ، وأن بين هذه المخلوقات تدرّجًا في التعقيد و مجموعة علاقات و روابط.

١- الجماد

وهو شيء طبيعي يتألف من بعض العناصر الطبيعية ، وهذا الشيء يكون (جامدا أو سائلا أو غازيا) ، ويتصف الجماد بأن له وزنا وكثافة وشكلا ولونا وطبيعة وخواص ، وقد سمّي بالجماد لأن الجمود هو عدم الحركة .

أ- وقد أقسم الله تعالى ببعض هذه الجمادات ، لعظمتها أو أهميتها ، من أمثلة ذلك : (وَالشَّمْسِ وَضُحاها * وَالْقَمَرِ إِذا تَلاها * وَالنَّهارِ إِذا جَلَّاها * وَاللَّيْلِ إِذا يَغْشاها * وَالسَّماءِ وَما بَناها * وَالأَرْضِ وَما طَحَاها) { الشمس * ١-٦ } .

ب- والإنسان يستغل الجمادات لمصلحته ويستفيدمن الأرض(وَاذْكُروا إذْ جَعَلَكُمْ خُلَفاءَ مِنْ بَعْدِ عادٍوَبَوَّأَكُمْ في الْأَرْضِ تَتَّخِذونَ مِنْ سُهولِها قُصوراًوَتَنْحِتونَ الْجِبَالَ بيوتاً){ الأعراف * ٧٤ }

جـ - هل يحس الجمادأو يشعر ؟

بيّن لنا القرآن الكريم أن السموات والأرض تسبح لله ، والتسبيح سلوك يصدر نتيجة شعور بالإيمان والتقديس (تُسَبِّحُ لَهُ السَّمواتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ) { الاسراء * ٤٤ }

والأرض والجبال ترتجف كما ترتجف أعضاء الإنسان ، والارتجاف نتيجة الإحساس بالهول والرهبة والعظمة (يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ والْجِبالُ) { المزمل * ١٤ }

والأرض يصيبها الخشوع ، والخشوع موقف نفسي معقّد يتضمن مشاعر الخوف والتقديس والرجاء (تَرىَ الْأَرْضَ خاشِعَةً) { فصلت * ٣٩ } .

والأرض تفهم ما يخاطبها به الله تعالى ، ثم تنفذ ما أمرها به الله تعالى (وَقيلَ يا أَرْضُ ابْلَعي ماءَكِ) { هود * ٤٤ }

وكذلك يسأل الله جهنم فتفهم السؤال وتجيب (يَوْمَ نَقولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلأْتِ وَتَقولُ هَلْ مِنْ مَزيدٍ) { ق * ٣٠ } .

هنا نتساءل : كيف سبحت السماء والأرض ؟ وكيف ارتجفت الأرض والجبال ؟ وكيف خشعت الأرض ؟ وكيف فهمت خطاب الله ؟ وكيف فهمت جهنم السؤال ثم أجابت عنه ؟

لا نستطيع أن نقول إن للجماد نفسا ، لأن النفس تعني الحياة فهل الجماد حي ؟
إن كل حي يحتاج إلى الماء والهواء والغذاء لتبقى عليه الحياة ، ويولد حيا مثله ، وهذا مالا نجده في الجماد .

إن كل ما نستطيع قوله هو : أن الجماد تأثر برهبة الله وعظمته وقدسيته فصدر عنه مالا يكاد يصدقه عقل ، وقد ذكر الله تعالى مثالا على ذلك فقال : (لَوْ أَنْزَلْنا هَذا القُرْآنَ عَلى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللهِ) { الحشر * ٢١ } .

٢- النبات

وهو أول حلقة في سلم الحياة ، ويتضمن كل صفات الجماد وخصائصه ، ويزيد عنه بصفة التغذي،والتغذي يؤدي إلى ثلاث وظائف :

أ- يتغذى النبات ليعيش فتبقى فيه الحياة .

ب- ينمو فيزداد حجمه ، بما ينضم إليه ويداخله في جميع الأجزاء بنسب طبيعية .

جـ- يولّد نباتا مثله فيستمر جنسه باقيا من الانقراض والزوال .

وقد ذكر الله تعالى في قرآنه بعض النباتات كنماذج على سبيل المثال ، منها :

١- (فَأَنْبَتْنا فيها حَبّاً * وَعِنَباً وَقَضْباً * وَزَيْتوناً وَنَخْلاً * وَحَدائِقَ غُلْباً * وَفاكِهَةً وَأَبّاً) {عبس ٢٧- ٣١ }

٢- وقال (جَنَّةٌ مِنْ نَخيلٍ وَأَعْنابٍ) { البقرة * ٢٦٦ }

٣- وقال: (فَادْعُ لَنا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنا مِمّا تُنْبِتُ الأَرْضُ مِنْ بَقْلِها وَقِثّائِها وَفومِها وَعَدَسِها وَبَصَلِها) { البقرة * ٦١ }

٤- وقال : (وَهُوَ الَّذي أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجْنابِهِ نَباتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنا مِنْهُ خَضِراً نُخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُتَراكِباً وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِها قِنْوانٌ دانِيَةٌ وَجَنّاتٍ مِنْ أَعْنابٍ وَالزَّيْتونَ وَالرُّمانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشابِهٍ انْظُروا إِلىَ ثَمَرِهِ إِذا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ في ذَلِكُمْ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنونَ) {الانعام * ٩٩ } .

كما أقسم القرآن الكريم ببعض النباتات كقوله : (وَالتّينِ وَالزَّيْتونِ) { التين * ١ }
وهناك من الفلاسفة من نسب للنبات نفسا ،فقد أورد الغزالي تعريفا للنفس النباتية حيث يقول « النفس النباتية هي الكمال الأول لجسم طبيعي من جهة ما يتغذى وينمو ويولد المثل [(١)] »
هنا لا نستطيع أن ننسب للنبات نفسا ، لأن من البدهيات العلمية أن النفس تحمل معنى المشاعر الوجدانية والاتجاهات العقلية ، وهو أمر لا يوجد في المفهوم النباتي .

---

(١)- معارج القدس في مدارج معرفة النفس ، أبو حامد الغزالي ١٩ ، وهو نفس تعريف ابن سينا الوارد في كتابه النجاة ٢٥٨

وكل ما نستطيع قوله:أن الغزالي قصد من النفس النباتية الطبيعة النباتية .

٣- الحيوان

يحوي الحيوان كل صفات الجماد والنبات ، ويزيد عنهما بأنه يتحرك فينتقل من مكان لآخر ، وقد عبّر القرآن الكريم عن الحيوان بالدابة وعبّر عن الحركة بالمشي ، فقال : (وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ) { النور * ٤٥ }

ولدراسة عالم الحيوان لابد لنا من وقفات ثلاثة :

أ- لقد سخر الله تعالى هذه الحيوانات لمصلحة الإنسانية :

قال تعالى (وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ * وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ*وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) { النحل * ٥-٨ }

وقال أيضاً :(وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا) { النحل * ١٤ }

وقال (يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ) { النحل * ٦٩ }

ب- بيّن الله تعالى أن كل حيوان ينتسب إلى جماعة هي أمة قائمة بذاتها ، وهذهالأمم شبيهة بالأمم الإنسانية ، يقول تعالى (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ) { الأنعام * ٣٨ } .

جـ - نسب فلاسفة الإسلام للحيوان نفسا ، فقد عرفها الغزالي فقال : « النفس الحيوانية هي الكمال الأول لجسم طبيعي من جهة ما يدرك الجزئيات ويتحرك بالإرادة [٢] » .

ويبدو أن في كلامهم شيئا من الصحة ، فإذا لم يكن للحيوان نفس فكيف نفسر الوفاء عند الكلاب ، والمكر عند الثعلب ، والشجاعة عند الأسد ، والألفة عند الحيوانات الأهلية ؟

والرأي في ذلك :

أن فلاسفة الإسلام تأثروا في هذه المفاهيم بالفلسفة اليونانية وخاصة آراء أرسطو وكانت دراساتهم عن الحيوان وسيلة لمعرفة الحياة ، لكنهم قفزوا في دراساتهم قفزة برروا فيها لأنفسهم أن يسموا ما عند الحيوان نفساً .

و الحقيقة : أن الحيوان يملك جهازاً عصبياً محدود الفعالية ، يعيش في بيئة ضيقة ، ويكتسب تجارب سطحية قليلة ، و لايدرك من الجزئيات إلا ظواهرها المادية المحسوسة ، و يندفع في تصرفاته بدوافع غريزية تدور حول الطعام و الجنس ، و سلوكه نظري لم تهذبه البيئة أو التربية لهذا نقول :

إن الحيوان لا يملك نفساً بالمعنى العلمي لكلمة النفس ، لكنه يملك غرائز جامدة تدفعه

---

(٢)- معارج القدس في مدارج معرفة النفس ، أبو حامد الغزالي ١٩

إلى السلوك .

٤ - الإنسان

يحوي الإنسان كل صفات الجماد و النبات و الحيوان ، و يزيد عنهم بالعقل :

آ - فبالعقل كان مجال التكريم الذي كرم الله به الإنسان(وَ لَقَدْ كَرّمْنا بَني آدَمَ)[الإسراء ٧٠]

ب - و بالعقل أصبح الإنسان سيد الطبيعة بلا منازع ، فقد ارتفع قدره حتى علاعلى الملائكة (وَ إِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدوا لِآدَمَ)[البقرة * ٣٤].وتكرر طلب الله تعالى للملائكة بالسجود لآدم في [سورة الأعراف * ١١ ، وفي سورة الإسراء * ٦١ ، وفي سورة الكهف * ٥٠ ، وفي سورة طه * ١١٦] .

جـ - وبالعقل استخلف الله الإنسان ، واعتبره خليفة الله في الأرض ، قال تعالى : (إِنّي جاعِلٌ في الأَرْضِ خَليفَةً) [البقرة * ٣٠]

د - و بالعقل أوجد الإنسان المدنيات ، و أقام الحضارات ، و نبغ في العلوم ، و أوجد المخترعات . و كلها عبادة ، فحقق الإنسان الهدف الذي أعلنه رب العزة من خلق بني آدم (وَما خَلَقْتُ الجِنَّ وَ الإِنْسَ إِلاّ لِيَعْبُدونِ) [الذاريات * ٥٦].

هـ - و بالعقل استوعب الإنسان دين الله ، فانتظمت أحوال الناس و ارتقى سلوكهم و أصبحوا (خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنّاسِ) [آل عمران* ١١٠] .

هنا وقف ابن سينا ليعرّف النفس الإنسانية فيقول : (إنها الكمال الأول لجسم طبيعي آلي من جهة مايفعل الأفاعيل بالاختيار العقلي و الاستنباط بالرأي ، و من جهة ما يدرك الأمور الكلية) (٣)و لهذا لاعجب أن يقسم الله سبحانه و تعالى بالنفس الإنسانية ، و قد جعل قسمه بها خاتمة لمجموعة أقسام :

(وَ الشَّمْسِ وَ ضُحاها * وَ الْقَمَرِ إِذا تَلاها * وَ النَّهارِ إِذا جَلّاها * وَ اللَّيلِ إِذا يَغْشاها * وَالسَّماءِ وَ مابَناها * وَ الأَرْضِ وَ ماطَحاها * وَ نَفْسٍ وَ ما سَوّاها * فَأَلْهَمَها فُجورَها وَ تَقْواها * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكّاها * وَقَدْ خابَ مَنْ دَسّاها) [الشمس * ١ - ١٠] .

حياة الإنسان

لا يقتصر علم النفس الإسلامي في دراسة النفس الإنسانية على الفترة الزمنية التي يوجد فيها الإنسان في هذه الحياة (أي منذ ولادته إلى وفاته) .

لأن حياة الإنسان لا تقتصر على هذه الفترة القصيرة جداً من عمره فما مدى حياة الإنسان ؟ .

تشمل الفترة الزمنية في حياة الإنسان : الماضي و الحاضر و المستقبل .

الماضي قبل أن يولد ، و الحاضر في الدنيا ، و المستقبل في الآخرة .

ماضيه قبل أن يولد ، و حاضره في حياته الدنيوية ، و مستقبله في الجنة أو النار .

(٣)- النجاة : ابن سينا ٢٥٨

لهذا . فإن علم النفس الإسلامي يدرس نفسية الإنسان في ثلاث فترات زمنية : (حياته في الأزل ، و حياته في الدنيا ، و حياته في الآخرة) .

حياة الإنسان في الأزل :

كان الإنسان في هذه الفترة في عالم الغيب ، قبل أن تتلبس روحه في جسده ، و قبل أن يولد في هذه الدنيا .تحدث القرآن الكريم عن هذه الفترة ، و ذكر أن الله سبحانه و تعالى جمع أرواح الناس و أشهدهم على أنفسهم : (وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ أَشْهَدَهُمْ عَلى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالوا بَلى شَهِدْنا أَنْ تَقولوا يَوْمَ الْقِيامَةِ إِنّا كُنّا عَنْ هَذا غافِلِينَ) { الأعراف* ١٧٢ } .

كان ذلك في فترة سحيقة في القدم ، لايعلم مداها إلا رب العالمين ، ثم آقر الأجنّة في الأرحام لفترة محدودة من الزمن (وَ نُقِرُّ في الْأَرْحامِ ما نَشاءُ إِلىٰ أَجَلٍ مُسَمّىً){ الحج* ٥ } .
ثم ذكر المراحل التي يمر بها الجنين : (وَ لَقَدْ خَلَقْنا الإِنْسانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً في قَرارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنا العَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنا الْمُضْغَةَ عِظاماً فَكَسَوْنا الْعِظامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْناه خَلْقاً آخَرَ فَتَبارَكَ اللّهُ أَحْسَنُ الْخالِقِينَ){المؤمنون ١٢-١٤ } .
و تنتهي هذه الفترة من حياة الإنسان بولادته و قدومه إلى هذه الدنيا .

حياة الإنسان في الدنيا :

وهي أصغر فترة زمنية في حياته ، تبدأ بولادته و تنتهي بوفاته . هنا نتساءل : ماالهدف من هذه الفترة ؟ و لماذا أوجدها الله تعالى ؟ و ما وظيفة الإنسان فيها ؟
أجاب الله تعالى عن هذه التساؤلات : بأن الله استخلف الإنسان في هذه الدنيا (وَ إِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنّي جاعِلٌ في الْأَرْضِ خَليفَةً){ البقرة* ٣٠ }فالإنسان خليفة الله في الأرض فماذا تعني خلافة الإنسان ؟ .

تعني أن الإنسان كائن عظيم القدر ، ذو أهمية بارزة في الحياة ، و لهذا لابد أن يكون دوره في الحياة أكبر و أخطر من دور غيره من الكائنات الآخرى .

إن دور الإنسان في هذه الأرض هـ [illegible] ، و لابد لهذا الدور من تزويد الإنسان بالإمكانات التي تساعده في مهمته ، فماهذه الإمكانات ؟ .
١ - زود الله الإنسان بالعقل و هذا موضع التكريم (وَ لَقَدْ كَرَّمْنا بني آدَمَ){ الإسراء * ٧٠ }
٢ - ثم منحه المعرفة التي توصله إلى العلم (وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْماءَ كُلَّها) {البقرة * ٣١ } .
٣ - سخر الله للإنسان كلاً من الجماد وا لنبات و الحيوان (وَ سَخَّرَ لَكُمْ مافي السَّمواتِ وَ مافي الأَرْضِ) { الجاثية* ١٣ } .

و إلى جانب ما يتمتع به الإنسان من إمكانات عظيمة و قوة جبارة رهيبة ، فالإنسان

ضعيف جداً(لَقَدْ خَلَقْنا الإنْسانَ في أَحْسَنِ تَقْويم*ثُمَّ رَدَدْناهُ أَسْفَلَ سافِلِينَ)[التين* ٤ - ٥]
و إذا أردت أن تتعرف على نواحي ضعف الإنسان ، فاستمع إلى الأوصاف التي نعته بها ربه من ذلك مثلاً :
(وَ خُلِقَ الإنْسانُ ضَعيفاً) [النساء* ٢٨]، (إِنَّ الإنْسانَ لَظَلومٌ كَفّارٌ) [إبراهيم * ٣٤]
(وَ كانَ الإنْسانُ عَجولاً) [الإسراء* ١١] ، (وَ كانَ الإنْسانُ قَتوراً) [الإسراء* ١٠٠]
(وكانَ الإنْسانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً) [الكهف* ٥٤] ،(وَ حَمَلَها الإنْسانُ إنَّهُ كانَ ظَلوماً جَهولاً) [الأحزاب * ٧٢] ، (إِنَّ الإنْسانَ خُلِقَ هَلوعاً * إذا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزوعاً * وَإذا مَسَّهُ الخَيْرُ مَنوعاً) (المعارج * ١٩ -٢١] ،(قُتِلَ الإنْسانُ ما أَكْفَرَهُ) [عبس * ١٧] ، (إِنَّ الإنْسانَ لِرَبِّهِ لَكَنودٌ) [العاديات* ٦]،(خَلَقَ الإنْسانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإذا هُوَ خَصيمٌ مُبينٌ)[النحل * ٤]
لهذا كله .. خفف الله عن الإنسان (لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إلاّ وُسْعَها) [البقرة* ٢٣٣] ، ([يُريدُ اللّهُ بِكُمْ اليُسْرَ وَلا يُريدُ بِكُمْ العُسْرَ) ، [البقرة* ١٨٥] ، (يُريدُ اللّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ) ، [النساء* ٢٨] .

ثم رفع الحرج عن ثلاث فئات من الناس : الأعمى و الأعرج و المريض ، فقال (لَيْسَ على الأَعْمى حَرَجٌ وَ لا عَلى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَ لا عَلى المَريضِ حَرَجٌ) [النور* ٦١] و هذا الضعف ليس ضعفاً أبدياً لا مخلص منه ، بل يملك الإنسان أن يفيق من زلته و يصحو من ضعفه ، و يرفع رأسه إلى خالقة : (فَتَلَقّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ فَتابَ عَلَيْهِ) [البقرة* ٣٧] و زوده ربه بالقدرة على الصراع (قُلْنا اهْبِطوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌ) [البقرة* ٣٦] .

و في كل هذا .. لا بد لنا من الدعم الإلهي و التوفيق الرباني ، فإذا حصلنا على نصر الله تعالى فلن نهزم بعدها ، و لن يتمكن أحد من هزيمتنا (إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللّهُ فَلا غالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ)[آل عمران* ١٦٠] .

إن نجاحنا و فوزنا و توفيقنا إنما هو بفضل الله : (وَ ما رَمَيْتَ إذْ رَمَيْتَ وَ لَكِنَّ اللّهَ رَمَى) [الأنفال* ١٧] .

حياة الإنسان في الآخرة .

و هي فترة طويلة سرمدية ، تبدأ بالموت و لاتنتهي ، لأن حياة الإنسان في الآخرة خالدة لانهاية لها .

إن الموت ليس نهاية الحياة ، و إنما هو بداية لحياة الآخرة ، إنها نقطة تحول في حياة الإنسان .
الموت حق علي كل إنسان (كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ المَوْتِ) [العنكبوت* ٥٧] ، لا يستثنى من ذلك أحد (كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ) [الرحمن * ٢٦] تستوي في ذلك كافة الكائنات والمخلوقات فلكل إنسان أجل مكتوب (لِكُلِّ أَجَلٍ كِتابٌ) [الرعد * ٣٨] و (فَإذا جاءَ أَجَلُهُمْ لا

يَسْتَأْخِرونَ ساعةً ولا يَسْتَقْدِمونَ) { النحل * ٦١ } .
و الإنسان لا يدري أين يموت (وَ ما تَدْري نفسٌ بأيِّ أرْضٍ تَموتُ) { لقمان * ٣٤ } ، و لا عاصم من الموت (أَيْنَمَا تَكونوا يُدْرِكْكُمُ المَوْتُ وَ لَوْ كُنْتُمْ في بُروجٍ مُشَيَّدَةٍ) { النساء* ٧٨ } ، لأن (اللّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حينَ مَوْتِها) { الزمر* ٤٢ } .
و الساعة آتية لا ريب فيها :
متى تحدث ؟ .
إن توقيت حدوثها مما استأثر به الله في علمه (يسْألونَكَ عَنِ السّاعةِ أيّانَ مُرْساها قُلْ إنَّما عِلْمُها عِنْدَ رَبّي) { الأعراف* ١٨٧ } .
كم تستغرق من الوقت ؟ .
اجاب تعالى بقوله (وَ ما أَمْرُ السّاعَةِ إلاّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْهُوَ أَقْرَبُ) { النحل* ٧٧ }.
رهبتها : (يا أيُّها النّاسُ اتّقوا رَبَّكُمْ إنَّ زَلْزَلَةَ السّاعَةِ شَيْءٌ عَظيمٌ يَوْمَ تَرَوْنَها تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمّا أَرْضَعَتْ وَ تَضَعُ كُلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَها وَتَرَى النّاسَ سُكارى وَ ماهُمْ بِسُكارى و لكِنَّ عذابَ اللّهِ شَديدٌ) { الحج * ١ - ٢ } .
أما الخلود في الآخرة ، فقد ورد في مواضع كثيرة ، منها (مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَ أحاطَتْ بِهِ خَطيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحابُ النّارِ هُمْ فيها خالِدونَ *وَ الّذينَ آمَنوا وَ عَمِلوا الصّالِحاتِ أُولَئِكَ أَصْحابُ الْجَنَّةِ هُمْ فيها خالِدونَ) { البقرة * ٨١ – ٨٢ } .

الدنيا

ينقسم الناس في هذه الحياة إلى فريقين : فريق يهتم بالدنيا و فريق يهتم بالآخرة (مِنْكُمْ مَنْ يُريدُ الدُّنْيا وَ مِنْكُمْ مَنْ يُريدُ الْآخِرَةَ) { آل عمران * ١٥٢ } .

ماالدنيا ؟

ذكر القرآن الكريم أن الدنيا ليست إلا لعباً و لهواً : (وَ ماالْحَياةُ الدُّنْيا إلاّ لَعِبٌ وَ لَهْوٌ وَلَلدّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِلّذينَ يَتَّقونَ أَفَلا تَعْقِلونَ) { الأنعام* ٣٢} .و ذكرفي موضع آخر أنهامتاع الغرور،فقال :(وَماالْحَياةُ الدُّنْيا إلاّ مَتاعُ الْغُرورِ){ آل عمران * ١٨٥} و قد وصفها أبو حيان التوحيدي (٤) فقال : (هي دار رابحها خاسر ، و نائلها قاصر ، و عزيزها ذليل ، و صحيحها عليل ، ظاهرها غرور ، و باطنها شرور ، و طالبها مكدود ، و عاشقها مجهود ، و تاركها محمود) .

غرور الدنيا

الدنيا تغر الكافرين من الناس ، فلا يرون إلا زينتها (زُيِّنَ لِلَّذينَ كَفَروا الْحَياةُ الدُّنْيا) { البقرة* ٢١٢ } .

(٤)- أبو حيان علي بن محمد التوحيدي (٩٢٢- ١٠٢٣م) فقيه وفيلسوف متصوف عاش في بغداد اتهمه الناس بالزندقة ، من مؤلفاته (المقابسات ، البصائر والذخائر ، الامتاع والمؤانسة)

و قد غرتهم بشيئين يهتم بهما الناس غاية الإهتمام و هما المال و البنون : (الْمَالُ وَ الْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) { الكهف * ٤٦ }فيتخذون دينهم لهواً و لعباً : (وَ ذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِباً وَ لَهْواً وَ غَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا) { الأنعام * ٧٠ } ، فما نتيجة هؤلاء الناس ؟ .

ماداموا يفضلون الدنيا على الآخرة فسيكون مصيرهم العذاب : (فَأَمَّا مَنْ طَغَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى) { النازعات * ٣٧ - ٣٩ }.و هنا نتساءل :

لماذا خلق الله الدنيا ؟ .

لقد أراد الله من هذه الدنيا أن تكون موضعاً لامتحان الناس و اختبارهم ، و وسيلة لمعرفة المجاهدين و الصابرين ، و وسيلة للفوز بالسعادة في الحياة الآخرى : (و لَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ) { محمد * ٣١ } .

الإنسان مخلوق مكلف

١- إن الإسلام لا يعرف الخطيئة الموروثة ، ولا يعرف السقوط من طبيعة إلى ما دونها . فقصة آدم مثل لما يعرض للإنسان من حطيئة ، وهذه الخطيئة لا تدين أحدا من الناس .

٢- لا يحاسب الإنسان بذنب اقترفه غيره (وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى) { الأنعام * ١٦٤ } وقد تكررت هذه الآية في مواصع أحرى ، فقد جاءت في { سورة الإسراء * ١٥ ، وفي سورة فاطر * ١٨ ، وفي سورة الزمر * ٧ ، وفي سورة النجم * ٣٨ } .

٣- وارتفاع الإنسان وهبوطه منوطان بالتكليف : فهو بأمانة التكليف قابل للصعود إلى قمة الخليقة ، وهو بالتكليف قابل للهبوط إلى أسفل سافلين (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) { التين * ٥ } .

وهذه هي الأمانة (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ) { الأحزاب * ٧٢ } .

٤- والتكليف هو ما يوصف به الإنسان تمييزا من العجماوات وتمييزا من الأرواح العلوية على السواء ، ولهذا كان في أحسن تقويم ، ولهذا يرتد إلى أسفل سافلين .

وقوام التكليف الحسن الإيمان وعمل الصالحات ، وسبيل الارتداد إلى أسفل سافلين مطاوعة الهوى والغرور .

موقف الإسلام من الدنيا

وقف الإسلام من الدنيا ثلاثة مواقف ، تتكامل مع بعضها :

١- **التوازن بين الدنيا والآخرة** : طالب الإنسان المسلم أن يهتم بالدنيا كما يهتم بالآخرة (وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا) { القصص * ٧٧ } . وقد قيل (اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا) .

٢- ذم الترف : فالترف مهلك للأمة ، ولذا يجب محاربة المترفين الفاسدين ، وإلزامهم بالوقوف على الحدود المشروعة ، وقد ذكر الله تعالى نموذجا من أضرارالترف،فقال :(وَإِذا أَرَدْنا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنا مُتْرَفيها فَفَسَقوا فيها فَحَقَّ عَلَيْها القَوْلُ فَدَمَّرْناها تَدْميراً){ الإسراء * ١٦} ، والمترفون دائما أعداء كل إصلاح ، وهم خصوم الحق (وَما أَرْسَلْنا في قَرْيَةٍ مِنْ نَذيرٍ إلاّ قالَ مُتْرَفوها إنّا بِما أُرْسِلْتُمْ بِهِ كافِرونَ) { سبأ * ٣٤} .

٣- تفضيل الآخرة على الدنيا : فالآخرة خير من الدنيا وأكثر استمرارا (بَلْ تُؤْثِرونَ الْحَياةَ الدُّنْيا *وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى) { الأعلى * ١٦- ١٧ } .

الآخرة

بلور الإسلام موقف الإنسان المسلم من العالم الآخر في اتجاهين بارزين ، وهما (الترغيب في الثواب ، والتخويف من العقاب) :

الترغيب في الثواب

بيّن الإسلام أن أجر المؤمنين فيما قدموه في دنياهم محفوظ (إنّا لا نُضيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَملاً) { الكهف * ٣٠ } ، لا يضيع من هذا الأجر أي شيء ، ولو كان مثقال ذرة سواء كان خيرا أو شرا (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يرَهُ) {الزلزلة * ٧- ٨ } .

لمن يحسب الأجر ؟ : يحسب الله الأجر لمجموعة فئات من الناس ، وهي :

١- للذين يعملون الصالحات ، سواء كانوا ذكورا أو إناثا : (وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصّالِحاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى وَهُوَمُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلونَ الْجَنَّةَ) { النساء * ١٢٤ } ، ولابد أن يرتبط العمل الصالح بالإيمان (إلاّ الّذينَ آمَنوا وَعَمِلوا الصّالحاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنونٍ) { التين * ٦ }

٢- للمتقين (وَمَنْ يَتَّقِ اللّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً) { الطلاق * ٥}

٣- للذين يقاتلون في سبيل الله لنشر راية الإسلام في أقاصي المعمورة (وَمَنْ يُقاتِلْ في سَبيلِ اللّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتيهِ أَجْراً عَظيماً) { النساء * ٧٤ }

٤- للصابرين (وَلَنَجْزِيَنَّ الّذينَ صَبَروا بِأَحْسَنِ ما كانوا يَعْمَلونَ) { النحل * ٩٦ }

٥- للذين ينفقون مما رزقهم الله (فَالّذينَ آمَنوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقوا * لَهُمْ أَجْرٌ كَبيرٌ){ الحديد * ٧}

٦ - للذين يذكرون الله تعالى باستمرار (وَالذّاكِرينَ اللّهَ كَثيراً وَ الذّاكِراتِ أَعَدَّ اللّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَ أَجْراً عَظيماً) { الأحزاب * ٣٥ }

لماذا يحسب الأجر ؟ : يقوم حساب الأجر على ثلاثة مبادئ :

١- العمل الصالح هو قرض لله تعالى ، نقدمه له في الدنيا ، فيكون وفاء الله لنا في الآخرة أضعاف ما دفعناه في الدنيا (مَنْ ذا الّذي يُقْرِضُ اللّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضاعِفُهُ لَهُ أَضْعافاً كَثيرَةً)

{ البقرة * ٢٤٥ }
٢- المؤمن يبيع نفسه وماله لله تعالى بأن له الجنة (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقاً فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) { التوبة * ١١١ }
٣- إن المسلم يبتغي بعمله مرضاة الله تعالى دون أي هدف آخر :(وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً) { النساء * ١١٤ } .
وهكذا يكون مآل المسلم إلى:
الجنة : ذكر الله تعالى في قرآنه العظيم أسماء الجنة ، وهي : (دار السلام ، جنة الخلد الفردوس ، جنة عدن ، جنة الوسيلة ، جنة القرار ، جنة النعيم ، جنة المأوى ، دار المقامة ، دار الحيوان ، المقام الأمين ...)

وقد تحدث عن نعيمها المادي فذكر (أنهارها وأشجارها وثمارها وطعامها وشرابها وثيابها وحللها ومساكنها وغرفها ونساءها وحورها العين ...)

وكان يذكر باستمرار أنها (جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) { النساء * ٥٧ } ، وقد تكررت هذه الآية تسعا وثلاثين مرة في القرآن الكريم .

كما تحدث عن نعيمها الروحي المتمثل في لقاء الله تعالى ، وهو غاية الغايات التي يهدف إليها المؤمن :(فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً) { الكهف * ١١٠ }

التخويف من العذاب

خوّف الله تعالى عباده من النار وعذابها ، وجعل دخولها نتيجة لارتكاب أنماط معينة من السلوك ، وقد حذرنا الله من هذه التصرفات . نذكر منها :
١- الإشراك بالله تعالى : الذي يؤدي بالإنسان إلى أن يَلقى في جهنم مدحورا (وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُوماً مَدْحُوراً) { الإسراء * ٣٩ }
٢- الكفر بالله والتكذيب بآياته (وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ) {المائدة * ١٠ } .
٣- محاددة الله تعالى ورسوله العظيم ، وسيكون جزاء ذلك الخلود في جهنم (أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِداً فِيهَا) { التوبة * ٦٣ } .
٤-ارتكاب الجرائم التي نهانا الله عنها (إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ){ الزخرف * ٧٤ }
٥- الغواية والضلال (وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ) { الشعراء * ٩١ } .

٦- النفاق سواء صدر من ذكر أو أنثى (وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا) { التوبة * ٦٨ } .
٧- التكبر بأصنافه وأشكاله (أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ) { الزمر * ٦٠ }
٨- الطغيان والمغالاة في الكفر والإسراف في المعاصي : (وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ) { ص * ٥٥- ٥٦ } .
٩- الفجر والبعد عن الحق (وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ) { الانفطار * ١٤ } .
١٠-المعاجزة بآيات الله(وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَامُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ){ الحج* ٥١ }
١١- القسط والابتعاد عن الطريق القويم(وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً){ الجن * ١٥ }
١٢- القتل المتعمد للمؤمن(إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوافَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ) { البروج * ١٠ }
١٣- تفضيل الدنيا على الآخرة (فَأَمَّا مَنْ طَغَى*وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى) { النازعات * ٣٧- ٣٩ } .

وقد وصف الله تعالى عذاب جهنم بأوصاف كثيرة، فقال :(عَذَابٌ مُهِينٌ)،(عَذَابٌ مُقِيمٌ)، (عَذَابٌ أَلِيمٌ)،(عَذَابٌ غَلِيظٌ)،(عَذَابٌ عَظِيمٌ)،(عَذَاباً كَبِيراً)،(عَذَابٌ شَدِيدٌ)،(وكان أكثرها تكراراً (الْعَذَابُ الأَلِيمُ) .

المخلوقات التي لا نراها

وهي تشمل : (الملائكة والجن والشيطان)

١- الملائكة :

١- الإيمان بالملائكة جزء أساسي من الإيمان في الإسلام : (وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ) { البقرة * ١٧٧ } .
٢- لم يتعرض القرآن الكريم لخلق الملائكة ، غير أنه ورد عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « خُلقت الملائكة من نور ... » رواه مسلم والإمام أحمد .
٣- والملائكة يتميزون بالطاعة التامة المطلقة : (وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلائِكَةُ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ) { النحل * ٤٩ } .
٤- بعض الملائكة رسل : (اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ) { الحج * ٧٥ } وبعض الملائكة يقومون بتبليغ الوحي الإلهي : (يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) { النحل * ٢ }
٥- يحمل الملائكة العرش ، ويسبحون بحمد الله ، ويستغفرون للمؤمنين : (الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا) { غافر * ٧ }

وقد حدد القرآن الكريم عدد هؤلاء الذين يحملون العرش بثمانية ملائكة ، فقال : (وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمانِيَةٌ) { الحاقة * ١٧ }

٦- تتنزل الملائكة على المؤمنين لتواسيهم وتبشرهم : (إِنَّ الَّذِينَ قالوا رَبُّنا اللّهُ ثُمَّ اسْتَقاموا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الملائِكَةُ ألاّ تَخافوا وَلا تَحْزَنوا وَأَبْشِروا بالجَنَّةِ الّتي كُنْتُمْ تُوعدونَ) { فصلت * ٣٠ }

٧- إن الله يمد المؤمنين بالملائكة عند قتال الأعداء لينصرهم عليهم : (إِذْ تَسْتَغيثونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجابَ لَكُمْ أَنّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدفِينَ) { الأنفال * ٩ }

٨- تشفع الملائكة وتستغفر للمؤمنين : (وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ في السَّمواتِ لا تُغْني شَفاعَتُهُمْ شَيْئاً إلاّ مِنْ بَعْدِ أَنْ يأْذَنَ اللّهُ لِمَنْ يَشاءُ وَيَرْضى) { النجم * ٢٦ }

٩- يكتب الملائكة أعمال الإنسان ليحاسب عليها : (وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحافِظينَ * كِراماً كاتِبين * يَعْلَمونَ ما تَفْعَلونَ) { الانفطار * ١٠- ١٢ } .

١٠- والملائكة يتوفون المؤمنين (قُلْ يَتَوَفّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الّذي وُكِّلَ بِكُمْ) { السجدة * ١١ }

٢- الجن :

١- خلق الله الجن من لهب خالص من الدخان ، واسمه (المارج) ، قال تعالى (وَخَلَقَ الْجانَّ مِنْ مارِجٍ مِنْ نارٍ) { الرحمن * ١٥ }.

٢- يقوم الجن بأعمال خارقة لا يستطيعها الإنسان : (قالَ عِفْريتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنا آتيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقومَ مِنْ مَقامِكَ) { النمل * ٣٩ } .

٣- وهم يستمعون لتلاوة القرآن الكريم (قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالوا إِنّا سَمِعْنا قُرْآناً عَجَباً) { الجن * ١ } .

٤- وقد كان إبليس منهم : (فَسَجَدوا إِلاّ إِبْليسَ كانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ) { الكهف * ٥٠ }

٥- وقد كان بعضهم أعداء للأنبياء (وَكَذلِكَ جَعَلْنا لِكُلِّ نَبِيٍ عَدُواً شَياطِينَ الإِنْسِ وَالجِنِّ) { الأنعام * ١١٢ .}

٦- وبعضهم سيكون مصيره جهنم (وَلَقَدْ ذَرَأْنا لِجَهَنَّمَ كَثيراً مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ) { الأعراف * ١٧٩ }

٣- الشيطان :

١- الشيطان عدو للإنسان ، وعداوته واضحة غاية الوضوح (إِنَّ الشَّيْطانَ لِلإنْسانِ عَدُوٌ مُبينٌ) { يوسف * ٥ }

٢- الشيطان قوة الشر ، ولكنها قوة لا سلطان لها على ضمير الإنسان ما لم يستسلم لها بهواه (إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطانِ كانَ ضَعيفاً) { النساء * ٧٦ }

٣- ولهذا يوجه الإنسان للضلال البعيد (وَيُريدُ الشَّيْطانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعيداً) { النساء * ٦٠ }

٤- أما المجالات التي يقوم فيها الشيطان بإضلال الإنسان فقد ذكرها الله تعالى بقوله : (إِنَّما

الخمرَ والميْسرُ والأنصابُ والأزلامُ رجسٌ مِنْ عمَلِ الشّيْطانِ فاجتنبوهُ) { المائدة * ٩٠ } ، وكذلك يقول : (الشّيطانُ يعدُكمُ الفقرَ ويأمرُكمْ بالفحشاءِ) { البقرة * ٢٦٨}

٥- وليس للشيطان أن يطلع على الغيب أو ينفذ إلى أسرار العالم المجهول (لوْ كانوا يعلمونَ الغيْبَ مالبثوا في العذابِ المهينِ) { سبأ * ١٤ } .

* * *

إعداد النفس الإنسانية

الفصل الثالث

تمهيد

هذا فصل في التربية تنعكس فيه الحقائق النفسية على الواقع التطبيقي في حياة الإنسان ، أو هو تطبيق علم النفس على الواقع ، أو محاولة الاستفادة من علم النفس في الحياة .

وقد تعوّد المؤلفون أن يفصلوا بين التربية وعلم النفس ، لأن التربية فن لا ينطوي تحت أسس العلم ، فالتربية تختلف من إنسان لآخر ، ويختلف فيها التطبيق من حالة لأخرى .
لكننا هنا أمام شيء آخر .. هو الإسلام ..

ففي الإسلام يتلاقى علم النفس مع التربية ، ولا تنفصل النظرية عن التطبيق ، ويندمج الإيمان بالعمل (إلاّ الّذينَ آمَنوا وَعَمِلوا الصّالِحاتِ) { التين * ٦ } .

البعد الفردي

المنحرفون من الناس

عرض القرآن الكريم نماذج من الناس المنحرفين ، نذكر منهم حسب الترتيب الأبجدي :
(الأخسرون. الأفاكون . الباخسون . الجاهلون . الخاسرون . الخامدون . الخائنون . الخراصون . الصاغرون . الضالون . الطاغون . الظالمون . العمون . الغافلون . الفاسقون . الكاذبون . الكافرون . . الماكرون . المبطلون . المتكبرون . المجرمون . المعرضون . المعزولون . المعوقون . المفترون . المفسدون . المكذبون . المترون . المنافقون . المهطعون . الوجلون)
وقال عبد المنعم الجلياني : (احذر سبعة لا تصحبهم :

من يعوقك عن شيء من مصالح عيشك . ومن تميل إرادته إلى شيء لا تريده أنت، ومن تشينك صحبته في أعين الناس . ومن يبوح بسرك عند المباينة . ومن يلزمك عار في تسيبك له إن كرهته . ومن يكون عالة عليك لا ينفعك . ومن يخدعك ببره ليتسلط عليك)
وقد درس الإسلام هذه الانحرافات وقومها وعالجها . وقد اخترنا من هذه الانحرافات للدراسة : الإجرام والمجرمين .

الجريمة

١- اعتبر الإسلام المجرمين أناسا منحرفين شاذين ، يحتقرهم الله تعالى ، ويقرر عليهم عذابا شديدا في الآخرة (سَيُصيبُ الّذينَ أجْرَموا صغارٌ عِنْدَ اللهِ وَعذابٌ شَديدٌ) { الأنعام * ١٢٤ } .
٢- والمجرمون أناس يتصفون بالمكر (وَكذلِكَ جَعَلْنا في كُلِّ قَرْيَةٍ أكابِرَ مُجْرِميها لِيَمْكُروا فيها) { الأنعام * ١٢٣}
٣- وكثيرا ما يؤدي الاستكبار إلى الإجرام(فاسْتَكْبروا وَكانوا قَوْماً مُجْرِمينَ){ الأعراف* ١٣٣ }

٤- وليس المجرمون أعداء للأشخاص العاديين من الناس فقط ، بل قد يكونون أعداء للنبي نفسه : (وَكَذلك جَعَلنْا لِكُلِّ نبيٍّ عَدُواً مِنَ الْمُجْرِمينَ) [الفرقان * ٣١] .

موقف المؤمنين من المجرمين

حدد الإسلام هذا الموقف في ثلاثة بنود :

١- أن يبتعد المؤمنون عن المجرمين ، وهو يقوم على قطع العلاقات (وَلا تَتَوَلّوا مُجْرِمينَ) [هود * ٥٢]

٢- عدم مساعدة أي مجرم منهم (قَالَ رَبِّ بِما أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهيراً لِلْمُجْرِمينَ) [القصص * ١٧]

٣- الانتقام منهم (إنّا مِنَ الْمُجْرِمينَ مُنْتَقِمونَ) [السجدة * ٢٢]

المجرمون في الآخرة

١- يختلف المجرمون عن غيرهم في عالم الآخرة بصفات كثيرة (وَامْتازوا الْيَوْمَ أَيُّها الْمُجْرِمونَ) [يس * ٥٩]

٢- وتراهم مقيدين بالأصفاد (وَتَرى المُجْرِمينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنينَ في الأَصْفادِ) [إبراهيم * ٤٩]

٣- أما رؤوسهم فهي منكسة عند ربهم خجلا وشعورا بالذنب الذي اقترفوه (وَلَوْ تَرى إِذِ الْمُجْرِمونَ ناكِسوا رُؤوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ) [السجدة * ١٢] .

٤- وسيحشرون هنالك زرقا (يَوْمَ يُنْفَخُ في الصّورِوَنَحْشُرُ الْمُجْرِمينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً)[طه * ١٠٢]

٥- ويتمنى الواحد منهم أن يفتدي نفسه بأي شيء كان ، لكنه لا يستطيع (يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدي مِنْ عَذابِ يَومِئذٍ بِبنيهِ * وَصاحِبَتِه وَأَخيهِ * وَفَصيلَتِهِ التّي تُؤْيِهِ * وَمَنْ في الأَرْضِ جَميعاً ثُمَّ يُنْجيهِ * كَلاّ إِنّها لَظىً * نَزّاعَةً لِلشّو ى * تَدْعو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلّى * وَجَمَعَ فَأَوْعى) [المعارج * ١١- ١٨]

عقاب المجرمين

١- لا بد للمجرمين من عقاب ينتظرهم فيما بعد : (وَكَذلِكَ نَجْزي الْمُجْرِمينَ)[الأعراف * ٤٠]

٢- وسيكون مصيرهم جهنم ، لا يموتون فيها ولا يحيون : (إِنَّه منْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِماً فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَموتُ فيها وَلا يَحْيى) [طه * ٧٤]

٣- وسيخلدون في العذاب ، ولن ينتهي العذاب بالنسبة لهم أبدا : (إِنَّ الْمُجْرِمينَ في عذابِ جهنّمَ خَالِدونَ) [الزخرف * ٧٤] .

الأمراض النفسية

القرآن والأمراض النفسية

تعرّض القرآن الكريم للأمراض النفسية في خمسة مواضع :

١- (فترى الّذينَ في قُلوبِهِمْ مَرَضٌ) { المائدة * ٥٢ }

٢- (طبع اللّهُ عَلى قُلُوبِهِمْ) { النحل * ١٠٨ } ، وقد تكررت هذه الآية كثيرا .

٣- (الّذينَ خَسِروا أنْفُسَهُمْ) { الأنعام * ١٢ } .

٤- (وَلكِنْ قَسَتْ قُلوبُهُمْ) { الأنعام * ٤٣ }

٥- (وَجَعَلْنا عَلى قُلوبِهِمْ أكِنّةً) { الأنعام * ٢٥ } .

المرض النفسي والجنون

يخلط الناس عادة بين المرض النفسي والجنون ، فلا يجدون فرقا بينهما ، ويتصورون أنهما شيء واحد ، والحقيقة أن كلا منهما يختلف عن الآخر ، فما الفرق بينهما ؟

إن المجنون يكون مقتنعا قناعة كاملة وعميقة ومستمرة بأنه على صواب ، وأن نظرته للحياة هي الصحيحة ، وأن غيره من الناس مجانين ، وهكذا يكون الجنون تحررا كاملا من حقائق الدنيا ، أو أنه حالة اكتفاء ذاتي .

أما المريض نفسيا فإنه يحسّ اضطرابا في نفسه ، ولكنه بدلا من أن يلجأ للاكتفاء الذاتي يتولاه القلق من أجل هذا الاضطراب النفسي ، وكلما زادت وطأة الحالة النفسية عنده ازداد اجترارا لقلقه

كيف يتطور المرض النفسي ؟

يبدأ المرض النفسي بأن يستغرب المرء ما يشعر به ، وهنا يحاول تجاهل هذه الحالة الشاذة أو تعليلها أو قبولها .

بيد أنه لا يلبث طويلا حتى يشعر بأن مصدر هذه الحالات الشاذة قد انفصل عن مركز ذاته وثار عليه ، ولم يعد يستطيع الوقوف في وجهه ، ثم لا تقف هذه المشاعر عند حد الحالات النفسية بل تتجاوز حتى تعم الجسم ، ثم يتصور أنها استغرقت العالم الخارجي

يتدرج المريض من هذيان الاستغراب والشك ، إلى هذيان النقص والانحطاط ، وقد يصل أحيانا إلى هذيان إنكار وجوده وإنكار وجود العالم الخارجي (كما في الهستيريا وحالات القلق والوساوس والمخاوف المرضية)

أنواع الأمراض النفسية

أمراض ناشئة عن اضطرابات نفسية :

١- **الوسواس :** وصف الله تعالى الوسواس بأنه خناس،أي يؤخر صاحبه فيجعله متخلفا ، ولهذا كان الخناس اسما من أسماء الشيطان .

وقد اعتبر الإسلام الوسواس شرا نعوذ منه برب العالمين (مِنْ شَرِّ الوَسْوَاسِ الخَنَّاسِ* الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الجِنَّةِ وَالنَّاسِ) { الناس * ٤- ٦ } .
والوسواس هو الاسم من (وَسْوَسَ) ، ويصدر عن الشيطان (فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ * لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُرِيَ) { الأعراف* ٢٠ } .

قال فلاسفة الإسلام:إن الوسواس مرض يحدث من غلبة السوداء ويختلط معه الذهن أو مما يخطر بالقلب من شرور ، أو مما تهجس به النفس ، فيكون الموسوس هو النفس ذاتها (ولقد خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ) { ق * ١٦ } .

واعتبر الرسول صلى الله عليه وسلم أن مجرد وسوسة الوسواس لا تعتبر وزرا ما لم تؤد إلى كلام أو عمل ، فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم « إن الله تجاوز عن أمتي ما تحدث به نفسها ، أو وسوست به أنفسها ، ما لم تتكلم به أو تعمل به » متفق عليه .

٢- **الظن والشك والريب :** وهو موقف متأرجح بين قبول الحقيقة ورفضها .وقد فرق القرآن الكريم بين الظن والحق،فقال :(وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الحَقِّ شَيْئاً){ النجم * ٢٨ } ولذلك نهانا عنه واعتبر بعضه إثما (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ) { الحجرات* ١٢ }

ولذا لا عجب أن يعتبره الرسول صلى الله عليه وسلم نمطا من الكفر ، فقد قال : (الارتياب من الكفر) رواه ابن بابويه (١)

٣- **التشاؤم :** وهو ضد التيمن والتفاؤل ، ويقوم على اعتبارات فلسفية هي :
أ- الوجود كله شر ، والعدم خير من الوجود .
ب- الألم في الحياة غالب على اللذة .

وقد ذكرت الأمثال العربية نموذجا للتشاؤم ، فقالوا : (أشأم من طويس) ، ولما سئل طويس عن السبب الذي جعل العرب يتشاءمون منه قال : (ولدت يوم مات الرسول . وفطمتني أمي يوم مات أبو بكر . وبلغت الحلم يوم قتل عمر بن الخطاب وتزوجت يوم قتل عثمان بن عفان . وولد لي ولد يوم قتل علي بن أبي طالب) .

٤- **الشعور بالضيق :** وأسباب ذلك:

(١)- ابن بابوية : محمد بن علي القمي (٣٠٥- ٣٨٠ هـ/٩١٨- ٩٩١ م) ، محدث إمامي كبير، ارتفع شأنه في خراسان ، له نحو ٣٠٠ مصنف ، منها (الاعتقادات ، مجالس الوعظ ، المصابيح ، التوحيد)

تنازع بين الرغبات النفسية أو الفشل في تحقيق هذه الرغبات .
محاولة تفسير الأشياء والظواهر تفسيرا ذاتيا ، أو الاعتماد على التخمينات الظنية .
الهروب من صعاب الواقع ومشاكله .
عدم الإيمان الكامل بأن الله يستجيب للداعي إذا دعاه .
الخوف من مجاهل المستقبل .
الطموح الزائد أو الأماني الخفية الخيالية التي يصعب تحقيقها .
عدم التخطيط ، أو سوء التنظيم ، أو التواكل .
تأجيل تنفيذ المواضيع التي تحتمل بعض المشكلات .
كثرة الضجر ، أو الشكوى بدون مبرر لمسائل عَرَضية أو موقتة أو تافهة .
حب المدح وكراهية النقد .
اكتشاف غيرنا لضجرنا أو ضعفنا أو عجزنا .

٥- الخوف : للخوف أنواع عند الإنسان :

آ - يخاف المنافقون أن يطلع أحد على نفاقهم (يحْسَبونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ العَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ) { المنافقون * ٤ } .

ب- الخوف الذي يعتري المرء حينما يفاجأ بما لا يتوقع ، مثل : (خوف داوود عليه السلام حينما فوجئ بالخصمين أمامه وقد تسورا المحراب وهو في خلوته ، وخوف إبراهيم عليه السلام حينما رأى ضيوفه لا يمدون أيديهم للطعام الذي قدّمه لهم ولم يكن يعلم بأنهم ملائكة) .

جـ- خوف الإنسان من الإنسان : وهو خوف غير طبيعي (فَلا تَخْشَوا النّاسَ وَ اخْشَوْنِ) { المائدة * ٤٤ }

د- الخوف من الله تعالى : فقد فطر الله تعالى عباده على الخوف منه والإحساس بالعبودية له، وكان التخويف من بطش الله وانتقامه و عذابه ينأى بالإنسان عن الضلال .

ولهذا كان الخوف من الله عبادة : لأنه يحررنا من أنواع المخاوف ، فكيف كان ذلك ؟

إن الإسلام لا يعارض الخوف ، ولكنه يهذبه ويوجهه ويحدد انطلاقه ، فالإسلام يزرع الشجاعة في نفوس الأفراد لاقتلاع عقدة الخوف

إن الإيمان بالله يجعلنا لا نخاف الفقر (نَحْنُ قَسَمْنا بيْنهُمْ مَعيشَتَهُمْ في الحَيَاةِ الدُّنْيا) {الزخرف * ٣٢ }

ولا نخاف أحدا إلا الله لأنه هو الذي يملك الإعطاء والمنح ، فقد قال صلى الله عليه وسلم « إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله » رواه الترمذي .

٦- الحزن والغم : تحدث القرآن الكريم عن (الحزن) في ٤٢ مرة ، وبلفظ (الغم)

سبع مرات وقد جمع بين الحزن والخوف . لأن الخوف يكون من شيء أمامنا ، والحزن يكون من شيء فاتنا ، وكلاهما يؤدي للقلق :

فالرسول يدعو صاحبه في الغار أن لا يخاف و لا يحزن (ثانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُما فِي الغارِ إِذْ يَقولُ لِصاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنا) { التوبة * ٤٠ } ، (ادْخُلوا الْجَنَّةَ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَ لا أَنْتُمْ تَحْزَنونَ) { الأعراف * ٤٩ } ، (أَلا إِنَّ أَوْلياءَ اللّهِ لا خَوْفٌ عَلَيهِمْ وَ لا هُمْ يحْزنونَ) { يونس * ٦٢ } ، (مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَ الْيَوْمِ الآخِرِ وَ عَمِلَ صالِحاً فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنونَ){المائدة * ٦٩ } .

وقد ابتلى الله تعالى أنبياءه بالأحزان والمصائب ، منها :

أنه هبط بآدم وحواء من الجنة إلى أرض الابتلاء . وألقى إبراهيم عليه السلام في النار لولا أن تداركته رحمة الله . ويوسف عليه السلام أوذي من إخوته وبيع بثمن بخس وتعرض للفتنة والابتلاء . وأيوب عليه السلام ابتلي بالمرض . وعيسى عليه السلام تعرض لاضطهاد اليهود . ومحمد صلى الله عليه وسلم قوبل بالتكذيب والسخرية وحاول المشركون قتله .

فما الحكمة من الابتلاء والأحزان والمصائب ؟

أراد الله تعالى أن تعاني النفس الإنسانية حلو الحياة ومرها ، خيرها وشرها ، ويكون من ذلك تمحيص وتطهير، وتصفية وتنقية ، لتقبل على ربها ، وقد تهيأت للقائه بالخشوع،ولتقلع عن كل مصيبة

٧- **الحقد** : وهو مصدر (حَقَدَ) بمعنى أمست عداوته في قلبه ، يتربص فرصة للإيقاع بالخصم فهو حاقد وحقود .

ولم يرد في القرآن الكريم مفهوم الحقد (إسما أو فعلا) لكنه عالج الحقد بالتسامح و التآلف ، فقد قال : (وَ لا تَسْتَوي الْحَسَنَةُ وَ لا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذا الَّذي بَيْنَكَ وَ بَيْنَهُ عَداوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَميمٌ) { فصلت * ٣٤ }

٨- **اليأس** : وهو انقطاع الأمل في الخير ، ونقيض الرجاء . وصاحبه (يائس وميؤوس) واليأس خطيئة دينية لأنه كفر بنعمة الله تعالى ، وخطيئة أخلاقية لأنه اعتداء على النفس.والقانط إنسان خامل بليد مسلوب الإرادة ، ضعيف النشاط والحيوية ، دائم الخوف والفزع،تكتنفه الهواجس ، ويسحقه القلق ، ويعتريه شعور بالحقد على الآخرين.واليأس صفة في الإنسان تنشأ من أحد شيئين :

الأول : زوال النعمة أو الرحمة عنه (وَ لَئِنْ أَذَقْنا الإِنْسانَ مِنّا رَحْمَةً ثُمَّ نزعْناها مِنه إِنَّهُ لَيَؤوسٌ كَفورٌ) { هود * ٩ } .

و الثاني : من إصابته بالشر (وَ إِذا مَسَّهُ الشَّرُّ كانَ يَؤوسـاً) { الإسراء * ٨٣ } ، و قوله

(وَ إِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَؤوسٌ قَنوطٌ) { فصلت * ٤٩ }
وقد ورد اليأس مرة واحدة في القرآن الكريم بمعنى العلم و هو (أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذينَ آمَنوا أَنْ لَوْ يَشاءُ اللّهُ لَهَدى النّاسَ جَميعاً) { الرعد * ٣١ } .

وقد ورد اليأس في نواح مختلفة :

١- اليأس من المحيض (واللاّئي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحيضِ مِنْ نِسائِكُمْ) { الطلاق * ٤ }
٢- اليأس من الدين (الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذينَ كَفَروا مِنْ دينِكُمْ) { المائدة * ٣}
٣- اليأس من الآخرة (لا تَتَوَلَّوا قَوْماً غَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسوا مِنَ الآخِرَةِ) { الممتحنة * ١٣ } .
٤- اليأس من رحمة الله (أُولَئِكَ يَئِسوا مِنْ رَحْمَتي) { العنكبوت * ٢٣ }
٥- اليأس من روح الله (وَلا تَيْأَسوا مِنْ روحِ اللّهِ) { يوسف * ٨٧ }

وكل قنوط ورد في القرآن الكريم فهو من اليأس ، وآيات القنوط ستة فقط وهي :

١- (لا تَقْنَطوا مِنْ رَحمَةِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ يَغْفِرُ الذُّنوبَ جَميعاً) { الزمر * ٥٣ }
٢- (وَهُوَ الَّذي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ ما قَنَطوا) { الشورى* ٢٨ }
٣- (قالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلاّ الضّالّونَ) { الحجر * ٥٦ }
٤- (وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِما قَدَّمَتْ أَيْديهِمْ إِذا هُمْ يَقْنَطونَ) { الروم * ٣٦ }
٥- (قالوا بَشَّرْناكَ بِالْحَقِّ فَلا تَكُنْ مِنَ الْقانِطينَ) { الحجر * ٥٥ }
٦- (وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئوسٌ قَنوطٌ) { فصلت * ٤٩ }

والناس عادة قد يخلطون بين القنوط والقنوت :

فالقانط هو اليائس من رحمة الله المعترض على حكمة ربه ، أما القانت فهو الموحد بالله،الصادق مع الله ، لا يعصي الله أمرا (يا مَرْيَمُ اقْنُتي لِرَبِّكِ وَاسْجُدي وَارْكَعي مَعَ الرّاكِعينَ) { آل عمران * ٤٣ } { أَمَّنْ هُوَ قانِتٌ آناءَ اللَّيْلِ ساجِداً) { الزمر * ٩ } ، (إِنَّ إِبْراهيمَ كانَ أُمَّةً قانِتاً لِلّهِ حَنيفاً) { النحل * ١٢٠ } ، (فَالصّالِحاتُ قانِتاتٌ حافِظاتٌ لِلْغَيْبِ) { النساء * ٣٤ } .

أمراض ناشئة عن تطرف حب الذات

١- **التبجح والادعاء** : وهو يقوم على التفاخر والتعاظم والادعاء ، فيبرر الإنسان لنفسه ما لا يبرره لغيره : (أَتَأْمُرونَ النّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ) { البقرة * ٤٤ } ، وهؤلاء يذكرون أمورا لم تحصل في الواقع وإنما كانت تعيش في عقولهم (وَلا تَكونوا كَالَّذينَ قالوا سَمِعْنا وَهُمْ لا يَسْمَعونَ) { الأنفال * ٢١ } . والإنسان المتبجح مصاب بمرض نفسي خطير هو الإحساس بالمذلة أو الضعف ، وهو ناتج من ضعف الإيمان ، وعدم التوكل على الله ، وعدم

الاستعانة به .

٢- **التكبر** : وهو التعالي على الناس ، فيرى المتكبر نفسه خيرا من غيره لميزة يراها في نفسه كالمال أو النسب أو العلم أو الجاه .. وهو مرض يوجب غضب الله وسخط الناس، فالله لا يحب المتكبرين من الناس : (إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كانَ مُخْتالاً فَخوراً) {النساء * ٣٦ } .

وقد ذكر القرآن الكريم نموذجا من سلوك الإنسان المتكبر وبيّن فيه ثلاثة مظاهر : تصعير الخد،والمشية المختالة ، والصوت المتعالي ، وفي هذا يقول (وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنّاسِ) { لقمان * ١٨ } ، (وَاقْصِدْ في مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ) { لقمان * ١٩ } .

ولهذا كانت النار مثوى المتكبرين ، فقد روى عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما،عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « لا يدخل الجنة من كان في قلبه ذرة من كبر » رواه مسلم والترمذي .

وقد ينشأ التكبر من غرور العلم ، فقد ورد في الحديث الشريف « آفة العلم الخيلاء » .

وقال أيضا : « من تعلم العلم ليجاري به العلماء أو يماري به السفهاء ، ويضرب به وجوه الناس أدخله الله النار » .وقد بيّن الإسلام أن الله تعالى هو الذي يحق له الاتصاف بالكبرياء (وَلَهُ الْكِبْرِياءُ في السَّمواتِ والأَرْضِ وَهُوَ الْعَزيزُ الْحَكيمُ) { الجاثية * ٣٧ } .

وجاء في الحديث القدسي : « الكبرياء ردائي ، والعظمة إزاري ، فمن نازعني فيهما قصمته ولا أبالي » أخرجه أبو مسعود وأبو داوود . ومعنى قصمته : أذللته وأهنته أو قربت هلاكه .

٣- **الأنانية** : وهي مبالغة وانحراف في حب الذات ، كما أنها شره وتكالب على الدنيا، وهي تدفع صاحبها لطلب الشهوات واتباع الأهواء وموافقة غواية الشيطان .

٤- **الغرور** : وهو يجعل صاحبه يمدح نفسه باستمرار (أَلَمْ تَرَ إِلى الَّذين يُزَكّونَ أَنْفُسَهُمْ) {النساء* ٤٩ } ، ويكفي أن نذكر من عقوبات الغرور أن إبليس هبط من سمائه إلى أرضه حين قال : (أنا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَني مِنْ نارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طينٍ) { الأعراف * ١٢ } .

٥- **البطر** : وهو دهشة وحيرة تعتري الإنسان من سوء احتمال النعمة عند قدومها،أو طغيان بالنعمة وصرفها إلى غير وجهها ، أو نتيجة الاستخفاف والجهل بها . قال تعالى : (وَلا تَكونوا كَالّذينَ خَرَجوا مِنْ دِيارِهِمْ بَطَراً وَرِئاءَ النّاسِ) { الأنفال * ٤٧ } .

ولابد لعلاج البطر من الزهد ، فقد قيل :

(كن زاهدا .. فإن في الزهد راحة للبدن من التعب . وإعتاقا للنفس من العبودية . وقطعا للحسرة ، وإذهابا للندامة ، وتخفيفا للسأم)

٦- **الشعور بالنقص** : وهؤلاء يتظاهرون بالضعف وهم أقوياء ، فإذا أنعم الله

عليهم بنعمة أخفوها ، وإذا سترهم زعموا أن الله كاشفهم ، وشكوا من الفضيحة ، وإذا رزقهم مالا كنزوه فلا يعرف أحد مكانه .

أمراض ناشئة عن تطرف حب الاستطلاع

١- **النميمة** : اسم من (النّم) وهو الوشاية والإفساد ، يقال (نَم الحديث) : أظهره بالوشاية ورفعه على وجه الإشاعة والإفساد ، ويقال (نَم الكلام) : زيّنه بالكذب . و (النمّام) هو الذي يذكر عيوب الناس ويكشف ما يكرهون كشفه .

وهكذا فالنميمة هي السعي بين الناس بالكلام ، أي نقل كلام بعضهم لبعض بقصد الإفساد بينهم ، وهي من كبائر الذنوب ، ولو كان الناقل صادقا فيما ينقله من حديث .

وقد ذكر الفقهاء في هذا لغزا فقالوا : (ما الصدق الذي يؤدي إلى النار ، والكذب الذي يؤدي إلى الجنة ؟) .

والجواب : الأول للنميمة ، والثاني لإصلاح المتخاصمين ولو كان بكلام كاذب بقصد الإصلاح فيما بينهم .

قال تعالى : (وَلا تُطِعْ كُلَّ حلاّفٍ مَهِينٍ * هَمّازٍ مَشّاءٍ بِنَمِيمٍ * مَنّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أثِيمٍ) { القلم ١٠- ١٢ } ، والتفسير : حلاف : كثير الحلف بالباطل . مهين : حقير . همّاز: عيّاب للناس. مشاء بنميم : يسعى للإفساد عن طريق النميمة . مناع للخير : بخيل بالمال عن الحقوق . معتد أثيم : ظالم آثم .

وقال حذيفة بن اليمان [٢] رضي الله عنه ، سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يدخل الجنة قتات » أي نمام ، ورواه مسلم « لا يدخل الجنة نمّام » .

والفرق بين النميمة والافتراء :

أن النميمة هي كشف عن العيوب الموجودة فعلا عند الناس ، على حين أن الافتراء كذب واختلاق ، وكلاهما مما نهانا الله عنه .

٢- **الغيبة** : وهي ذكرك أخاك المسلم بما يكره ، ولو كان ما تذكره موجودا فيه ، والغيبة محرمة بل هي من الكبائر .

وقد نهانا الله تعالى عن الغيبة ، وشبه المغتاب بمن يأكل لحم أخيه ميتا (وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ) { الحجرات * ١٢ } .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « أتدرون ما الغيبة ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : ذكرك أخاك بما يكره » رواه مسلم وأبو داود والترمذي .

ولهذا قالوا في الأمثال العربية : (إن الكريم ينصح ، واللئيم يفضح) ، وقالوا (الغيبة جهد

(٢)- حذيفة بن اليمامة العبسي (توفي ٣٥ هـ / ٦٥٦ م) ، صحابي ، من الولاة الشجعان ، صاحب سر النبي صلى الله عليه وسلم . ولي على المدائن وتوفي فيها ، له في كتب الحديث ٢٢٥ حديثا .

العاجز) وأجاز العلماء الغيبة بالفاسق : وهو الخارج عن طاعة الله والمجاهر بالمعصية ، وذلك ليحذره الناس ، أو بقصد أن تبلغه الغيبة فيرتدع .

٣- **التجسس** : وهو البحث عن عورات الناس ، وهو أمر منهي عنه ، لأن المسلم الحق لا يفضح غيره بل يستره ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: (.. من ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة) رواه مسلم وأبو داود والترمذي.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « إياكم والظن فإن الظن كذب الحديث ، ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخوانا (٣) » رواه الأربعة .

٤- **الكذب** : إن الصدق هو جماع الفضائل في الإسلام ، وهو ميزان العبادات والمعاملات مع الله والناس (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقوا ما عاهَدوا اللّهَ عَلَيهِ) { الأحزاب * ٢٣}، والتمسك بالصدق شرط أساسي من شروط النجاة من المسؤولية أمام الله يوم القيامة (يا أَيُّها الَّذينَ آمنوا اتَّقوا اللّهَ وَكونوا مَعَ الصّادِقينَ) { التوبة * ١١٩ }

وقال صلى الله عليه وسلم : « عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة ، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يُكتب عند الله صديقا . وإياكم والكذب،فإن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار ، وما زال الرجل يكذب،ويتحرى الكذب حتى يُكتب عند الله كذابا » .

والكذب قلب للحقائق ، وهو ضد طبيعة الأشياء .

وقد فصل الفقهاء في أمر الكذب فقالوا : الكذب خمسة أقسام .

١- واجب : لينقذ الإنسان المسلم نفسه أو ينقذ غيره من المسلمين .

٢- حرام : وهو الكذب بغير منفعة .

٣- مندوب : وهو الكذب للكفار إذا أخذ المسلمون يستعدون للحرب وكان قصدهم من الكذب إرهاب الأعداء .

٤- مكروه : وهو الكذب على الزوجة تطييبا لنفسها .

٥- مباح : وهو الكذب الذي يهدف للإصلاح بين الناس المتخاصمين .

أمراض ناشئة عن الخبث

١- **الحسد** : إذا حسد الإنسان غيره فمعنى ذلك أنه : يتمنى زوال النعمة عن غيره وتحوّلها إليه ، قال صلى الله عليه وسلم : « استعينوا على أموركم بالكتمان ، فإن كل ذي نعمة محسود » رواه الطبراني والبيهقي .، واعتبر الله تعالى الحسد شرا من الشرور التي

(٣)- التحسس : الاستماع لحديث قوم . التدابر : فعل ما يوجب البغض .

نستعين بالله منها (قُلْ أَعوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِنْ شَرِّ ما خَلَقَ * وَمِنْ شَرِّ غاسِقٍ إذا وَقَبَ * وَمِنْ شَرِّ النَّفّاثاتِ في الْعُقَدِ * وَمِنْ شَرِّ حاسِدٍ إذا حَسَدَ) { الفلق * ١- ٥ } .

أما أضرار الحسد فقد بيّن الرسول صلى الله عليه وسلم أنها ترجع للحاسد أولا وآخرا، قال : «لله در الحسد ما أعدله ، بدأ بصاحبه فقتله » .

وفي هذا يقول معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه : « ليس في خصال الشر أعدل من الحسد: يقتل الحاسد قبل أن يصل إلى المحسود » .

وقال أبو الليث السمرقندي : « يصل إلى الحاسد خمس عقوبات قبل أن يصل حسده إلى المحسود : غم لا ينقطع ، ومصيبة لا يؤجر عليها ، ومذمة لا يُحمدَ عليها ، وسخط من الله تعالى ، وإغلاق باب التوفيق » .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « إياكم والحسد،فإن الحسد يأكل الحسنات ، كما تأكل النار الحطب » رواه أبو داود وابن ماجه .

أما حسد العين ، فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم « العين حق »

وقال أيضا : « اتقوا العين فإنها تدخل الرجل القبر ، والجمل القدر » .

٢- **المكر** : المكر خداع واحتيال ، قال تعالى (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذينَ كَفَروا لِيُثْبِتوكَ أَوْ يَقْتُلوكَ أَوْ يُخْرِجوكَ) { الأنفال * ٣٠ }

ثم بين أن نتيجة المكر إنما ترجع لصاحبها (وَلا يَحيقُ الْمَكْرُ السَّيِّءُ إلاّ بِأَهْلِهِ) { فاطر * ٤٣ }

وقد نسب الله تعالى المكر لنفسه ، ولكنه مكر فيه سمو وقدسية (وَمَكَروا وَمَكَرَ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْماكِرينَ) { آل عمران * ٥٤ }

٣- **الشماتة** : وهي السرور بمصائب الآخرين والامتعاض إذا تعرضوا لأفراح ، قال تعالى : (إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحوا بِها) { آل عمران * ١٢٠ }

أمراض ناشئة عن التطرف في حب الآخرين

١- **النفاق** : وهو إخفاء الكفر في القلب ، وإظهارالإيمان باللسان :

أ- بيّن الله تعالى أن المنافقين يقولون بألسنتهم ماليس في قلوبهم (يَقولونَ بِأَفْواهِهِمْ ما لَيْسَ في قُلوبِهِمْ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِما يَكْتُمونَ) { آل عمران * ١٦٧ }

ب- وذكر الرسول صلى الله عليه وسلم دلائل النفاق ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف،وإذا أؤتمن خان » رواه الأربعة .

جـ- ووصفهم الله تعالى بالخداع والتكاسل وقلة الذكر : (إِنَّ الْمُنافِقينَ يُخادِعونَ اللّهَ وَهُوَ خادِعُهُمْ وَإِذا قاموا إِلى الصَّلاةِ قاموا كُسالى يُراؤون النّاسَ وَلا يَذْكُرونَ اللّهَ إِلاّ قَليلاً) {النساء

* ١٤٢ }
د- ولذلك فهم يتصفون بالكذب وذلك بشهادة الله تعالى (وَاللّهُ يَشْهَدُ إِنَّ المُنَافِقِينَ لَكَاذِبونَ) { المنافقون * ١}
هـ- وهم في أغلب أحوالهم متأرجحون متذبذبون ، لا يستقر لهم قرار ولا يهدأ لهم حال ، إنهم في اضطراب نفسي مستمر (مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذلِكَ لا إلى هَؤُلاءِ وَلا إلى هَؤُلاءِ) { النساء * ١٤٣ } .
و- أما عقابهم فسيكون أليما (بَشِّرِ المُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذاباً أليماً) { النساء* ١٣٨ } ، وإذا شئنا التحديد فهم في أســفل النار (إِنَّ المُنَافِقِينَ في الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النّارِ) { النــساء * ١٤٥} .
٢- الرياء : عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : «من سمّع سمّع الله به - أي فضحه يوم القيامة - ومن يرائي يرائي الله به » . رواه الشيخان والترمذي .
٣- الغيرة : وهي سلاح الشك ، وتهدف للحفاظ على الحب ، لكنها تقضي على الثقة وتغرس بذور الكراهية ، وتتغلغل في طيات اللاوعي .
والإنسان الغيور يتصور دائما الأمثل ، فهو لا يشعر بالاستقرار ويحسّ بالحرمان من العطف والحنان ، وكثيرا ما تؤدي الغيرة إلى فشل المرء وعجزه عن التكيف الاجتماعي .
والغيرة على أنواع منها : (غيرة التملك ، وغيرة الكتمان ، والغيرة الملتوية ، والغيرة الفاضحة المفتعلة) .

أمراض ناشئة من تطرف العلاقة بالجن

المس : يتسلط الشيطان على الإنسان بالإغواء ، وهذا بالاتفاق ، ولكن هل يتسلط عليه بالضرر ؟
قال المعتزلة (٤) ليس للشيطان ذلك لقوله تعالى : (وَما كانَ لي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطانٍ إلاّ أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لي) { إبراهيم * ٢٢ } .
وقال أهل السنة : إن الشيطان يتسلط على الإنسان بالهلاك والإضرار في جسمه وعقله، وهذا ثابت بالكتاب والسنة والواقع المحسوس : فقد ورد في القرآن الكريم (الّذين يَأْكُلونَ الرِّبا لا يَقومونَ إلاّ كَما يَقومُ الّذي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطانُ مِنَ المَسِّ) { البقرة * ٢٧٥ } ، وقال : (الّذي يُوَسْوِسُ في صُدورِ النّاسِ) { الناس * ٥ }
ومن الحديث قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « فناء أمتي بالطعن والطاعون ، ووخز أعدائكم من الجن ، وفي كل شهادة » رواه النسائي وأحمدوالطبراني .

(٤)- التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، منصور علي ناصف ٢١٤.

الناحية العلاجية

التحليل النفسي

قام بعض العلماء المسلمين بممارسات في علم النفس ، سبقوا بها العلماء المحدثين بقرون عديدة،فقد تعمقوا بدراسة النفس الإنسانية ، وتحليل عقدها ، وأمراضها وانحرافاتها .. نذكر منهم العلامة ابن سينا .

ورد في كتاب (جهار مقالة [٥] أن ابن أخت شمس المعالي قابوس بن وشمكير [٦] كان في مقتبل الشباب ولم يكن يتجاوز العشرين من عمره ، وقد مرض مرضا شديدا ، قلّ فيه طعامه، فضعف جسمه ، وهزلت أعضاؤه ، واصفر لونه ، وعجز الأطباء عن مداواته ، فلم ينفع فيه دواء ، ولم يصلح لحاله علاج . وبعد أن جرب أهله كافة الأطباء في عصره ، ولم يجدوا فائدة على يد أي واحد منهم ، سمعوا بشهرة الفيلسوف البارع والطبيب الحاذق (ابن سينا) فاستدعوه .

اجتمع ابن سينا بالشاب المريض في جلسة طويلة ، تعرّف الطبيب فيها على المرض ولكنه أراد التأكد،فماذا فعل ؟

طلب ابن سينا أن يأتوه بشخص يعرف جميع أحياء البلدة وشوارعها ، فلما حضر الشخص اجتمع به ابن سينا مع الشاب المريض ، وطلب من هذا الشخص أن يعدّد له أسماء شوراع البلدة شارعا شارعا ، وكان ابن سينا يمسك بيده معصم المريض ليتعرف على سرعة نبضه ، فعندما وصل الشخص في تعداده إلى اسم شارع معيّن أسرع نبض المريض ، فعلم ابن سينا أن مشكلة المريض تكمن في هذا الشارع دون غيره من الشوارع .

وفي اليوم الثاني طلب ابن سينا أن يأتوه بشخص آخر يعرف جميع البيوت الموجودة في هذا الشارع ، وعندما وصل الشخص في تعداده إلى اسم بيت معين ، أسرع نبض المريض ، فعلم ابن سينا أن المشكلة تحددت في هذا البيت دون غيره من البيوت .

وفي اليوم الثالث طلب ابن سينا أن يأتوه بشخص آخر يعرف جميع من يسكن في هذا البيت فردا فردا ، وعندما وصل الشخص في تعداده إلى اسم فتاة معينة أسرع نبض المريض .

هنا تأكد ابن سينا أن الشاب المريض يحب هذه الفتاة حبا شديدا سيطر عليه ، وأوصله إلى هذه الدرجة من المرض والإعياء .

ولم يكن لدى الشاب المريض الجرأة على مفاتحة أبويه بهذا الحب العارم ، فقد كان الشاب المريض من طبقة الأغنياء والحكام في المجتمع ، والفتاة من عامة الناس وفقرائهم .

(٥)- جهار مقالة . النظامي العروضي السمرقندي ٧٨

(٦)- قابوس بن وشمكير (توفي ٤٠٢ هـ / ١٠١٢ م) ، ديلمي مستعرب ، أمير جرجان وطبرستان،وليها ٣٦٦ هـ ، نابغة في الأدب ، له شعر بالعربية والفارسية .

ولكن أهله عندما علموا من ابن سينا أن شفاء ابنهم في التزوج بهذه الفتاة ، عقدوا لهما وزفوها إليه ، فشفي من مرضه ، وعاد إلى حالته الطبيعية .

الطب النفسي

عالج العلماء المسلمون كثيرا من الأمراض النفسية والعصبية كالهستريا والماليخوليا والهوى والعشق ، وربطوا بينها وبين ما يحدث من شلل الجسم وشلل الوجه .

كما عالجوا الصرع بقسميه البدني والنفسي ، وعرضوا للكابوس والأمراض العقلية .. مما يؤكد أن المسلمين كانوا رواد الطب النفسي في العالم . نذكر منهم :

١- **الرازي** : فقد تناول في كثير من مؤلفاته الأحوال النفسية كالنوم والسرور والحزن ، كما ألف رسالة عن الطب الروحي .

٢- **الكندي** : اشتغل الكندي - وهو فيلسوف العرب الأول - بالعلاج الروحي والنفسي ، وألف كتاب (العلاج الروحي)

٣- **ابن سينا** : عالج الموضوعات التي ترتبط فيها الجوانب النفسية ، بالجوانب الجسدية ، وعالج كثيرا من الأمراض النفسية .

٤- **ابن الجوزي** [٧] : اهتم بالطب النفسي ، وعالج الأمراض البدنية ذات المصدر النفسي ، وقد ألف (ذم الهوى . الطب الروحاني) .

(٧)- عبد الرحمن بن محمد الجوزي(٥٠٧ - ٥٩٧ هـ / ١١١٤- ١٢٠١ م) ، مولده ووفاته في بغداد ،فقيه حنبلي ، علامة في التاريخ والحديث ، وكان خطيبا . له نحو ٣٠٠ مصنّف ، منها (روح الأرواح. المنتظم في تاريخ الأمم) .

البعد الاجتماعي

نَظّم الإسلام العلاقات الاجتماعية بين الفرد والأُفراد الآخرين في المجتمع ، بحيث يصبح أفراد المجتمع كأنهم كيان واحد أو بنيان متماسك .

فعن النعمان بن بشير رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو ، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » رواه الشيخان .

نذكر من هذه العلاقات الاجتماعية :

الأنبياء عليهم السلام

لابد من الاعتقاد بعصمة الأنبياء ، واتصافهم بالصدق ، وتنزيههم عن الكذب والخيانة ، وعن كل ما فيه أدنى نقص .

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

ويجب بشكل خاص تعظيم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم سيد الكائنات والمنقذ من الضلالات ، الهادي إلى الحق والداعي إلى الرشد ، نبي الرحمة وهادي الأمة . ويتحدّد موقفنا تجاهه في الأمور التالية :

١- محبته محبة عميقة مستمرة ، وهذه المحبة ترتبط بالإيمان ، قال صلى الله عليه وسلم: « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين » أخرجه البخاري .

٢- أن لا ننسب للرسول صلى الله عليه وسلم مالم يقله ، فقد قال : « من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » متفق عليه .

٣- أمر الله تعالى المؤمنين بالصلاة على النبي (يا أيُّها الّذينَ آمَنوا صَلّوا عَليْهِ وسلّموا تَسْليماً) { الأحزاب * ٥٦ } .

وهذه الصلاة واجبة كلما ذُكر النبي صلى الله عليه وسلم ، وتنفي عن صاحبها البخل ، قال صلى الله عليه وسلم : « بحسب المؤمن من البخل أن أُذكر عنده فلا يصلي علي » .أخرجه البيهقي .

والملائكة تصلي على المسلم مادام يصلي على النبي ، قال صلى الله عليه وسلم : « ما من عبد يصلي عليّ إلا صلت عليه الملائكة مادام يصلي » أخرجه ابن ماجة .

وبالإكثار من هذه الصلاة تَغفر الذنوب ، قال صلى الله عليه وسلم (أكثروا من الصلاة علي،فإن صلاتكم علي مغفرة لذنوبكم واطلبوا لي الدرجة والوسيلة ، فإن وسيلتي عند ربي

شفاعتي لكم » أخرجه ابن عساكر .[1]

٤- زيارة قبره الشريف : فقد قال صلى الله عليه وسلم « من زار قبري وجبت له شفاعتي » أخرجه ابن عدي [2] والبيهقي .

وحكم الزيارة بعد الوفاة كالزيارة في الحياة ، قال صلى الله عليه وسلم « من زار قبري بعد مماتي فكأنما زارني في حياتي ، ومن زارني في حياتي وجبت له شفاعتي » أخرجه الطبراني والدارقطني [3] .

الخاصة

آل البيت

رضي الله عنهم أجمعين،وهم حصراً ، الأقربون الأدنون من أسرة النبي صلى الله عليه وسلم، نسباً .

الصحابة الكرام

قال صلى الله عليه وسلم : « أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » أخرجه البيهقي.

لهذا يجب حبهم واتباع سننهم والاعتراف بفضلهم وحفظ حرمتهم ، قال صلى الله عليه وسلم : « احفظوني في أصحابي وأصهاري ، فمن حفظني فيهم حفظه الله ، ومن لم يحفظني فيهم تخلى الله عنه » أخرجه الطبراني وأبو نعيم [4]

الأئمة الأربعة

وهم أئمة مجتهدون ، انعقد الإجماع على اتباعهم ، وهم :

١- أبو حنيفة النعمان [5] ، رحمه الله صاحب المذهب الحنفي .

(١)- ابن عساكر : علي بن الحسن (٤٩٨ -٥٧١ هـ / ١١٠٥ - ١١٧٦ م) مولده ووفاته بدمشق،مؤرخ حافظ رحالة ، محدث الديار الشامية ، صاحب التاريخ الكبير ،من مؤلفاته (الإشراف على معرفة الأطراف) في الحديث .

(٢)- ابن عدي : عبد الله بن عدي الجرجاني (٢٧٦- ٣٦٥ هـ / ٨٩٠ - ٩٧٦ م) ، علامة بالحديث ورحّالة.ألف(الكامل في معرفة الضعفاء والمتروكين من الرواة ،علل الحديث، أسامي من روى عنهم البخاري)

(٣) - علي بن عمر الدار قطني (٣٠٦- ٣٨٤ هـ ٩١٩ -٩٩٥ م) ، إمام عصره في الحديث ، ولد بدار القطن من أحياء بغداد ، ألف (السنن ، المجتبى ، المؤتلف والمختلف) .

(٤) - أبو النعيم : أحمد بن عبد الله الأصبهاني (٣٣٦ - ٤٢٩ هـ/ ٩٤٨ - ١٠٣٨ م) ، حافظ مؤرخ من الثقات في الحفظ والرواية ، ولد ومات في أصبهان ، من مؤلفاته (معرفة الصحابة ، طبقات المحدثين والرواة ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء) .

(٥)- أبو حنيفة . النعمان بن ثابت (٧٩ - ١٤٩ هـ/ ٦٩٩ - ٧٦٧ م) ، ولد ونشأ في الكوفة ، رفض منصب القضاء ، قوي الحجة ، ألف (المسند في الحديث ، المخارج ، الفقه الأكبر) .

٢- محمد بن إدريس [٦] ، رحمه الله صاحب المذهب الشافعي .

٣- مالك بن أنس ، رحمه الله صاحب المذهب المالكي .

٤- أحمد بن حنبل ، رحمه الله صاحب المذهب الحنبلي .

ويجب تقليد واحد منهم بالاعتقاد والعمل بلا اعتراض ، ولا تنقيص للمذهب ، فقد اجتهدوا ونقحوا وبحثوا فجزاهم الله عن الإسلام خير الجزاء .

أصحاب الكتب الصحيحة

يجب الاعتراف بفضل من صنف الكتب ودوّن الأحكام ، وبشكل خاص أصحاب الكتب الصحيحة كالبخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه والنسائي وابن حبان ، وذلك بالأخذ منها ما وافق الإمام الذي يقلده .

الخليفة

إن علاقة الفرد بالحاكم تتفرع إلى نوعين من العلاقات :

١- علاقة الحاكم بالمحكوم : وهي تقوم على الاستقامة في الحكم (وَاسْتَقِمْ كما أُمِرْتَ) {الشورى* ١٥ }

٢- علاقة المحكوم بالحاكم : وهي تقوم على طاعة الحاكم بتنفيذ أوامره ونواهيه : (أطيعوا اللّهَ وَأَطيعوا الرّسولَ وَأُولي الْأَمرِ مِنْكُمْ) { النساء * ٥٩ } .

لهذا أمرنا الله تعالى بإطاعة الحاكم العادل مالم يأمر بمعصية ، فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » أخرجه الحاكم وأبو داود والنسائي .

الأقرباء

الوالدان

١- بر الوالدين عبادة : إن علاقة الابن بأبويه علاقة إطاعة تامة ومعاملة بالحسنى،قال تعالى :(وَقَضى رَبُّكَ أَلاّ تَعْبُدوا إلاّ إِيّاهُ وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً إِمّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبرَ أَحَدُهُما أَوْ كِلاهما * فَلا تَقُلْ لَهُما أُفٍ وَلا تَنْهَرْهُما وقُلْ لَهُما قَوْلاً كَريماً * وَاخْفِضْ لَهُما جَناحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُما كَما رَبَّياني صَغيراً) { الإسراء * ٢٣ - ٢٤ } .

٢- بر الوادين كفارة للكبائر : قال مكحول [٧] : « بر الوالدين كفارة للكبائر » .

٣- هل الإطاعة بمعصية ؟ قال تعالى (وَوَصّيْنا الْإنْسانَ بوالِدَيْهِ حُسْناً وَإِنْ جاهَداكَ لِتُشْرِكَ بي مالَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُما) { العنكبوت * ٨ } ، قال سيدنا الحسن [٨] رضي الله عنه :

---

(٦)- محمد بن إدريس الشافعي (١٤٩ - ٢٠٤ هـ/ ٧٦٧ - ٨٢٠ م) ، ولد في غزة وتوفي في مصر،نشأ في مكة وقدم إلى بغداد ، أول من دوّن علم الفقه ، من مؤلفاته كتاب (الأم)

(٧)- مكحول بن أبي مسلم (توفي ١١٢ هـ / ٧٣٠م) ، هذلي بالولاء ، فقيه الشام في عصره ، من حفاظ الحديث ، أصله من فارس ، رحل في طلب الحديث ، ثم استقر في دمشق

(٨)- الحسن :زين العابدين (٢٢٨ - ٣٠٤ هـ/ ٨٤٤ - ٩١٧ م) ، ولد في المدينة وتوفي في (آمل) بطبرستان ، عالم وشاعر ، وفقيه وسياسي ، حكم طبرستان ، وهو عند الزيديين وأهل اليمن إمام يسمونه (الناصر الأكبر) .

«البر أن تطيعهما في كل ما أمراك به مالم تكن معصية » .

٤- منزلة الأم : أفرد الإسلام للأم مكانة خاصة : فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال « جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يارسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي ؟ قال : أمك . قال : ثم من ؟ قال : أمك . قال : ثم من ؟ قال : أمك . قال ثم من ؟ قال : أبوك » أخرجه الترمذي والنسائي والإمام أحمد .

٥- كيف يكون بر الوالدين ؟ : إن الإحسان للوالدين بمصاحبتهما بالمعروف ، فإن احتاجا إلى الطعام أطعَمَهما ، وإلى كسوة كساهما ، وإلى خدمة خدمهما ، وإن دعياه أجابهما ، وإن أمراه أطاعهما . وإن سألاه أجابهما باللين ، ويرضى لهما ما يرضاه لنفسه ، ويكره لهما ما يكره لنفسه ، ويدعو لهما بالمغفرة كلما دعا لنفسه .

٦- وبر الوادين أفضل من الجهاد : فقد سئل صلى الله عليه وسلم : « أي الأعمال أفضل ؟ فقال : الصلاة لوقتها ، ثم بر الوالدين ، ثم الجهاد في سبيل الله » أخرجه البخاري .

٧- برهما بعد موتهما : وذلك بالتصدق عنهما والدعاء لهما ، قال تعالى « رَبِّ ارْحَمْهُما كَما رَبَّياني صَغيراً) { الإسراء * ٢٤ } وزيارة قبرهما ، قال صلى الله عليه وسلم : « من زار قبر والديه أو أحدهما يوم الجمعة ، فقرأ عنده يسن غفر الله له وكُتب بارا » رواه ابن عدي .

وكذلك صلة أهل ودهما ، قال صلى الله عليه وسلم « إن أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولي الأب » رواه أحمد والبخاري وأبو داود والترمذي وصححه السيوطي .

٨- والعقوق من أكبر الكبائر ، قال صلى الله عليه وسلم « ألا أخبركم بأكبر الكبائر ؟ قالوا : بلى يارسول الله . قال : الإشراك بالله وعقوق الوالدين ». أخرجه البخاري ومسلم والترمذي .

٩- وللولد على الوالد حقوق واجبة كالنفقة والكسوة بالمعروف ، والأمر بالصلاة إذا بلغ سبع سنين والضرب عليها إذا بلغ عشر سنين ولم يصلِّ ، وكذلك التفريق بين الذكور والإناث في المضاجع . ولابد أن يحسن الأب تسمية ابنه ويختنه ، ويسوّي في العطاء بين الذكر والأنثى ويعلمه .

الزوجان

إن الزوجية لحمة من النسب ، وعلى كل من الزوجين حقوق ، وقد نظّم الإسلام العلاقة الزوجية في النواحي التالية :

١- حقوق الزوجة : وهي واجبات فرضها الله على الزوج كالنفقة بالمعروف وإعفاف الزوجة،ولا يجوز منعها من زيارة أبويها ، وعليها الاحتشام في اللباس .

٢- أما حقوق الزوج : فقد قال صلى الله عليه وسلم : « لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها » أخرجه الترمذي .

إنها سجدة عرفان وتقدير تلك التي تسجدها الزوجة ، لوكان يسوّغ لأحد من العباد أن يسجد

لأحد . أما ولا سبيل إلى السجود فليكن شعور الحمد والشكر يفعم قلب الزوجة ويمتلكها .
إن الزوج أمير باذل وراع عامل ، ومن الحق أن يطاع الأمير في حدود الطاعة التي شرعها الله تعالى ، أما أن تشق عليه العصا وتعلن الثورة بلا جريرة ولا وزر فذلك هو الجحود والكفران.
وأعطى الله تعالى حق القوامة للرجل (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذي عَلَيهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ) { البقرة * ٢٢٨ } ، وقال أيضا (الرِّجالُ قَوّامونَ على النِّساءِ بِما فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ وَ بِما أَنْفَقوا مِنْ أَمْوالِهِمْ) { النساء * ٣٤ }
أما علاجات نشوز المرأة فقد بدأها الله تعالى بمطالبة الرجال بمعاشرة النساء بالمعروف ، ثم تحدث عن الكراهية التي تنشأ بين الزوجين فقال : (وَعاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْروفِ فَإِنْ كَرِهْتُموهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللّهُ فيهِ خَيراً كَثيراً) { النساء * ١٩ }
أما عندما ينشأ الخلاف بين الزوجين فلا بد من العلاج ، فكيف يكون ذلك ؟
جاء العلاج الإسلامي متدرجا من الموعظة للهجر للضرب (وَاللاّتي تَخافونَ نُشوزَهُنَّ فَعِظوهُنَّ وَاهْجُروهُنَّ في الْمَضاجِعِ وَاضْربوهُنَّ) { النساء * ٣٤ }
فإن لم ينفع ذلك وصلنا إلى التحكيم (وَإِنْ خِفْتُمْ شِقاقَ بَيْنِهِما فَابْعَثوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِنْ أَهْلِها إِنْ يُريدا إِصْلاحاً يُوَفِّقِ اللّهُ بَيْنَهُما) { النساء * ٣٥ } .
ثم تحدث عن الطلاق واعتبره أبغض الحلال إلى الله ، فعن ابن عمر رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال « أبغض الحلال إلى الله عز وجل الطلاق » رواه أبو داود والحاكم .

الأرحام

الرحم هو من يتصل بك بنسب أو قرابة : الأبوان وإن علوا ، والأولاد و إن نزلوا ،والإخوة والأخوات ، والأعمام والعمات والأخوال والخالات وأبناؤهم .
وقد قال صلى الله عليه وسلم : « إن الرحم تعلقت بالعرش ، وقالت : يا رب صل من وصلني واقطع من قطعني » أخرجه ابن النجار [٩] عن أنس بن مالك [١٠] رضي الله عنه .
وقد ربط الإسلام وصل الرحم بتقوى الله (وَاتَّقوا اللّهَ الَّذي تَساءَلونَ بِهِ وَالأَرْحامَ إِنَّ اللّهَ كانَ عَلَيْكُمْ رَقيباً) { النساء * ١ } .
ويجب اعطاء كل ذي حق حقه من نفقة أو زيارة أو هدية أو سلام أو سؤال عنه : (إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ

(٩)- ابن النجار-محمد بن محمود (٥٧٨- ٦٤٢ هـ/ ١١٨٣- ١٢٤٥ م) ، ولد وتوفي ببغداد ، مؤرخ حافظ للحديث ، من مؤلفاته (الكمال في معرفة الرجال ، نسبة المحدثين إلى الآباء والبلدان ، ذيل تاريخ دمشق)

(١٠)- أنس بن مالك (١٠ق هـ - ٩٢هـ/ ٦١٢- ٧١٢م) ، أنصاري ، صاحب الرسول صلى الله عليه وسلم ، أسلم صغيرا وخدم النبي صلى الله عليه وسلم ، روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم ٢٢٨٦ حديثا،وهو آخر من مات بالبصرة من الصحابة .

بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسانِ وَإِيتاءِ ذي القُرْبى وَيَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرون) { النحل * ٩٠ }

المسلمون

الأصحاب

إن المؤمنين كالجسم الواحد ، قال صلى الله عليه وسلم : « إن حقا على المؤمنين أن يتوجع بعضهم لبعض كما يتألم الجسم » رواه أبو الشيخ (١١) عن محمد بن كعب .

وموقفنا تجاه الأصحاب يتحدد في النقاط التالية :

١- يجب معاملة الأصحاب معاملة لينة تتسم بطابع التواضع (وَاخْفِضْ جَناحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤمِنينَ) { الشعراء * ٢١٥ } .

٢- عدم الاستبداد بالرأي ، ومشاركة الناس بالرأي (وَشاوِرْهُمْ في الأَمْرِ) { آل عمران * ١٥٩} .

٣- لا يجوز لأحد أن يسخر من أحد ، قال تعالى (يَا أَيُّها الَّذينَ آمَنوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسى أَنْ يَكونوا خَيْراً مِنْهُمْ وَلا نِساءٌ مِنْ نِساءٍ عَسى أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ) { الحجرات * ١١}.

٤- لا يجوز أن نذكر شيئا مما يشين صاحبه .

٥- لا يجوز أن نظن بغيرنا سوءا فلا نتجسس على أخبارهم ، قال تعالى : (يَا أَيُّها الَّذين آمَنوا اجْتَنِبوا كَثيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسوا وَ لا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُموه وَاتَّقوا اللّهَ إِنَّ اللّهَ تَوّابٌ رَحيمٌ) { الحجرات * ١٢ }.

٦- لا يجوز أن نهجر أحدا من أصحابنا فوق ثلاثة أيام ، فعن النبي صلى الله عليه وسلم،قال : « لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ، يلتقيان فيصد هذا ويصد هذا ، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام » أخرجه البخاري عن أبي أيوب الأنصاري (١٢) .

٧- ويجب أن نعرّف أصحابنا على طريق الخير ونحرضهم على فعله ، ونبيّن لهم أوجه الشر ونحذرهم من فعله ، قال تعالى (وَالْمُؤْمِنونَ والْمُؤْمِناتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ يَأْمُرونَ بِالْمَعْروفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ) { التوبة * ٧١ } ، وترك هذا الأمر من علاقات النفاق (الْمُنافِقونَ وَالْمُنافِقاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْروفِ) { التوبة * ٦٧ }

وعلى الآمر بالمعروف خمسة أشياء : (العلم بما يأمر ، وقصد وجه الله تعالى وإعزاز الدين والشفقة واللين غير فظ ولا غليظ ، صبوراً حليماً ، عاملاً بما يأمر حتى يقبل منه) فإذا كان كذلك فينصره الله تعالى ويعينه ويوفقه .

---

(١١)- أبو الشيخ : عبد الله بن محمد الأصبهاني (٢٧٣- ٣٦٨ هـ/ ٨٨٧- ٩٧٩ م) ، من حفاظ الحديث ، من مؤلفاته (طبقات المحدثين بأصبهان ، السنة ، أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وآدابه) .

(١٢)- أبو أيوب الأنصاري خالد بن زيد (توفي ٥١هـ / ٦٧٢ م) ، صحابي ، من بني النجار ، شجاع صابر ، تقي محب للجهاد ، سكن المدينة ورحل للشام ، له ١٥٥ حديثا .

ومن رأى منكرا ولا يستطيع إزالته فلينكره في قلبه ، قال صلى الله عليه وسلم : « من رأى منكم منكرا فليغيّره بيده فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان » روراه مسلم .

الجليس الصالح

قال صلى الله عليه وسلم : « المرء على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالل » أخرجه أبو داود والترمذي .

وقال محيي الدين ابن عربي : روينا عن أبي يعقوب الرازي (١٣) قال : قلت لذي النون المصري (١٤) في وقت مفارقتي إياه : من أجالس ؟ قال : (عليك بصحبة من تذكرك رؤيته بالله عز وجل ، وتقع على باطنك هيبته ، ويزيد في عملك منطقه ، ويزهدك في الدنيا عمله ، ولا يعصي الله مادمت في قربه ، يعظك بلسان فعله ، ولا يعظك بلسان قوله) .

صحبة المرائين

قيل لبعض العلماء : أوصنا ، فقال : (إياكم ومجالسة أقوام يتكلفون بينهم زخرف القول غرورا ، ويتملقون في الكلام خداعا ، وقلوبهم مملوءة غشا وغلا ، وحسدا وكبرا،وحرصا وطعما ، وبغضا وعداوة ، ومكراً وختلا . دينهم التعصب ، واعتقادهم النفاق ، وأعمالهم الرياء، واختيارهم شهوات الدنيا . يتمنون الخلود فيها ، مع علمهم أنه لا سبيل إلى ذلك،يجمعون مالا ياكلون ، ويبنون مالا يسكنون ، ويؤملون مالايدركون ، ويكسبون الحرام ، وينفقون في المعاصي ، ويمنعون المعروف ، ويرتكبون المنكر) .

الأخوة في الله

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« للمسلم على أخيه المسلم ثلاثون حقا لا براءة له منها إلا بالأداء أو العفو :

يغفر زلته ، ويرحم عبرته ، ويستر عورته ، ويقيل عثرته ، ويقبل معذرته ، ويرد غيبته،ويديم صحبته ، ويحفظ خلته ، ويرعى ذمته ، ويعود مرضته ، ويشهد ميتته،ويجيب دعوته ، ويقبل هديته ، ويكافئ صلته ، ويشكر نعمته ، ويحسن نصرته،ويحفظ حليلته ، ويقضي حاجته ، ويشفع مسألته ، ويقبل شفاعته ، ولا يخيّب مقصده ، ويشمّت عطسته ، وينشد ضالته ، ويرد سلامه ، ويطّيب كلامه ، ويزيد في إنعامه، ويصدق أقسامه ، وينصره ظالما أو مظلوما ، أما نصره ظالما فيرده عن ظلمه ، وأما

(١٣)- أبو يعقوب الرازي يوسف بن الحسين (توفي ٣٠٣ هـ/ ٩١٦ م) ، زاهد صوفي ، من العلماء والأدباء ، كان شيخ الري والجبال ، وهو أعلم زمانه بعلم الكلام والتصوف .

(١٤)- ذو النون المصري (توفي ٢٤٤هـ/ ٨٥٩ م) وهو ثوبان بن إبراهيم الإخميمي ، زاهد عابد ، نوبي الأصل من الموالي ، له فصاحة وحكمة وشعر ، توفي في مصر .

نصره مظلوما فيعينه على أخذ حقه . ويواليه ، ولا يعاديه ، ويسلمه ولا يخذله ، ويحب له من الخير ما يحب لنفسه ، ويكره له من الشر ما يكره لنفسه » .

علاقة البائع بالمشتري

إذا أراد البائع أن يشتري من أحد الناس شيئا فعليه أن يسلك الطريق الشرعي فيوفي الكيل أو الميزان ولا يبخسه شيئه (فَأَوْفوا الْكَيْلَ وَالْميزانَ وَلا تَبْخَسوا النّاسَ أَشْياءَهُمْ) {الأعراف * ٨٥ } ، وعلى الإنسان أن يكون سلوكه في البيع كسلوكه في الشراء (وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفينَ * الَّذينَ إِذا اكْتالوا عَلى النّاسِ يَسْتَوْفونَ * وَإِذا كالوهُمْ أَوْوَزَنوهُمْ يُخْسِرونَ) {المطففين * ١- ٣ }

الجار

أوصى الله تعالى بالإحسان إلى الجار ، فقال : (وَالْجارِ ذي الْقُرْبى وَالْجارِ الْجُنُبِ) {النساء * ٣٦ } ، وقال صلى الله عليه وسلم : « مازال جبريل يوصيني بالجار ، حتى ظننت أنه سيورثه » رواه الأربعة .

ومفهوم الجار يشمل : المجاور لنا في السكن أو في الصناعة أو التجارة أو الزراعة .

ومن حقوق الجار عدم إيذائه بالقول أو بالفعل ، قال صلى الله عليه وسلم « لا يسلم عبد حتى يسلم الناس من يده ولسانه ، ولا يؤمن عبد حتى يأمن جاره بوائقه ، فقلنا : يارسول الله،وما بوائقه ؟ قال : غشه وظلمه » أخرجه ابن أبي الدنيا .

وقال صلى الله عليه وسلم : (أتدرون ما حق الجار ؟ إن استعان بك أعنته ، وإن استقرضك أقرضته ، وإن افتقر جُدْتَ عليه ، وإن مرض عدته ، وإن مات اتبعت جنازته ، وإن أصابه خير هنأته ، وإن أصابته مصيبة عَزيته ، ولا تستطل عليه بالبناء فتحجز عليه الريح إلا بإذنه ، وإن اشتريت فاكهة فأهد له منها ، فإن لم تستطع فأدخلها سرا ، ولا يخرج بها ولدك فيغيظ بها ولده ، ولا تؤذه بقتار قدرك [15] إلا أن تغرف له منها .

أتدرون ما حق الجوار ؟والذي نفسي بيده ، لا يبلغ حق الجوار إلا من رحم الله ، وإذا رميت كلب جارك فقد آذيته » أخرجه الخرائطي [16] وابن عدي .

الضيف

من آداب المضيف : أن يكرم ضيفه ، قال صلى الله عليه وسلم : « من كان يؤمن بالله

---

(١٥)- قتار القدر : رائحة الطبخ .

(١٦)- الخرائطي : محمد بن جعفر الخرائطي السامري (٢٣٩- ٣٢٦ هـ/ ٨٥٤ - ٩٣٩ م) ، من أهل السامرة بفلسطين ، محدث ، ألف (مكارم الأخلاق ، اعتلال القلوب ، فضيلة الشكر ..)

واليوم الآخر فليكرم ضيفه » أخرجه البخاري .

ومن الإكرام أن يخدم المضيف الضيف بنفسه ، ويظهر له السرور ، ويكون الإكرام بالقول والفعل . ومن آداب الضيف : أن لا يحضرمعه للضيافة غيره بلا إذن ، ويقبل خدمة صاحب المنزل ، ويكون مؤدبا خلوقا ، وبعد الأكل يدعو للمضيف بالخير والبركة .

الفئات المستضعفة

اليتامى

يجب تربية اليتيم تربية جيدة ، والاهتمام بتعليمه ، وتدريبه على عمل من الأعمال،وإرشاده إلى العلوم الشرعية ، والتلطف في معاملته والشفقة عليه .

وقد نهى الله عن تحقيره (فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ) { الضحى * ٩ }

وقال صلى الله عليه وسلم : « خير البيوت بيت فيه يتيم يُحسن إليه ، وشر البيوت بيت فيه يتيم يُساء إليه » أخرجه الطبراني .

وقد ركّز الإسلام على حسن معاملة اليتيم بالحسنى ، فعن أبي الليث السمرقندي (١٧) : قال صلى الله عليه وسلم : « من مسح رأس يتيم رحمة ، كتب الله له بكل شعرة مرت عليها يده حسنة ، ومحا عنه بكل شعرة سيئة ، ورفع له بكل شعرة درجة » أخرجه أحمد والطبراني .

المساكين

عرّفه الرسول صلى الله عليه وسلم فقال : « إن المسكين ليس بالطوّاف الذي ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان . قيل : فمن المسكين يا رسول الله ؟ قال : الذي لا يجد ما يغنيه،ويستحي أن يسأل الناس ، ولا يُفطن له فيتصدق عليه » أخرجه الطبراني وأحمد .

وقيل بالعكس في أن المسكين من ليس له شيء ، بدليل قوله تعالى : (أَوْ مِسْكِيناً ذا مَتْرَبَةٍ) { البلد * ١٦ } ، أي لشدة فقره لصق جسده بالتراب .

والأدب معه أن لا نحتقره ، ولا نفعل معه ما يكّدر خاطره ، وأن نوسّع عليه بالصدقة، وأن نطيب خاطره بطيبِ الكلام .

الفقراء

للفقراء دولة يوم القيامة ، فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اتخذوا عند الفقراء أيادي ، فإن لهم دولة يوم القيامة » أخرجه أبو نعيم .

والفقراء الصابرون جلساء الله يوم القيامة ، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لكل شيء مفتاح ، ومفتاح الجنة حب المساكين ، والفقراء الصبّر هم جلساء الله تعالى يوم القيامة » أخرجه ابن لال .

(١٧)- أبو الليث السمرقندي نصر بن محمد (توفي ٣٧٢ هـ/ ٩٨٣ م) ، من أئمة الحنفية ، زاهد متصوف ، من مؤلفاته (تفسير القرآن ، خزانة الفقه)

البعد العقائدي
الإيمان

المؤمنون :

هم الذين يستخدمون عقولهم فيما وجههم إليه الله تعالى . ولذا فإن بينهم وبين العلماء شبها من حيث أنهم أكثر الناس خشية من الله (إِنَّمَا الْمُؤْمِنونَ الَّذِينَ إِذا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلوبُهُمْ) { الأنفال * ٢ } .

أما الذين ابتعدوا عن جادة الإيمان ، ووقعوا في أتون الكفر ، فقد وضعهم الله في مرتبة أدنى من مرتبة الحيوانات ، ووصفهم بأنهم أسوأ أنواع الدواب (إِنَّ شَرَّ الدّوابِّ عِنْدَ اللّهِ الَّذِينَ كَفَروا فَهُمْ لا يُؤْمِنونَ) { الأنفال * ٥٥ }

أسس الإيمان

يعتمد الإيمان على ثلاثة أسس رئيسية :

١- **الإدراك الحسي** : فالإدراك عن طريق الحواس هو الأساس في كل إدراك عقلي ، وهو الركيزة الأساسية للعقيدة والإيمان ، والإيمان الذي لا يستند إلى إدراك واضح متبلور هو وهم أو ظن أو تخيل .

استمع إلى هذا الحوار بين سيدنا ابراهيم عليه السلام وربه : (وَإِذْ قالَ ابْراهيمُ رَبِّ أَرِني كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتى قالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبي) { البقرة * ٢٦٠ }

٢- **شعور القلب** : الإيمان شعور عميق في القلب ، ولا يكون بمجرد التلفظ باللسان .

إن الإيمان بالقلب يؤدي إلى الإقرار باللسان ، وليس العكس ، فالإقرار باللسان لا يدل دائما بشكل حتمي على الإيمان .

ذكر الله تعالى هؤلاء الذين يقولون بالسنتهم مالا يؤمنون به في قلوبهم (وَمِنَ النّاسِ مَنْ يَقولُ آمَنّا بِاللّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَما هُمْ بِمُؤْمِنينَ) { البقرة * ٨ }

وفرّق بين الإيمان والإسلام (قَالَتِ الْأَعْرابُ آمَنّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنوا وَلَكِنْ قولوا أَسْلَمْنا وَلَمّا يَدْخُلِ الإيمانُ في قُلوبِكُمْ) { الحجرات * ١٤ }

٣- **القناعة الفكرية**:الإيمان قناعة فكرية عميقة ، لا تتشكل إلا بدلائل عقلية ،لهذا عرض الإسلام مجموعة من آيات الله تعالى ودلائله وحججه لتكوين هذا الإيمان في نفوس المسلمين (إِنَّ في ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنينَ) { الحجر * ٧٧ }

أركان الإيمان

وهي خمسة ، وردت في الحديث الشريف ، فعن عبد الله بن عمر [١] رضي الله عنهما ، عن

رسول الله صلي الله عليه وسلم ، قال : « بُني الرسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والحج ، وصوم رمضان » رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي .

١- الصلاة : الصلاة لغة هي الدعاء بخير ، وشرعا أقوال وأفعال مفتتحة بالتكبير ومختتمة بالتسليم بشرائط خاصة .

إن الصلاة عماد الدين ، من أقامها فقد أقام الدين ومن تركها فقد هدم الدين ، وعن جابر [٢] رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة » رواه الخمسة إلا البخاري .

والصلاة صلة بين العبد وربه ، توجه صاحبها للطريق المستقيم (إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عنِ الْفَحْشاءِ وَالْمُنْكَرِ) { العنكبوت * ٤٥ }

ولابد في أداء الصلاة من الخشوع ، والخشوع روح الصلاة ، قال صلى الله عليه وسلم : « اعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فهو يراك » أخرجه أبو نعيم في الحليه عن زيد بن الأرقم [٣] .وعلى المسلم ألا يكون كسولا في عبادته ، قال صلى الله عليه وسلم : « أخشى ما خشيت على أمتي كبر البطن ، ومداومة النوم ، والكسل ، وضعف اليقين » أخرجه الدارقطني.ولا تسقط الصلاة عن المسلم لأي سبب من الأسباب ، سواء كان مرضا أو انشغالا أو مشاغل يومية (إِنَّ الصَّلاةَ كانَتْ عَلى الْمُؤْمِنينَ كِتاباً مَوْقوتاً) { النساء * ١٠٣ }

وبتركها يحصل الشقاء ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن رسول الله صلي الله عليه وسلم ، قال : « اللهم لا تدع فينا شقيا ، ولا محروما . ثم قال : أتدرون من الشقي المحروم ؟ قالوا : لا يارسول الله . قال : الشقي المحروم تارك الصلاة ، لأنه لا حظّ له في الإسلام » .

وتارك الصلاة تُنزع البركة من عمره ، وتُمسح سيما الصالحين من وجهه ، ولا يؤجره الله على عمل ، ولا يُرفع له دعاء ، وليس له حظ في دعاء الصالحين ، ويُضيّق عليه في قبره ، وينظر الله إليه وقت الحساب بعين الغضب ويُشدّد عليه ، ويُسلط عليه من الزبانيه من يسحبه إلى النار .

---

(١)- عبد الله بن عمر بن الخطاب (٩ ق. هـ - ٧٢ هـ/ ٦١٣ - ٦٩٢م) صحابي جريء ، هاجر للمدينة مع أبيه ، وشهد فتح مكة ، أفتى ٦٠ عاما . غزا إفريقيا مرتين ، آخر من توفي بمكة من الصحابة ، له ٦٢٣٠ حديثا .

(٢)- جابر بن عبد الله (١٥ ق هـ - ٧٧ هـ/ ٦٠٧- ٦٩٧م) ، خزرجي أنصاري صحابي ، غزا تسع عشرة غزوة ، روى له البخاري ومسلم ١٥٤٠ حديثا ، وله (المسند)

(٣)- زيد بن الأرقم (توفي ٦٧ هـ/ ٦٨٧ م) ، أنصاري صحابي ، غزا مع النبي صلى الله عليه وسلم ١٧ غزوة . شهد صفين مع علي كرم الله وجهه ، مات بالكوفة ، له في كتب الحديث ٧٠ حديثا .

٢-الصيام: شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن الكريم ، حصلت فيه غزوة بدر ، وهو أول نصر حقيقي للمسلمين على المشركين ، وغزوة الفتح حيث فتحت مكة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتطهرت من الشرك والوثنية ، وقد فرض الصيام في السنة الثانية للهجرة .
وقد سمي شهر رمضان شهر الصبر ، لأن الصائم صابر عما تنزع إليه نفسه من شهوات (وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ) { النحل * ١٢٦ } .
وقد فرض الله علينا الصيام كما فرضه على الأمم التي جاءت قبلنا ، فالصيام موجود في كافة الديانات السماوية (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ كَما كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ) { البقرة * ١٨٣ } .
والصيام لله تعالى ، فقد تولى جزاءه على ما يحب ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «قال الله،كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فهو لي،وأنا أجزي به ، والصيام جنة ، وإذا كان يوم صيام أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل : إني امرؤ صائم ، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك » أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه .
يقول الأديب مصطفى صادق الرافعي (١٨٨٠- ١٩٣٧ م) : « الصوم فقر إجباري تفرضه الشريعة على الناس فرضا ليتساوى الجميع ، ومتى تحققت رحمة الجائع الغني للجائع الفقير،أصبحت للكلمة الإنسانية الداخلية سلطانها النافذ ، فيسمع الغني في ضميره صوت الفقير يقول : أعطني ، ولا مفر من تلبيته ، كما يواسي المبتلى من كان مثل بلائه » .
وحكمة الصوم هي : (صحة الجسم ، وتهذيب نوازع النفس ، وقهر الشيطان ، وتصفية القلب،وغفران الذنوب ، وعظيم الأجر ، وعلو المنزلة في الآخرة ، والقرب من الله ، وتعوّد الصبر ، واحتمال المشقات) .
وليس الصيام بمنع شهوتي البطن والفرج بشكل خاص ، بل الصوم منع الجوارح عن الفضول،فلا يمشي برجليه إلى الباطل ، ولا يبطش بيديه بغير طاعة ، ولا يتكلم بغير فائدة ، ولا يداهن ولا يكذب ، ولا يغش ، ولا يقطع الزمن باللهو واللعب . « من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » . متفق عليه
٣- الزكاة : وهي حصن حصين للمال ، والمال الذي لا تخرج زكاته يعذب صاحبه بجنسه فيكوى بالدنانير ، قال تعالى : (وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنْفِقونَها في سَبيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَليمٍ يَوْمَ يُحْمى عَلَيها في نارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِها جِباهُهُمْ وجُنوبُهُمْ وَظُهورُهُمْ هَذا ما كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقوا ما كُنْتُمْ تَكْنِزونَ) { التوبة * ٣٤ }
٤--الحج : وهو من أعظم المكفرات للذنوب ، قال صلى الله عليه وسلم : « من حج ولم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه » أخرجه أحمد والبخاري والنسائي وابن ماجة .
والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة .

وهو فرض على : (المسلم ، الحر ، العاقل ، البالغ ، العالم بالفرضية ، القادر على الزاد والراحلة ، صحيح الجسم ، المتمكن من أداء الفرض)

وقال صلى الله عليه وسلم : « من ملك الحج ولم يحج ، فليمت إن شاء يهوديا، وإن شاء نصرانيا » أخرجه الترمذي وابن ماجة وإسناده ضعيف .

صفات المؤمن

المؤمنون هم (التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) { التوبة * ١١٢ }

وأبرز صفات المؤمن الذي آمن بربه وبدينه وبرسوله . هي :

١ - **التقوى** : فالمؤمنون يتقون ربهم دائماً في كل صغيرة وكبيرة ، وفي كل زمان ومكان (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ) { آل عمران ١٠٢ }

والتقوى بطبيعتها تؤدي إلى الصدق (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) {التوبة * ١١٩ }

٢- **التوكل على الله** : وهو تسليم الأمور إلى الله والاعتماد عليه في كل شيء (إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا) { يونس * ٨٤ }

والتوكل يختلف عن التواكل :

فالتوكل هو تسليم الأمور لله مع الأخذ بالأسباب ، بينما التواكل هو تسليم الأمور لله مع عدم الأخذ بالأسباب ، وهكذا يكون التوكل تسليم فيه عمل ، بينما التواكل تسليم يخلو من العمل .

قال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ، ويقول : اللهم ارزقني ، وقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبا و لا فضة » .فالتواكل هو ترك العمل والركون إلى الكسل ، وادعاء الاعتماد على الله ، فمن التواكل طلب النجاح من غير جد ومثابرة،وطلب الرزق من غير كد أو سعي ، وطلب النصر من غير إعداد .

٣- **عزة النفس** : فالمؤمن عزيز النفس ، يشعر بكرامته وكيانه وشخصيته ، لا يشعر بالذل ولا بالانسحاق ولا بالتبعية (وَ لِلّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ) { المنافقون * ٨ } .

٤- **السكينة** : يشعر المؤمن بالطمأنينة النفسية والارتياح النفسي والهدوء الذاتي (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ) { الفتح ٤ * }

ماذا يجب على المؤمن ؟

١- الاعتراف بفضل الله تعالى علينا ، وذكر النعم التي أنعم بها علينا (ياأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ) { المائدة * ١١ }

٢- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ) { آل عمران * ١١٤ }

٣- البعد عن الشيطان في كافة أمور حياتنا ، وعدم اتباع خطواته (يا أَيُّها الَّذينَ آمَنوا لا تَتَّبِعوا خُطُواتِ الشَّيْطانِ) { النور * ٢١ }
٤- الشعور بالأخوة الإنسانية : وقد ربط الإسلام هذه الأخوة بالإيمان ، فقال : (إِنَّما الْمُؤْمِنونَ إِخْوَةٌ) { الحجرات * ١٠ } ، وكذلك ماروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » رواه الخمسة إلا أبا داود ، « فالمسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يسلمه ، ومن كان في حاجة أخيه المسلم كان الله في حاجته ، ومن فرّج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة ، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة » .
٥- أن ينفق المؤمن مما رزقه الله (يا أَيُّها الَّذين آمَنوا أَنْفِقوا مِمّا رَزَقْناكُمْ) { البقرة * ٢٥٤ }
٦- الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله ، ونشر الإسلام في الخافقين (الَّذينَ آمَنوا يُقاتِلونَ في سَبيلِ اللَّهِ) { النساء* ٧٦ } .
٧- تغيير المنكر بكافة الوسائل والإمكانات ، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان » رواه الخمسة إلا البخاري .
٨- الوفاء بالعقود (يَاأَيُّها الَّذينَ آمَنوا أَوْفوا بالْعُقودِ) { المائدة * ١ }
٩- عدم إبطال الصدقات بالمن والأذى (يَا أَيُّها الَّذينَ آمَنوا لا تُبْطِلوا صَدَقاتِكُمْ بِالْمَنِّ والْأَذى){البقرة * ٢٦٤ } .
١٠- عدم السخرية من الناس (ياأَيُّها الَّذينَ آمَنوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْم) { الحجرات * ١١ }
١١- الابتعاد عن الظن والشك (يَا أَيُّها الَّذينَ آمَنوا اجْتَنِبوا كَثيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ) { الحجرات * ١٢ }
وأخيراً .. قال ميمون بن مهران [٤] : « لو أن أقلكم علما عمل بما يعلم لدخل الجنة ، مامنكم إلا من يعلم أن الصلاة خير من تركها ، والأمانة خير من الخيانة ، والصدق خير من الكذب،والوفاء بالعهد خير من نقضه ، والصلة خير من القطيعة » .

جزاء الإيمان

١- وعد الله تعالى المؤمنين بالنجاة (كَذَلِكَ حَقاً عَلَيْنا نُنْجِ الْمُؤْمِنينَ) { يونس * ١٠٣ }
٢- إن الله يغفر الذنوب جميعا إلا أن يشرك به (إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ويَغْفِرُ مادونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعيداً) { النساء * ١١٦ }
٣- وكذلك لا يغفر الله لمن يكفر بعد أن آمن (إِنَّ الَّذينَ آمَنوا ثُمَّ كَفَروا ثُمَّ آمَنوا ثُمَّ كَفَروا ثُمَّ ازْدادوا كُفْراً لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ سَبيلاً) { النساء * ١٣٧ }

(٤) - ميمون بن مهران الرقي (٣٦ - ١١٦ هـ/ ٦٥٧ - ٧٣٥ م) ، فقيه وقاض ،استوطن الرقة فكان عالمها ، عينه عمر بن عبد العزيز على قضائها و خراجها ، كان كثير العبادة و ثقة في الحديث .

٤- أن الله يدعم الذين آمنوا ويساعدهم في الأزمات والملمات (إِنَّ اللَّهَ يُدافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنوا) { الحج * ٣٨ } فينصرهم على أعدائهم مهما كان عددهم قليلا إذا كانوا يتمتعون بالإيمان العميق (كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَليلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثيرةً بِإِذْنِ اللَّهِ) { البقرة * ٢٤٩ } ، وقد أخذ الله عهدا على نفسه بذلك (وَكانَ حَقّاً عَلَيْنا نَصْرُ الْمُؤْمنينَ) { الروم * ٤٧ } .

٥- وسيكون مصيرهم في الآخرة جنة الفردوس (وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمنينَ والْمُؤْمِناتِ جَنّاتٍ) { التوبة * ٧٢ }

القضاء والقدر

روح الإيمان بالقدر

١- لقد دعا الله الأنفس البشرية للإيمان بالقدر ، ليكون مخففا لبأسها ، وجزعها إذا نزلت بها النوائب ، فيعتقد المسلم أن ذلك بتقدير الرؤوف اللطيف الرحيم .

٢- كما أن الإنسان إذا وفق في عمل ، وطرأت عليه مفاجآت سارة ، فلا ينسى أن يزينها بالتواضع (ما أَصابَ مِنْ مُصيبَةٍ في الْأَرْضِ وَلا في أَنْفُسِكُمْ إلاّ في كِتابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَها(٥) إِنَّ ذَلِكَ عَلى اللَّهِ يَسيرٌ * لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلى ما فاتَكُمْ وَلا تَفْرَحوا بِما آتاكُمْ) { الحديد * ٢٢ - ٢٣ } .

٣- والاعتقاد بالقدر تتبعه صفات الشجاعة والاطئمنان ، فالذي يعتقد أن الأجل محدود والرزق مكفول والأمور بيد الله ، لا يرهب الموت في الدفاع عن حقه وإعلاء كلمة أمته ، ولا يخشى الفقر حين ينفق في تعزيز الحق وفعل الخير ومساعدة المحتاجين ، ولا يخاف أحدا من الناس لأن الله تعالى هو الذي قدّر كل شيء ورتّبه ونظّمه .

متى يبدأ قدرالإنسان ؟

إن قدر الإنسان يبدأ منذ وجود الجنين في رحم أمه :

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه ، قال : « الشقي من شقي في بطن أمه ، والسعيد من وعظ بغيره » فسمعه رجل فأتى حذيفة فأخبره بذلك ، وقال : كيف يشقى رجل بغير عمل ؟ فقال له حذيفة : أتعجب من ذلك ، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« إذا مر بالطفل اثنتان وأربعون ليلة ، بعث الله إليها ملكا ، فصورها ، وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ، ثم قال : يارب أذكر أم أنثى ؟ فيقضي ربك ما شاء . ويكتب الملك. ثم يقول : يارب أجله . فيقول ربك ماشاء . ويكتب الملك . ثم يقول : يارب رزقه . فيقضي ربك ماشاء . ويكتب الملك . ثم يخرج الملك بالصحيفة في يده . فلا يزيد على ما أمر ولا ينقص) رواه مسلم .

(٥) - نبرأها : نخلقها .

الأجل والرزق محدودان

وضع الله تعالى مبدأ أساسيا في قضائه وقدره ، فجعل كل شيء مقدرا بمشيئة الله (إِنَّا كُلَّ شيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) [القمر * ٤٩] .

ثم جاء إلى أهم الأشياء في حياة الإنسان وهو (الأجل والرزق) فربطهما بقدره :

ففي تحديد أجل الانسان ، قال تعالى (وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَاباً مُؤَجَّلاً) [آل عمران * ١٤٥] .

وفي تحديد رزقه يقول: (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا) [هود * ٦] ، ويقول أيضا : (إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) [آل عمران * ٣٧] .

التنازع في القدر :

نهانا الله تعالى عن التنازع في القدر لأنه شيء قدّره الله وقضى فيه أمره ، فعن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره ، وحتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه » رواه الترمذي .

الخير والشر

بيّن لنا القرآن الكريم أن الخير والشر من الله ، قدّرهما على الإنسان (قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ) [النساء* ٧٨] .

ثم فصل فبيّن أن الخير من الله وأن الشر من أنفسنا وعملنا (مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ) [النساء* ٧٩]

وعندما تحدث عن الخير والنعم ، قال : (وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ) [النحل * ٥٣) ،وعندما تحدث عن الشر والظلم ، قال (وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) [النحل * ٣٣)

الابتلاء

١- إذا ابتلى الله عبده المؤمن في صحته ، ربما يكون ذلك تكفيرا عن ذنوبه ، فقد قال صلى الله عليه وسلم للمريض « أبشر فإن الله تبارك وتعالى يقول : هي ناري أسلطها على عبدي المؤمن لتكون حظه من النار »

٢- قد يكون الابتلاء لامتحان صبر العبد :

قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت ويبتلي الله بعض القوم بالنعم

٣- قد يكون الابتلاء موعظة ، حيث يحتاج بعض الناس بين فترة وأخرى لمصيبة تذكرهم أو بلوى توقظهم .

البعد التربوي

تزكية النفس

نعني بتزكية النفس تربيتها وتوجيهها ، وذلك في مجالين أساسين :

الأول : العناية بحسن تكوين الشخصية منذ الطفولة ، وتناسق نموها النفسي وتآزر عناصرها الوراثية والاجتماعية .

والثاني : تطهيرها من الأدناس ، والسمو بها عن النقائص ، ووضعها في المكان الذي يرتفع بقدرها ، ويحقق فيها المعنى الإنساني المتكامل .

كيف تكون التزكية ؟

إن الذين زكت نفوسهم هم الفالحون (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى) { الأعلى * ١٤ } ، فكيف تكون هذه التزكية ؟

١- المنهج الفردي : وضع الله الإنسان بين طريقي الخير والشر (وهَدَيْناهُ النَّجْدَيْنِ) {البلد * ١٠ } ، وخيّره بينهما . فإذا سلك طريق الخير فقد زكىّ نفسه ، أما إذا سلك طريق الشر فقد أساء إلى نفسه (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكّاها * وَقَدْ خابَ مَنْ دَسّاها) { الشمس * ٩ - ١٠ } .

٢- المنهج الفلسفي : ألف فلاسفة الإسلام كتبا قيمة في الأخلاق تهدف إلى تزكية النفس وتطهيرها ، نذكر من هذه الكتب :

أ- ألف ابن سينا رسالة قيمة في علم الأخلاق .

ب- ألف ابن مسكويه كتاب (تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق) .

جـ- ألف الراغب الأصفهاني كتاب (الذريعة إلى مكارم الشريعة) .

د- ألف أبو حامد الغزالي كتاب (إحياء علوم الدين) .

هـ - ألف محيي الدين بن عربي كتاب (تهذيب الأخلاق)

٣- المنهج الإسلامي : كان الرسول صلى الله عليه وسلم يتلو آيات القرآن الكريم على الصحابة فتزكو نفوسهم وتسمو في معارج القدس (كَما أَرْسَلْنا فيكُمْ رَسولاً مِنْكُمْ يَتْلوا عَلَيْكُمْ آياتِنا وَيُزَكيكُمْ) { البقرة * ١٥١ } .

وقد ذكر ابن القيم مراتب جهاد النفس للوصول بها إلى التزكية :

أ- أن يجاهد الإنسان نفسه على تعلم الهدى ودين الحق .

ب- أن يجاهدها على العمل به بعد علمه ، وإلا فمجرد العلم بلا عمل لا ينفعها .

جـ- أن يجاهدها على الدعوة إليه وتعليمه للناس

د- أن يجاهدها على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله وأذى الخلق .

تعديل الدوافع وتوجيهها

آمن فلاسفة الإسلام بقبول السلوك للتعديل والتوجيه ، كما قال بذلك ابن مسكويه وأرسطو والصوفية الذين يدعون إلى توجيه الدوافع النفسية [1] .

أما الغزالي فنراه يعتبر مختلف الدوافع أساسية حيث يقول : « والشهوة والغضب والحسد والطمع والشهرة وغيرها من الدوافع لا تنقطع ما دام الإنسان حيا [2] » .

وهو لا يعترف بكبت الغرائز والدوافع ، وإنما يقول بإمكان تعديلها وإعلائها ، ويلح على أن للدوافع مهما نزلت درجتها طبيعة مزدوجة ، فتكون وسيلة لارتقاء الإنسان أو سببا في ضياعه

ويقول : « إن الغاية من التعديل أن لا تستولي الدوافع على العقل مسخرة له في ترتيب الحيل الموصلة إلى قضاء الأوطار ، وأن تبقى الروح هي الرئيسة لجميع القوى [3] » .

أما موقف الإسلام فقد لجأ إلى أساليب مختلفة في تعديل الدوافع وتوجيهها ، نذكر منها :

١- تحطيم العائق للوصول إلى الهدف

وهو جهد يبذله الفرد للتغلب على ذلك العائق الذي وقف حائلا دون إشباع رغباته،ومن أمثلة ذلك : أن رسوب الطالب في الامتحان ليس مدعاة لليأس والقنوط ، فكثيرا ما وجدنا طلابا راسبين يعاودون التقدم للامتحان أكثر من مرة حتى ينجحوا فيه .

وهذا دليل على أن الشخصيات الهوائية هي التي تيأس من الفشل الأول ، أما الشخصيات القوية الجبارة فلا تعرف لليأس معنى ، ولا يقف في وجهها مستحيل .

وهذا مصداق قول سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « إن لله رجالا إذا أرادو أراد »،وفي هذا المعنى يقول الشاعر أبو القاسم الشابي (١٩٠٩ - ١٩٣٤ م) :

إذا الشعب يوما أراد الحياة   فلا بد أن يستجيب القدر

٢- التسامي والإعلاء

يرى الغزالي أن عملية التسامي والإعلاء تتطلب ربط السلوك الإنساني بأهداف عليا للحياة الإنسانية، وتذكير الناس دائما بهذه الأهداف كلما انحرفوا عنها .

من أمثلة ذلك (دافع الجنس) ، فكيف تسامى به الإسلام وأعلى شأنه ؟

١- حض الإسلام على الزواج واعتبره رابطة مشروعة بين الرجل والمرأة ، واعتبره نصف الدين،يقول صلى الله عليه وسلم « إذا تزوج العبد فقد استكمل نصف دينه » رواه البيهقي .

٢- والمؤمن الحقيقي لا يكون هدفه من الجماع مجرد الاستمتاع الحسي ، بل بالإضافة إلى

---

(١)- قوت القلوب ، أبو طالب المكي ١/ ١٦٩

(٢)- إحياء علوم الدين ، أبو حامد الغزالي ٣/ ٢٩

(٣)- ميزان العمل ، أبو حامد الغزالي ٦٠

ذلك يجب أن يهدف إلى التناسل ، يقول صلى الله عليه وسلم : « تزوجوا الودود الولود ، فإني مكاثر بكم الأمم » رواه أبو داوود .

٣- وعلاقة المرأة بالرجل عن طريق الزواج تؤدي إلى غاية نفسية جوهرية ، وهي الوصول إلى السكينة والطمأنينة النفسية (وَمِنْ آياتِهِ أَنْ خَلق لكمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أزْواجاً لِتسْكُنوا إليْها وَجَعَل بينكم مودة ورحمة) { الروم * ٢١ }

٣- التحويل

وهو استغلال الطاقة التي يستند إليها دافع ما في نشاط آخر بحيث يشغل الفرد عن الدافع الأول. قال صلى الله عليه وسلم : « من استطاع منكم الباءه فليتزوج ، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصيام فإنه له وجاء » رواه البخاري ومسلم .

٤- الاعتدال والتوفيق

أ- التوسط والاعتدال : وقد شمل ذلك كل شيء في حياة المسلم (وَكَذَلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً) { البقرة * ١٤٣ } . وقد جاء في المثل العربي (حب التناهي غلط ، خير الأمور الوسط) ،وكان فلاسفة اليونان يقولون(الفضيلة وسط بين رذيلتين) ، فالشجاعة وسط بين الجبن والتهور ، والكرم وسط بين البخل والتبذير . إلخ .....

ب- التوفيق بين محاور مختلفة : كمحاولة التوفيق بين الدنيا والآخرة (وَابْتغِ فيما آتاكَ اللّهُ الدّارَ الآخِرَةَ وَلا تنْسَ نَصيبَكَ مِن الدُّنْيا) { القصص * ٧٧ }

جـ - الضرورات تبيح المحظورات : كقوله تعالى (إنّما حرَم عليْكُمْ المَيْتَةَ وَالدّمَ وَلَحْمَ الخِنْزيرِ وَما أُهِلّ بِهِ لِغَير اللّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ باغٍ وَلا عادٍ فَلا إثْمَ عَليْهِ إنّ اللّهَ غَفورٌ رَحيمٌ) { البقرة ١٧٣}

توجيه الدوافع وتكامل الشخصية

إن تعديل الدوافع وتوجيهها سمة من سمات الشخصية الناضجة المتكاملة ، التي استطاعت التوفيق بين دوافعها الداخلية وظروف المجتمع الخارجية ، بين ما هو كائن وما يجب أن يكون ، بين عوامل الوراثة وعوامل البيئة الاجتماعية .

إن تعديل الدوافع وتوجيهها عمل يتميز بغلبة الوعي والإرادة ، وهو يتطلب فاعلية عقلية عميقة ، واتزانا وجدانيا ، وشخصية إيجابية بناءة تحسن التفاعل والتكيف لما فيه مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة .

وإذا كان المجتمع الحديث يحاول أن يوجد من الأطفال مواطنين صالحين ، فلا يكون ذلك بتربية سلبية نترك الطفل للطبيعة لتنمو دوافعه بفطرية بدائية ، بل لا بد من تدخل إيجابي وتوجيه مخطط مدروس ، تَنظَم فيه الدوافع وتَعدّل بموجبه الغرائز ، وتسير على هديه الحاجات ، حتى

تسمو بالفرد من مستوى الحيوانية الوضيع إلى مستوى الإنسانية السامي ، ويكون في ذلك صلاح الدنيا والآخرة .

ربط الإنسان بالمثل العليا

المثل الأعلى قوة دافعة للسلوك ، ولاشك أن العمل بموجب المثل العليا يحرر الإنسان من قيود الفردية ، ويسمو به إلى المستوى الإنساني الكريم .

وتنقسم هذه الرابطة إلى ثلاث شعب : (شعبة ما بين الله والإنسان ، وشعبة ما بين الإنسان والناس . وشعبة ما بين الإنسان ونفسه) .

بين الله والإنسان

وهو يشمل : (التقوى ، والتوبة ، والدعاء ، والاستغفار) :

- **التقوى :** التقوى في اللغة هي الوقاية ، وفي الشريعة اتقاء المحرمات .

وذكر عن سيدنا داود عليه السلام أنه قال : (يا بني إنما يَستدل على تقوى الرجل بثلاث : حسن التوكل فيما لم ينل . وحسن الرضا فيما قد نال . وحسن الصبر فيما فات)

ونقل القشيري [٤] عن سهل بن عبد الله [٥] قال : « لا معين إلا الله ، ولا دليل إلا رسول الله، ولا زاد إلا التقوى ، ولا عمل إلا الصبر)

وعن الزنجاني [٦] « من كان رأس ماله التقوى ، كلّت الألسن عن وصف ربحه »

وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، قال : « سادة الناس في الدنيا الأسخياء، وسادة الناس في الآخرة الأتقياء) .

والتقوى خير لباس للإنسان قال تعالى : (وَلِباسُ التَّقْوى ذَلِكَ خَيْرٌ) { الأعراف * ٢٦}،ولذلك كانت التقوى مجال تكريم الإنسان وتفضيله على غيره من الناس (إنَّ أكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أتْقاكُمْ) { الحجرات * ١٣ } ويكون من أولياء الله تعالى (إنْ أوْلِياؤهُ إلاّ المُتَّقونَ) { الأنفال * ٣٤ }

وأول ما تواصى بها المقربون ، وتداولها الناجون ، وأول ما سلكها النبلاء ، وتزين بها العقلاء،فكان هدفهم التحلي بحلية التقوى ، والصبر على مضض البلوى من غير شكوى .

وقد أمرنا الله أن نتعاون بالتقوى (وَتعاوَنوا على البِرِّ والتَّقْوى) { المائدة * ٢ } ، كما نشد إزار العقل بحبال التقوى ، فقد قال الشاعر :

---

(٤)- عبد الكريم بن هوازن القشيري النيسابوري (٣٧٥ - ٤٦٤ هـ/ ٩٨٦ - ١٠٧٢ م) ، شيخ خراسان في عصره ، زاهد وعالم ومؤلف .

(٥)- سهل بن عبد الله التستري (١٩٩- ٢٨٢ هـ/ ٨١٥ - ٨٩٦ م) ، أحد الأئمة الصوفيين ، متكلم،عالم بالرياضيات ، وكان مؤلفا .

(٦)- أبو القاسم بن كاظم الزنجاني (١٨٠٩ - ١٨٧٦ م) ، فاضل إمامي مؤلف ، من زنجان ، تعلّم في العراق كانت له مواقف في فتنة البابية .

فما قرن الفتى شيئا بشيء   كمثل العلم يقرنه بتقوى

وقالوا : التقوى على وجوه : فللعامة تقوى الشرك ، وللخاصة تقوى المعاصي ، وللأولياء تقوى التوسل بالأفعال .

والتقوى في أصل معناها جعل الإنسان في وقاية من الخوف ، فالمتقون يقون أنفسهم عذاب الله وسخطه في الدنيا والآخرة ، وذلك بالوقوف عند حدوده ، وامتثال أوامره ، واجتناب نواهيه (يا أَيُّها الَّذين آمَنوا اتَّقوا اللَّهَ حَقَّ تُقاتِهِ) [آل عمران * ١٠٢] ، ويكون حق تقاته بأن يطاع فلا يعصى ، ويذكر فلا ينسى،ويشكر فلا يكفر .

والتقوى صيانة للنفس عن كل ما يضرها ويؤذيها ، والابتعاد عن كل ما يحول بين الإنسان والأهداف النبيلة ، التي يتكامل بها في جسمه وروحه .

وتشمل التقوى عدة فضائل : فهي تشمل العدل (اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوى) [المائدة * ٨]،وتشمل العفو (وَأَنْ تَعْفوا أقْرَبُ لِلتَّقْوى) [البقرة * ٢٣٧] ، وتشمل الاستقامة في معاملة الأعداء (فَما اسْتَقاموا لَكُمْ فاسْتَقيموا لَهُمْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقينَ) [التوبة * ٧] .

ومن ثمرات التقوى النجاة (وَيُنَجّي اللّهُ الَّذينَ اتَّقوا) [الزمر * ٦١] ، ومنها قبول الأعمال (إِنَّما يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقينَ) [المائدة * ٢٧] ، ومنها تسهيل الرزق (وَمَنْ يَتَّقِ اللّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً * وَيرزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبْ) [الطلاق * ٢- ٣] .

لهذا كان خير ما نتزود به هو التقوى (وَتَزَوَّدوا فَإِنَّ خَيْرَ الزّادِ التَّقْوى) [البقرة * ١٩٧]

٢- التوبة : كيف نشأت التوبة ؟

بدأ الإسلام بالتحذير من الدنيا ، وعدم الانغماس فيها ، ليهيء النفوس المؤمنة للتوبة (إِنَّما التَّوبَةُ عَلى اللهِ لِلَّذينَ يَعْمَلونَ السُّوءَ بِجَهالَةٍ ثُمَّ يَتوبونَ مِنْ قَريبٍ فَأُولَئِكَ يَتوبُ اللّهُ عَلَيْهِمْ) [النساء * ١٧] فعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يهرم ابن آدم وتشب معه خصلتان : الحرص على المال والحرص على الأمل » رواه الشيخان والترمذي .

ولهذا كانت « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر » رواه مسلم والبخاري

ونتيجة ذلك « كل بني آدم خطاء ، وخير الخطائين التوابون » رواه الترمذي وأحمد والحاكم وكذلك قال « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » رواه ابن ماجه .

وهكذا ... تكون التوبة هي سبيل الوصول إلى عفو الله تعالى . وكان (التواب) اسما من أسماء الله الحسنى .

التوبة والنفس الإنسانية

١- إن التوبة لا تصطدم مع الطبيعة البشرية ، لأن النفس الإنسانية جبلت على الخطأ واقتراف المعاصي ، والإنسان خطاء ، والطبع غلاب ، والهوى جذاب ، والنقص طبيعة البشر ، والكمال

لله وحده

٢- والتوبة ممتنعة على الملائكة لأنهم لا يعرفون المعاصي ، وممتنعة على الشياطين لأنهم مفطورون على الشر ، مجبولون على الخطيئة .

٣- والتوبة بالنسبة للعبد عملية صنع له من جديد ، بعد ما تعرض له من انحلال .

٤- وهي استنهاض المذنب لمحاسبة نفسه لإحياء موات قلبه ، ولتحريك بواعث الخير في نفسه

٥- وهي تربية للنفس فتقوى فيها القدرة على محاسبة نفسها .

٦- وهي فرصة للمناجاة الروحية والطمأنينة النفسية .

٧- وإذا كان الأخذ بالشدة جزءا من التأديب ، فإن الرحمة لون أعظم من أساليب التهذيب .

٨- وعن طريق التوبة يحارب الإسلام مرضا نفسيا هو اليأس الذي يحطم النفس فتدنو من الانحراف والجنون (لا يَيْأَسُ مِنْ روحِ اللهِ إلاّ الْقَوْمُ الْكافرونَ) [يوسف * ٨٧] .

وقت التوبة

ليس للتوبة وقت محدد ، إلا أنه يشترط فيها أن تسبق لحظات الموت ، فقد روي عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « إن الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر » رواه الترمذي وأحمد والحاكم

شروط التوبة

للتوبة ثلاثة شروط :

١- أن يقلع الإنسان عن الذنب الذي يتوب من أجله ، وأن يعقد العزم على عدم العودة إلى هذا الذنب في المستقبل .

٢- الندم من أعماق القلب على ما فرط فيه الإنسان (قالوا يا حَسْرَتَنا عَلى ما فَرَّطْنا فيها وَهُمْ يَحْمِلونَ أَوْزارَهُمْ عَلى ظُهورِهِمْ) [الأنعام * ٣١]

٣- أن يستغفر الله تعالى ويطلب منه المغفرة والرضوان .

فإذا كانت من الفرائض فلا بد معها من القضاء ، وإذا كانت بين العباد فلا بد معها من رد الحقوق إلى أصحابها أو استسماحهم منها ، تفصيلا عند الجمهور ، وإجمالا عند السادة المالكية

علامات قبولها :أربعة

١- العزلة عن قرناء السوء ومخالطة الصالحين من الناس

٢- الانقطاع عن الذنوب والإقبال على الطاعة

٣- الإعراض عن الدنيا والإقبال على الآخرة

٤- الاشتغال بالأوامر مما ضمن الله تعالى به الرزق

فوائد التوبة :

١- تمحي الذنوب : فقد قال صلى الله عليه وسلم « إذا تاب العبد تاب الله عليه ، وأنسى الحفظة ما كتبوه من مساوئ عمله ، وأنسى جوارحه ما عملت من الخطايا » أخرجه الترمذي .

٢- بالتوبة يتحول العصاة إلى هداة وقادة .

٣- وبالتوبة ينال الإنسان المغفرة من الله تعالى (وَإِنّي لَغَفّارٌ لِمَنْ تابَ وآمَنَ وَعَمِلَ صالِحاً ثُمّ اهْتَدَى) { طه * ٨٢ } .

٤- كما ينال المحبة من الله (إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التّوابِينَ) { البقرة ٢٢٢ } ، شريطة أن تكون التوبة صادقة،قال تعالى (يا أَيُّها الّذين آمَنوا توبوا إلى اللّهِ تَوْبَةً نَصوحاً) { التحريم * ٨ } .

٥- ويكرمه الله تعالى بالأمن من الشيطان والأمن من الخوف .

٦- وللتائب على الناس أربعة أمور :

(أن يحبوه ، وأن يدعوا له بالثبات على التوبة ، وأن يجالسوه للتذكرة ، وأن لا يعيروه بما سلف من ذنوبه)

٣-الدعاء : إن الدعاء هو روح العبادة ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : « الدعاء مخ العبادة » أخرجه الترمذي ، وهو من أفضل الأعمال وأكرمها ، قال صلى الله عليه وسلم «أفضل العبادة الدعاء » أخرجه الحالكم وابن عدي وحسّنه السيوطي

وقد أمرنا الله تعالى به فقال (ادعوني) وعقبه بالإجابة (أَسْتَجِبْ لكُمْ) { غافر * ٦٠ }،وقال أيضا : (وَإِذا سَأَلَكَ عِبادي عَنّي فَإِنّي قَرِيبٌ أُجيبُ دَعْوَةَ الدّاعِ إِذا دَعانِ) { البفرة ١٨٦ }

أما فوائد الدعاء فهي :

١- إرضاء الله تعالى ، قال صلى الله عليه وسلم « من لم يَدْعَ الله يغضب عليه » أخرجه ابن ماجه والحاكم

٢- ومنها دفع الهلاك ، قال صلى الله عليه وسلم « لا تعجزوا في الدعاء فإنه لن يهلك مع الدعاء أحد » أخرجه أبو يعلى [٧].

٣- ومنها رد البلاء ، قال صلى الله عليه وسلم « لا يغني حذر من قدر ، والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل » أخرجه الطبراني والبزاز

٤- ومنها رد القضاء ، فعن ثوبان [٨] قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه ، ولا يرد القضاء إلا الدعاء ، ولا يزيد في العمر إلا البر » أخرجه أحمد والنسائي وابن حبان وحسنه السيوطي .

(٧) - أبو يعلي أحمد بن علي (توفي ١٣٣٧ هـ / ١٩١٩ م) ، حافظ من علماء الحديث ، ثقة مشهور،محدث الموصل ، ألف (المعجم ، مسندان)

(٨)- ثوبان بن يجدد (توفي ٥٣ هـ / ٦٧٤ م) ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم . انتقل للشام ثم لحمص ، له ١٢٨ حديثا .

٥- ومنها أن المداومة عليه في الرخاء يؤدي إلى أن ينفع في الشدة ، قال صلى الله عليه وسلم : « من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد والكرب ، فليكثر الدعاء في الرخاء » أخرجه الترمذي والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه .

أما آداب الدعاء فهي عشرة :

١- الأوقات الشريفة - ٢- الأحوال الشريفة -٣- استقبال القبلة ٤- خفض الصوت بالدعاء ٥- عدم التكلف في السجع ٦- التضرع والإلحاح في الدعاء مع الخشوع والرهبة و الرغبة، قال صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب الملحين في الدعاء » أخرجه الطبراني ٧- افتتاحه بالذكر ٨- رد المظالم ٩- أن يوقن الداعي بالإجابة ، قال صلى الله عليه وسلم : « ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة ، واعلموا أن الله لا يقبل دعاء من قلب غافل لاه » أخرجه البخاري ١٠- الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد قال « كل دعاء محجوب حتى يُصلّى على النبي صلى الله عليه وسلم » أخرجه ابن عساكر

أما أوقاته الشريفة فهي :

(ليلة القدر ، يوم عرفة ، شهر رمضان ، حين الفطر للصائم ، ليلة الجمعة ، يوم الجمعة،منتصف الليل ، جوف الليل ، وقت السحر)

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ينزل ربنا تبارك وتعالى في كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير ، فيقول : من يدعوني أستحب له ، من يسألني أعطه ، ومن يستغفرني أغفر له » أخرجه الطبراني والبزاز .

أما أحواله الشريفة فهي

(عند النداء ، بين الأذان والإقامة ، بين الحيعلتين [٩] لمن نزل به كرب شديد ، عند رص صفوف القتال ، بعد تمام الحرب ، بعد الصلوات المكتوبة ، في السجود ، عقب تلاوة القرآن وبعد ختمه ، عند شرب ماء زمزم ، عند رؤية الكعبة المشرفة ، وقت المجيء إلى البيت،عند صياح الديك ، عند اجتماع المسلمين ، في مجالس الذكر ، عند قول الإمام : (ولا الضالين) {الفاتحة * ٧ } ، عند تغميض الميت ، عند هطول المطر)

أما أماكنه الشريفة فهي

(مكة المكرمة في الطواف ، في البيت المعظم ، تحت الميزاب ، عند الملتزم ، عند زمزم ، على الصفا وعلى المروة ، في المسعى ، خلف مقام إبراهيم ، في عرفات ، في مزدلفة ، في منى،عند الجمرات ، في المدينة المنورة عند الحجرة الشريفة ، في غيره من المساجد ، عند قبور الصالحين)

٤-**الاستغفار** : إن كفارة الخطيئة في الإسلام لا تحتاج إلى اعتراف لرجال الدين ، كما أن

(٩)- الحيعلتان : قول المؤذن (حي على الصلاة . حيّ على الفلاح)

الخطيئة لا تبقى معلقة على رأس الفرد لا مخلص منها ولا فرار .
إن المؤمن قد يخطئ ، ولكن عليه إذا أخطأ أن يتوب إلى رشده ، لهذا يلتمس الله للمخطئ عذرا على خطيئته ، ويفتح له باب الاستغفار .
وفي الاستغفار فوائد جمة :

١- الاستغفار يغفر الذنوب (وَمَنْ يَعْمَلْ سوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفوراً رَحيماً) { النساء * ١١٠ } وقال (وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنوبَ إِلاّ اللّهُ) { آل عمران * ١٣٥ } .
٢- رفع العذاب (وَما كانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرونَ) { الأنفال * ٣٣ }
٣- يغسل صدأ القلب ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن للقلب صدأ كصدأ الحديد ، وجلاؤه الاستغفار » أخرجه الطبراني .
٤- ينفس الكروب ويفرج الهموم ويؤدي للطمأنينة ، قال صلى الله عليه وسلم « من أكثر من الاستغفار جعل الله عز وجل له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب » أخرجه الطبراني
أما صيغ الاستغفار فهي كثيرة :

أفضلها سيد الاستغفار : وهو ما روي عن شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « سيد الاستغفار أن يقول العبد : اللهم أنت ربي ، لا إله إلا أنت،خلقتني وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت،أبوء لك بنعمتك عليّ ، وأبوء بذنبي فاغفر لي ، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت من قالها في النهار موقنا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة ، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة » أخرجه البخاري وأحمد والنسائي وحسنه السيوطي .
وسَمع أعرابي متعلق بأستار الكعبة ، يقول : (إن استغفاري مع إصراري للؤم ، وإن تركي استغفارك مع علمي بسعة عفوك لعجز ، فكم تحببّت إليّ بالنّعم مع غناك عني ، وكم أتبغّض إليك بالمعاصي مع فقري إليك ، يا من إذا وعد وفا ، وإذا أوعد عفا ، أدخل عظيم جرمي في عظيم عفوك يا أرحم الراحمين)
وعن أبي عبد الله الوراق [١٠] قال : (من قال : اللهم إني استغفرك من كل ذنب تبت إليك منه ثم عدت إليه ، وأستغفرك من كل ما وعدتك به من نفسي ولم أوفِ لك به ، وأستغفرك من كل عمل أردت به وجهك فخالطه غيرك ، وأستغفرك من كل نعمة أنعمتَ بها عليّ فاستعنت بها على معصيتك ، وأستغفرك ياعالم الغيب والشهادة من كل ذنب أتيته في ضياء النهار وسواد الليل ، في ملاء وخلاء ، وسر وعلانية ، يا حليم . محيَتْ عنه ذنوبه ، ولو كانت عدد القطر وزبد البحر)

(١٠)- أبو عبد الله محمد الكرماني الوراق (توفي ٣٢٧ هـ/ ٩٤٠م) ، عالم باللغة والنحو ، درس على ثعلب ، مؤلف

بين الإنسان والناس

وهي تشمل : (حسن المعاملة ، الصدقة ، القدوة الصالحة) :

- **حسن المعاملة** : الإحسان من حسن المعاملة ، وهو واجب طبيعي ، فكما أحسن الله إليك بنعمه الكثيرة يجب أن تحسن لغيرك (وَأَحْسِنْ كَما أَحْسَنَ اللّهُ إِلَيْكَ) { القصص * ٧٧ } .

ومنفعة الإحسان تعود لصاحبها (إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ) { الإسراء* ٧ } ، فالمحسن يشعر بالطمأنينة ، ويحسّ بالراحة والسرور ، لأنه أدخل السرور على قلوب الآخرين .

وقد رغبنا الله بالإحسان ، وبيّن مضاعفة ثوابه في الآخرة (مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها) { الأنعام* ١٦٠ }

واعتبر العفو من الإحسان (فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنينَ) { المائدة *١٣ }

إن الرسول لم ينتقم لنفسه ، وما غضب لنفسه قط ، إلا أن تنتهك حرمات الله ، وحوادث الشروع في قتله كثيرة ، فلم يعاقب ولم ينتقم في حادث واحد ، وإنما كان يحدّث من أقدم على قتله حديث المشفق المحب فيدعو له بالخير ، كان يدفع بالتي هي أحسن ، وهذا معنى الحديث الشريف « لا تغضب » . والتسامح دليل على قوة النفس لا ضعفها .

كما اعتبر الصبر من الإحسان (وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لا يُضيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنينَ) { هود * ١١٥ }،والصبر إمساك النفس عند المكروه خوفا من الله ، وأملا في رضاه ، وقد ذكر القرآن الكريم (الصبر) حوالي سبعين مرة ، ولم تذكر فضيلة أخرى بهذا المقدار .

وقد ربط القرآن الكريم بين الصبر والفضائل الأخرى :

(الَّذينَ صَبَروا وعَمِلوا الصّالِحات) { هود * ١١ } (الَّذينَ صَبَروا وَعلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلونَ) {النحل * ٤٢ } (ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم){النحل* ١١٠} وقد قال العرب في أمثالهم : (من صبر ظفر ، الصبر حيلة من لا حيلة له ، الصبر مفتاح الفرج)

أمّا أحق الناس بالإحسان فهما الوالدان (وَقَضى رَبُّكَ أَلاّ تَعْبُدُوا إِلاّ إِيّاهُ وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً) {الإسراء* ٢٣ }

وقد أوجب الله علينا أن نحسن لفئات كثيرة من الناس ، جمعها في الآية الكريمة التي تقول :

(وَاعْبُدوا اللّهَ ولا تُشْركوا بِه شَيْئاً وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً وَبِذي الْقُرْبى وَالْيَتامى والْمَساكينِ وَالْجارِ ذي الْقُرْبى والْجارِ الْجُنُبِ وَالصّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبيلِ وَما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ) { النساء* ٣٦ }

كما دعا الإسلام لتعاون أفراد المجتمع مع بعضهم في المجالات الخيّرة (وَتعاوَنوا عَلى الْبِرِّ وَالتَّقْوى وَلا تَعاونوا عَلى الْإِثْمِ وَالْعُدْوانِ) { المائدة * ٢ } . وقد قال الشاعر :

كونوا جميعا يابني إذا اعترى   خطب ولا تتفرقوا أحادا
تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسرا   وإذا افترقن تكسرت أفرادا

وطالبنا بمعاملة الآخرين بالحسنى ، و هذا من شانه إزالة العداوة بين المتخاصمين(وَلا تَسْتَوي

الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذا الَّذي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَداوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَميمٌ) {فصلت * ٣٤ } وقال عبد المنعم الجلياني : (اعمل على أن تملك الناس : بالتودد إلى خيارهم والمداراة لأشرارهم والإغضاء عن مساوئهم ، والإظهار لمحاسنهم ، والاعتذار عن غائبهم،والإقبال على حاضرهم ، والسعي في مصالحهم)

ودعانا للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنّاسِ تَأْمُرونَ بِالْمَعْروفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ) { آل عمران * ١١٠ }

كذلك دعانا للإيثار : والإيثار بذل وعطاء وجود وكرم ، إنه تكريم الآخرين ، يقوم به المؤمن طواعية لتزكية نفسه ، ولو كان ذلك على حساب الذات (وَيُؤْثِرونَ عَلى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كانَ بِهِمْ خَصاصَةٌ) { الحشر * ٩ }

والإيثار الذي دعانا إليه الإسلام إيثار اختياري لا يجبرك عليه قانون ، ولا تحتمه عليك مصلحة عاجلة أو لذة سريعة ، بل إن فيه إيثار الحرمان على المنفعة ، والتعب على الراحة والجوع على الشبع ، والموت على الحياة .

والتظاهر بالإيثار أشد خطرا من الشح لأنه نفاق ، فالإيثار ليس تطبعا أو تكلفا وإنما هو طبع راسخ وخلق ملازم للمسلم .

ومن بذل في نفع الناس أمرا ماديا محسوسا لقاء أمر معنوي ، فقد برهن عن نفس تعطي أكثر مما تأخذ ، وهذا لعمري من أسمى مراتب النبل والسمو ، وأقوى دلائل الخير والفضيلة .

تعال معي أيها القارئ الكريم :

تعال نستعرض مبادئ الإيثار في أعماق عقيدتنا ، وجوهر ديانتنا ، وآثاره في تاريخنا،لنستنشق روائح الإنسانية الكريمة التي غمرتها مطامع الأهواء والشهوات في عصرنا الحاضر .

لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وصحابته من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة،آخى الرسول بين المهاجرين والأنصار ، إذ جعل لكل أخ أنصاري أخا مهاجرا ، فكان الأنصاري يأتي بأخيه المهاجر إلى بيته ، فيقسم كل مافيه بينه وبين أخيه ، يقسم له ماله وثيابه وطعامه ودوابه ، وينزله من نفسه وأهله منزلة الحبيب من الحبيب ، حتى نسي المهاجرون غربة الوطن وفقدان الأهل وفوات الثروة ، مما جعل القرآن الكريم يسجل هذه الظاهرة البارزة من الإيثار الكريم ، ليكون درسا حيا خالدا للأجيال الصاعدة من بعدهم ، استمع إليه حين يقول (وَالَّذينَ تَبَوَّؤا الدّارَ وَالإيمانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبّونَ مَنْ هاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدونَ في صُدورِهِمْ حاجَةً مِمّا أُوتوا وَيُؤْثِرونَ عَلى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كانَ بِهِمْ خَصاصَةٌ) { الحشر * ٩ } ثم دعانا للعفو ، وذلك لأن اعتداء الآخرين علينا ، لا يصدر إلا عن نفس مريضة ، حجب الشر صوابها ، فأجدر بنا أن نغفر لها ، والعفو هو الصفح والتجاوز (وَإِنْ تَعْفوا وَتَصْفَحوا وَتَغْفِروا فَإِنَّ اللّهَ غَفورٌ رَحيمٌ) { التغابن * ١٤ }

وكان يقال : (أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة) ، وقد روي أن عبد الملك بن مروان [11] طلب رجلا فأعجزه ثم ظفر به ، فقيل له : يا أمير المؤمنين قد صنع الله ما أحببت من ظفرك به فاصنع ما أحب الله من عفوك عنه .

ويرتبط بالعفو كظم الغيظ(والكاظِمينَ الغَيْظَ والعافين عنِ النّاس) { آل عمران * ١٣٤ }

ودعانا أن نؤدي الأمانات إلى أهلها (إنّ اللّهَ يأمُرُكُمْ أنْ تُؤدوا الأمَاناتِ إلى أهْلِها) { النساء * ٥٨ } وكذلك قال (يا أيُّها الّذينَ آمنوا أوْفوا بالْعُقودِ) { المائدة * ١ }

وطلب منا العدل ، وهو القصد في الأمور والإنصاف والمساواة بين الناس ، واعتبر العدل أقرب للتقوى (اعْدِلوا هُوَ أقْرَبُ لِلتّقوى) { المائدة * ٨ }

ولابد أن يكون العدل مبدأنا في الحكم بين الناس (وَإذا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النّاسِ أنْ تحْكُموا بالْعَدْلِ) { النساء* ٥٨ }

أما الحرية فقد تحدث عنها عبد المنعم الجلياني فقال : (الحر يتواضع ولا يخضع ، ويتأدب ولا يذل ،وينتظر ولا يكسل ، ويسعى ولا يحرص) .

- الصدقة : للصدقة فوائد :

منها دفع البلاء ، قال صلى الله عليه وسلم « الصدقة تدفع البلاء» أخرجه الخطيب .

ومنها الظفر بالثواب ، قال صلى الله عليه وسلم « من تصدق بصدقة من كسب طيب ، ولا يقبل الله إلا طيبا كان كأنما يضعها في كف الرحمن يربيها له ، كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله [12] ، حتى إن اللقمة لتعود مثل جبل أحد » أخرجه الإمام أحمد عن أبي هريرة .

ومنها مضاعفة الأجر ، قال تعالى (إنَّ المُصَّدِّقينَ والْمُصّدّقاتِ وَأقْرَضوا اللّهَ قَرْضا حَسناً يُضاعَفُ لَهُمْ ولَهُمْ أجْرٌ كَريمٌ) { الحديد * ١٨ }

ومنها أنها مفتاح الرزق ، قال صلى الله عليه وسلم « استعينوا على الرزق بالصدقة » أخرجه الديلمي.ومنها الاستظلال بظلها يوم القيامة « كل امرئ في ظل صدقته حتى يُقضى بين الناس » أخرجه أحمد و الحاكم .

ومنها كونها وقاية من النار « اتقوا و لو بشق تمرة فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة » أخرجه البخاري

وللصدقة شروط :

منها أن تكون الصدقة من الحلال قال صلى الله عليه وسلم « من تصدق بعدل تَمْرَة من كسب

(١١)- عبد الملك بن مروان (٦٤٦- ٧٠٥ م) ، نشأ في المدينة فقيها متعبدا ناسكا ، كان من أعاظم الخلفاء ودهاتهم ، نقل الدواوين إلى العربية ، وضبط الحروف بالنقط والحركات ، وصك الدنانير ، ونظم سير البريد ، وبنى الصخرة في المسجد الأقصى ، توفي بدمشق .

(١٢) - الفلو: الحمار الصغير أو المهر الذي لم يبلغ سنة من عمره . والفصيل : ولد الناقة أو البقرة إذا فُصل عن أمه .

طيب ، ولا يقبل الله إلا الطيب ، وإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها [١٣] لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه حتى يكون مثل الجبل » أخرجه البخاري

وإذا خطر لك خاطر بالصدقة فأسرع لإمضائه ، قال صلى الله عليه وسلم « إذا تصدقت فأمضها » أخرجه أحمد بن حنبل .

وفعل الخير يحسب من الصدقة ، وكذا الإمساك عن الشر فعن أبي بردة [١٤] عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم : « على كل مسلمة صدقة . فقالوا يا نبي الله فمن لم يجد ؟ قال : يعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق ، قالوا:فإن لم يجد؟ قال : يعين ذا الحاجة الملهوف . قالوا : فإن لم يجد ؟ قال : فليعمل بالمعروف وليمسك عن الشر فإنها له صدقة » أخرجه البخاري .

وقال الغزالي في إحياء علوم الدين : « الصلاة تبلغك نصف الطريق ، والصوم يبلغك باب الملك، والصدقة تدخلك فيه) .

- **القدوة الصالحة** : رسم الإسلام معالم متنوعة للقدوة الصالحة :

١- الأنبياء : كان القرآن الكريم يركز باستمرار حول جعل كل رسول قدوة لشعبه (وَمَا أَرْسَلْنا مِنْ رَسولٍ إِلاّ لِيُطاعَ بِإِذْنِ اللّهِ) { النساء* ٦٤ } ، وطاعة هؤلاء الرسل ليست إلا اعترافا ضمنيا من الأفراد بأن هؤلاء الرسل بلغوا درجة المثالية ، وأنهم يبلغون رسالة السماء إلى الأرض فيجب إطاعتهم وتنفيذ أوامرهم .

٢- محمد صلى الله عليه وسلم : إن أفضل الشخصيات التي يحسن بالمسلم الاقتداء بها هي شخصية الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام ، وقد شهد له ربه فقال (وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظيم) { القلم * ٤ }

وذلك لما عرف عن شخصية الرسول من الرحمة واللين وحسن المعاملة (فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَليظَ الْقَلْبِ لَا نْفَضّوا مِنْ حَوْلِكَ) { آل عمران * ١٥٩ }

ولهذا جاءت ثلاثة اقترانات :

أ- قرن الله اسمه باسم الرسول في مجال الشهادتين (أشهد أن لا إله إلا الله . وأن محمدا رسول الله)

ب- كما قرنهما في الإيمان ، فإيمان المسلم هو إيمان بالله تعالى وإيمان برسوله الكريم (وَيَقولونَ آمَنا بِاللّهِ وَبِالرّسولِ) { النور * ٤٧ }

جـ- كما قرن الله إطاعته بإطاعة الرسول (قُلْ أَطيعوا اللّهَ والرّسولَ) { آل عمران * ٣٢ }،وقد تكرر هذا الاقتران في القرآن الكريم تسع عشرة مرة .

(١٣)- يربّيها : ينميها ويزيدها ويضاعفها .

(١٤)- عامر : أبو بردة الأشعري (توفي ١٠٢ هـ - ٧٢١ م) وهو قاضي الكوفة ، كانت له مكارم ومآثر .

٣- العلماء والصالحون : قالوا : (لا تجلسوا عند كل عالم ، إلا إلى عالم يدعوكم من خمس إلى خمس : من الشك إلى اليقين . ومن الرياء إلى الإخلاص . ومن الرغبة إلى الزهد . ومن الكبر إلى التواضع . ومن العداوة إلى النصيحة) .

وقال الحسن البصري : (إذا كان في القاضي خمس خصال فقد كمل :

علم ما كان قبله ، ونزاهة عن الطمع ، وحلم عن الخصم ، والاقتداء بالأئمة ، ومشاورة أهل الرأي)

بين الإنسان ونفسه

وهي تتمثل في عاطفة اعتبار الذات : وهذه العاطفة هي المنظم الأساسي للسلوك ، أو الموجه العام لبقية النزعات ، فتساهم في تناسق العواطف ، وتنتظم في هيئة عليا ، تكسب صاحبها تكاملا في الشخصية ، وتتوقف عليها وحدة الشخصية ووحدة أفعالها .

وجوهر هذه العاطفة فكرة المرء عن نفسه ، ومعرفة إمكاناته وشعوره بكرامته ، وهي تختلف عن الأنانية والغرور ، إذ أن الأنانية دليل على الشعور بالنقص ، والمغرور يخفي ضعف شخصيته ويسترها بقناع خارجي من الادعاءات ، أما احترام الذات فينشأ عن غنى في العاطفة وثقة بالنفس ، وقد جاء في الأمثال العربية (من جعل نفسه عظما أكلته الكلاب)،وقالوا أيضا : (المرء حيث يضع نفسه)

ويرتبط بهذه العاطفة بث الثقة بالنفس ، وإشعار المؤمنين بالعزة والكرامة وأنهم الأعلون (وَلا تَهِنوا وَلا تَحْزنوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) { آل عمران * ١٣٩ }

وكذلك يرتبط بها الحياء « الحياء من الإيمان ، والإيمان في الجنة » رواه البخاري والترمذي، وقال أيضا : « الحياء والبيان شعبتان من الإيمان ، والبذاءة والعي شعبتان من النفاق » رواه البخاري.

وكذلك التوبة والتطهر (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) { البقرة * ٢٢٢} .

ولا بد في كل هذا من الصبر ، فالصابر يتلقى المكاره بالقبول ، ويراها ، من عند الله ، ولولا الصبر لانهارت نفس الإنسان من البلايا ، وربما تحول إلى عنصر شرير لا نفع منه .

وما من فضيلة إلا وهي محتاجة للصبر ، فالشجاعة هي الصبر على مكاره الجهاد ، والعفاف هو الصبر على الشهوات ، والحلم هو الصبر على المثيرات ، والكتمان هو الصبر على إذاعة الأسرار (إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسابٍ) { الزمر * ١٠ }

وقد دعانا القرآن الكريم للصبر في موطن الجهاد في سبيل الله ، وفي موطن تحمل أذى الناس، وفي موطن المثابرة على العبادة ، وفي موطن البلاء الذي يمتحن به الله عباده .

وهنا نتساءل عن آفات المثل العليا ، فنقول :

لكل شيء آفة : فآفة العلم النسيان ، وآفة الحديث الكذب ، وآفة الشجاعة البغي ، وآفة الحلم

الذل ، وآفة الجود التبذير ، وآفة الاقتصاد البخل ، وآفة اللطف التملق ، وآفة السائل الإلحاح،وآفة المسؤول الشح ، وقال عبد المنعم الجلياني : (يُعرف الرجل بخمسة : باسمه وشخصه ومعارفه وخلقه ونفعه للناس ، فإذا اعتزلهم وجب عليه أن يكتم ثلاثة ويظهر حسن خلقه ونفعه للناس)

وجاء في الأقوال المأثورة :

(أفضل الناس : من كان سخيا بدنياه ، شحيحا بدينه ، خفيفاً إلى الطاعة ، ثقيلا في المعصية ، جريئا في الحق ، جبانا عن الباطل ، أصم عن الجهل ، سميعا للعلم ، قائلا للصواب، عييا بالخطأ ، ضريرا في المنكر ، بصيرا في المعروف)



المسارد

- مسرد الأعلام
- مسرد المراجع
- مسرد المواضيع

مسرد الأعلام

مسرد المراجع

كتب قديمة

١-إحياء علوم الدين ، أبو حامد الغزالي ، القاهرة ١٩٥٧م.
٢- آراء أهل المدينة الفاضلة ، الفارابي ، القاهرة ١٩٤٨ م .
٣- الأربعين في أصول الدين ، أبو حامد الغزالي ، ١٣٢٨ هـ.
٤- التعريفات ، علي الجرجاني ، مصر ١٢٨٣ هـ.
٥- تهافت التهافت ، ابن رشد .
٦- تهذيب الأخلاق ، ابن مسكويه ، كردستان ١٣٢٨ هـ .
٧- الحكمة في مخلوقات الله ، الغزالي ، مصر ١٣٢١ هـ .
٨- رسالة العهد ، ابن سينا .
٩- الرسالة القشيرية ، عبد الكريم بن هوزان القشيري ، ١٣٦٧ هـ .
١٠- شرح الشفاء ، ابن سنا ، طهران ١٣٠٣ هـ .
١١- عوارف المعارف ، السهروردي ، المطبعة العلامية
١٢- الفصل في الملك والنحل ، ابن حزم ، ١٣١٧ هـ .
١٣- فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة ، الغزالي ، القاهرة ١٣١٨ هـ .
١٤- القرآن الكريم
١٥- قوت القلوب ، أبو طالب المكي ، مصر ١٩٣٢م .
١٦- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، محمد علاء التهانوي ، كلكته ١٨٤٨م .
١٧- المحصل في أفكار المتقدمين ، الفخر الرازي .
١٨- مشكاة الأنوار ، الغزالي ، ١٣٥٣ هـ.
١٩- معارج القدس في مدارج معرفة النفس ، الغزالي ١٣٢٧ هـ .
٢٠- معالم أصول الدين ، الفخر الرازي
٢١- معيار العلم ، أبو حامد الغزالي ، كردستان ١٣٢٩ هـ .
٢٢- المقابابات ، أبو حيان التوحيدي ، القاهرة ١٩٢٩م .
٢٣- الملل والنحل ، الشهر ستاني ١٣١٧ هـ .
٢٤- منهاج العابدين ، أبو حامد الغزالي ، ١٣٣٠ هـ .
٢٥- ميزان العمل ، أبو حامد الغزالي
٢٦- النجاة ، ابن سنا ١٣٣١ هـ .

كتب محققة

٢٧- أحوال النفس ، ابن سينا ، تحقيق الدكتور أحمد فؤاد الأهواني ١٩٥٢ م .

٢٨- أدب الخلق في الإسلام (نيل الأرب في معرفة الأدب) ، محمود المرعشي ، تحقيق وإعداد معروف زريق ومحمد علي بلطهجي ، بيروت ١٩٨٦ م .

٢٩- تهافت الفلاسفة ، الغزالي ، تحقيق سليمان دنيا ، القاهرة ١٩٦١ م .

٣٠- رسالة في إحصاء العلوم للفارابي ، تحقيق الدكتور عثمان أمين ، ١٩٤٩ م .

٣١- رسالة في معرفة النفس الناطقة وأحوالها ، ابن سينا ، تحقيق الدكتور ثابت الفندي ، ١٩٣٤ م .

٣٢- رسالة في معرفة النفس والروح ، محيي الدين بن عربي ، تحقيق أسين بالاسيوس ، باريس ، ١٩٠٦ م .

٣٣- رسائل فلسفية ، أبو بكر الرازي ، تحقيق كراوس ١٩٣٩ م .

٣٤- الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب ، الترمذي ، تحقيق نقولا زهير ، القاهرة ١٩٥٨ م .

٣٥- مقاصد الفلاسفة ، الغزالي ، تحقيق سليمان دنيا ، مصر ١٩٦١ م .

٣٦- مقالات الإسلاميين ، الأشعري ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ١٣٦٩ هـ / ١٩٥٠ م

٣٧- مناهج الأدلة في عقائد أهل الملة ، ابن رشد ، تحقيق الدكتور محمود قاسم ، القاهرة ١٩٥٥ م .

٣٨- المنقذ من الضلال ، الغزالي ، تحقيق الدكتور جميل صليبا والدكتور كامل عياد ١٣٧٩ هـ / ١٩٦٠ م .

٣٩- النفس ، ابن باجه ، تحقيق محمد صغير المعصومي، دمشق ١٩٦٠ م .

كتب مخطوطة

٤٠- تعبير الرؤيا ، ابن غنام ، مخطوط في دار الكتب المصرية في القاهرة .

٤١- العلم والعمل ، أبو حامد الغزالي ، مخطوط في دار الكتب المصرية في القاهرة

٤٢- اللذات والآلام ، ابن مسكويه ، مخطوط في جامعة القاهرة

٤٣- المعارف العقلية ، أبو حامد الغزالي ، مخطوط مصورفي معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية

كتب مطبوعة

٤٤- ابن سينا في النفس البشرية ، الدكتور ألبير نصر نادر ، بيروت ١٩٦٠ م.
٤٥- الأحلام ، الدكتور توفيق الطويل ، القاهرة ١٩٤٥ م .
٤٦- الأخلاق عند الغزالي ، الدكتور زكي مبارك ، مصر
٤٧- أسرار النفس ، الدكتور أحمد فؤاد الأهواني ، مصر ١٩٥١ م .
٤٨- أسس الصحة النفسية ، الدكتور عبد العزيز القوصي .
٤٩- الإسلام والحياة الجنسية ، محمود بن الشريف
٥٠- الأصول اليونانية للفلسفة العربية ، يوحنا قمير ، ١٩٥٨ م .
٥١- الله في القرآن الكريم ، عباس محمود العقاد ، مصر ١٩٥٤ م .
٥٢- الإنسان بين المادية والإسلام محمد قطب ، القاهرة ١٩٦٠ م.
٥٣- الإنسان في القرآن ، عباس محمود العقاد ، دار الهلال
٥٤- التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، منصور علي ناصيف ، ١٣٥١ هـ .
٥٥- تحفة العروس ، محمود مهدي الأستانبولي ، دمشق ١٩٦٦ م
٥٦- التصوف الإسلامي العربي ، عبد اللطيف الطيباوي ١٩٢٨ م .
٥٧- تعطير الأنام في تعبير المنام ، عبد الغني النابلسي ، مصر ١٣٥٤ هـ .
٥٨- دراسات في الفلسفة الإسلامية ، الدكتور أبو الوفا التفتازاني ، القاهرة ١٩٥٧ م .
٥٩- دراسات في النفس الإنسانية ، محمد قطب ، القاهرة
٦٠- الدراسات النفسية عند المسلمين ، الدكتور عبد الكريم العثمان ، مصر ١٩٦٣ م .
٦١- الرواقية ، الدكتور عثمان أمين ، الطبعة الثانية ، ١٩٥٩م .
٦٢- روح الدين الإسلامي ، عفيف طبارة ، الطبعة ١٢ - ١٩٧٤ م .
٦٣- العلاج النفساني عند العرب ، الدكتور حامد عبد القادر ، مصر ١٩٤٧ م .
٦٤- علم النفس العام ، معروف زريق ، دمشق ١٩٨٥م .
٦٥- ابن الفارض ، معروف زريق ، دمشق ، ١٩٨٦ م .
٦٦- فلسفة الأخلاق في الأسلام ، معروف زريق ، الطبعة الثانية ١٩٨٦ م.
٦٧- في الفلسفة الإسلامية ، الدكتور إبراهيم بيومي مدكور ، القاهرة ١٩٤٧ م .

٦٨- الفلسفة القرآنية ، عباس محمود العقاد ، القاهرة ، ١٩٤٧م .
٦٩- في النفس والعقل لفلاسفة الإغريق والإسلام ، الدكتور محمود قاسم ، القاهرة ١٩٥٤م
٧٠- قبس من نور محمد صلى الله عليه وسلم ، الدكتور محمد فائز المط ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٤م .
٧١-قصة الإيمان ، نديم الجسر ، الطبعة الثالثة ، بيروت ١٩٦٩ م .
٧٢- مبادئ علم النفس العام ، الدكتور يوسف مراد ، القاهرة ١٩٥٤ م .
٧٣- محاضرات في الفلسفة الإسلامية ، الدكتور عبد الهادي أبو ريده ١٩٥٤ م
٧٤- الموجز في علم النفس ، سامي الدروبي وعبد الله عبد الدائم .

كتب مترجمة

٧٥- تاريخ الفلسفة في الإسلام ، دوبور ، ترجمة الدكتور عبد الهادي أبو ريدة ، ١٩٥٤م
٧٦- حضارة الإسلام ، جرونيباوم ، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد وعبد الحميد عبادي .
٧٧- الصوفية في الإسلام ، نيكلسون ، ترجمة نور الدين شريبة ، ١٣٧١ هـ / ١٩٥١ م .
٧٨- الطفل بين الوراثة والبيئة ، الشيخ محمد تقي فلسفي ، عربه عن الفارسية فاضل الحسيني ، بيروت ، ١٣٨١ هـ .
٧٩- علم النفس والأخلاق ، هادفيلد ، ترجمة محمد عبد الحميد أبو العزم .
٨٠- الفلسفة اليونانية ، ريفو ، ترجمة الدكتور محمود عبد الحليم ومحمود أبو بكر ذكرى ١٩٥٨ م .
٨١- في التصوف الإسلامي وتاريخه ، نيكلسون ، ترجمة أبو العلا عفيفي ، ١٣٥٧ هـ / ١٩٥٦ م .
٨٢- النفس ، أرسطو ، ترجمة الدكتور أحمد فؤاد الأهواني .

موسوعات

٨٣- دائرة المعارف الإسلامية ، ترجمة عبد الحميد يونس وزملاؤه ، مصر .
٨٤- موسوعة عباس محمود العقاد الإسلامية ، المجلد الخامس ، بيروت ١٩٧١ م.
٨٥- الموسوعة الفلسفية المختصرة .

سلاسل

٨٦- جابر بن حيان ، الدكتور زكي نجيب محمود ، من سلسلة وزارة الثقافة .
٨٧- الخوف ، الدكتور أحمد فؤاد الأهواني ، من سلسلة (اقرأ)

مجلات

٨٨- مجلة الرسالة ، ١٩٣٧ م ، مقالات للدكتور مدكور عن النفس وخلودها عند ابن سينا
٨٩- مجلة الحديث ، ١٩٣٣ م ، مقال للدكتور ثابت الفندي عن ابن سينا
٩٠- مجلة العربي ، ١٩٨٦ ، العدد ٣٣٤.
٩١- مجلة الكتاب ، ١٩٤٨ م ، مقال للدكتور أحمد فؤاد الأهواني ، عن تحقيق رسالة الكندي في النفس
٩٢- مجلة منبر الإسلام : الأعداد ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ مقالات للدكتور أحمد فؤاد الاهواني عن القيم الإسلامية
والعدد ٩ مقال للدكتور مصطفى حلمي بعنوان التصوف الإسلامي علم للنفس الإسلامية .
٩٣- مجلة علم النفس : المجلد ١ ، العدد ٢ ، مقال للدكتور أبو مدين الشافعي عن الأسس النفسية للعمل الإنساني
٩٤- مجلة المقتطف ، مجلد ٣٤ ، مقال لمحمود الخضيري عن الغزالي

محاضرات

٩٥- الأخلاق عند الغزالي ، صلاح السلجوقي ، محاضرة في مؤتمر الغزالي ١٩٦٠ م .
٩٦- الغزالي ، عباس محمود العقاد ، محاضرة في الموسم الثقافي في الأزهر ١٩٦٠ م
٩٧- الفلسفة الإسلامية ، الدكتور عبد الهادي أبو ريدة ، القاهرة ١٩٥٤ م
٩٨- محاضرات على طلبة الماجستير ، الدكتور أحمد فؤاد الأهواني ١٩٦٠ م .
٩٩- محاضرات على طلبة الماجستير ، ، الدكتور عثمان أمين ، ١٩٦٠ م

معاجم

١٠٠- الأعلام ، خير الدين الزركلي ، الطبعة السادسة ، بيروت ١٩٨٤ م .
١٠١- تفصيل آيات القرآن الكريم ، جول لابوم ، ترجمة محمد فؤاد عبد الباقي ، بيروت ١٩٦٩ م .
١٠٢- شرح القاموس المسمى تاج العروس ، الزبيدي القاهرة ، ١٣٠٧ هـ
١٠٣- المحيط ، الفيروز أبادي ، بيروت ١٩٨٦ م
١٠٤- المعجم الفلسفي ، الدكتور جميل صليبا ، لبنان ١٩٧٨ م .
١٠٥- معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم ، الراغب الأصفهاني ١٩٧٢ م .
١٠٦ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقي . القاهرة ١٣٧٨ هـ .
١٠٧- معجم المؤلفين ، عمر رضا كحالة ، دمشق ١٩٥٨ م .
١٠٨- لسان العرب ، ابن منظور ، مصر ١٣٠٠هـ .

مراجع أجنبية

109 - Anawati G: I ntroduction à la Thelogie musluman Paris 1948.
110 - G. Dugat : Histoire des philosophies et des Theologiens muslumanes . Paris 1878 .
111 - Massignon : Essai sur l.origine de léxique Technique de la Mystique muslumane . Paris 1955.
112 - A.l. Othman : The concept of man in islam in the writings of Al Chazali . 1960.

مسرد المواضيع

صفحة

صفحة

صفحة

* * *